

أبن العَدِيْمِ مُؤَرَّخاً

(١٢٦٢ - ١١٩٢ هـ / م ٥٨٨ - ٦٦٠)

رانيا عمر أبو الفتوح

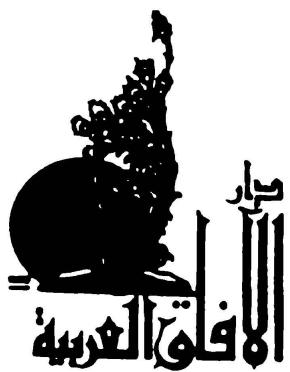




ابن العديم مؤرخاً

(٥٨٨ - ٦٦٠ هـ / ١١٩٢ م)

رانيا عمر محمد أبو الفتوح



أبوالفتوح ، رانيا عمر

ابن العديم مؤرخا

تأليف : رانيا عمر أبو الفتوح

ط ١ ، القاهرة : دار الأفاق العربية 2013

ص 168 ، 24 سم



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل
lisanerab.com

الطبعة الأولى

2013/1434 م

جميع الحقوق محفوظة

لدار الأفاق العربية

نشر - توزيع - طباعة

55 شارع محمود طلعت من شن الطيران

مدينة نصر - القاهرة

تلفاكس : 00202-22610164

تلفون : 00202- 22617339

Email: daralafk@yahoo.Com



إهداء

إلى من إن قضيت عمري كله في الثناء عليهم

وما وفيتهم حقهم ...

إلى أبي وأمي وبباقي أفراد أسرتي

جزاهم الله كل خير

شكر وتقدير

الحمد والشكر أولاً وأخيراً لله رب العالمين الذي أعاذه على كتابة هذا البحث .

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى:

الأستاذ الدكتور / احمد رمضان ...

على ما شملني به من رعاية علمية خالصة وجادة . ولقد تعلمت منه الكثير من الدقة والتنظيم والصبر والتفاني في العمل ، ناهيك عن التوجهات القيمة التي أظهرت البحث بهذه الصورة ، فجزاه الله عنى خير الجزاء ، ووحبه موفور الصحة ، وأعانه على بذل المزيد من العطاء .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة :
١٣	التمهيد : تطور منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين حتى القرن ١٢/١٣ هـ م
١٩	الفصل الأول : ابن العديم عصره وحياته
٢٠	أولاً : أحوال حلب في عصره (٥٨٩ - ٦٥٨ / ١١٩٣ - ١٢٥٩ م) ثانياً : حياته : (نسبه - زواجه وأولاده - تكوينه العلمي - وظائفه وسفاراته - آراء المؤرخين والشعراء فيه - وفاته)
٤٥	الفصل الثاني : مؤلفات ابن العديم
٤٦	أولاً: عرض مؤلفاته: (المزلفات المخطوطة - المطبوعة - المنسوبة - المفقودة) ثانياً: المحتوى التاريخي: (الجوانب السياسية - الجوانب الاقتصادية - الجوانب الاجتماعية الجوانب الثقافية والعقدية)
٧٩	الفصل الثالث : مصادر ابن العديم
٨٠	أولاً: أنواع المصادر: (الوثائق - المعاصرة والمشاهدة - المشافهة - الإجازات - والمكاتبة - الآثار - التعاليل والخطوط - المؤلفات السابقة) ثانياً: طرق الإسناد إلى المصدر.
١٠٥	الفصل الرابع : منهج ابن العديم في الكتابة التاريخية :

١٠٦	- كتاب بغية انتطلب في تاريخ حلب .
١١٥	- كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب.
١٣٠	- كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعري.
١٤٠	الخاتمة :
١٤٥	الملاحق:
١٥٣	قائمة المصادر والمراجع:
١٥٤	أولاً : المصادر العربية
١٦١	ثانياً : المراجع العربية
١٦٧	ثالثاً : المراجع الأجنبية

المقدمة

يعتبر ابن العديم واحداً من أهم مؤرخي التاريخ الإسلامي، فقد تنوّع مؤلفاته التاريخية من المصادر القيمة والموثقة، فقد كانت سجلاً مفعماً بحركة التاريخ في حقبة من الزمن عايشها وتأثر بها، وسجل أحداثها، فأصبحت بذلك أثراً لا ينسى.

ويرجع اختيار الباحثة لأنّ العديم كموضوع للدراسة إلى سببين:

الأول عدم وجود دراسة متخصصة عنه أو عن مؤلفاته بعامة والمنهجية بخاصة، لذا عكفت الباحثة على دراسة هذا المؤرخ دراسة وافية، تكشف عن ثقافته واهتماماته كتاباته التاريخية.

والثاني أهمية مؤلفاته التاريخية التي رصّدت فترة من أهم فترات العصور الوسطى خاصاً عصر الحروب الصليبية، بما شهد من صراعات سياسية وحربية سواء كانت بين الحكام المسلمين أو بينهم، وبين الغزاة الصليبيين ثم المغول. فقد كان شاهد عيان انفرد برصد أحداث لم ترد في مصادر غيره الأمر ^{إذ} ^ي، جعل كتاباته تحتل مكانة هامة في تاريخ تلك الفترة لاحتواها على معلومات قيمة صار هو مصدرها.

ومن المشكلات والصعاب التي واجهت الدراسة، ضعف الماده ^{اللمسية} التي قدمتها لنا مصادر البحث، على الرغم من كثرتها، لأن ما كتب عنه لا يتعدى أسطراً قليلة ليس فيها غير تردّد لها هو شائع عنه في المصادر التي نناولت ترجمته. وبالتالي فقد حجب عنا الكثير من تفاصيل حياته الخاصة وال العامة التي أثرت في تكوينه ومكانته الاجتماعية حينذاك. وما استوفني اتساع المساحة الزمنية المؤرخ لها خاصاً في كتابيه "زبدة الحلب من تاريخ حلب" و "بغية الطلب في تاريخ حلب" فالأول ابتدأ أحداثه من قبل الإسلام وتوقف عند أحداث عام ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م.

والثاني ترجم فيه لأشخاص ترجع إلى ما قبل الإسلام وحتى قبل وفاته عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م. ولما كان من الصعوبة استيعاب المحتوى التاريخي لمصنفاته كلها بما شملته من أحداث وعصور مختلفة وحكام متعدّلين وترجمات لا حصر لها. عمدنا إلى تحديد الجزء الخاص بتاريخه لفترة الحروب الصليبية لدراسته منهجه، حيث انفرد فيه بأحداث لم ترد في مصادر أخرى وذلك لمعاصرته للعديد من أحداثها، وبالنسبة لترجمته عمّدت إلى اتباع الأسلوب الانتقائي حيث اختارت من الترجمات ذات الأهمية التي من خلالها يتضح لنا منهجه،

ولعل أكبر الصعوبات هي الدراسة المنهجية لمؤلفات مؤرخ كبير مثل ابن العديم.

أما عن المنهج المتبوع في الدراسة، فهو المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على استقراء النصوص وتحليل المضمون متخذة منه وسيلة تفتح لنا آفاقاً لمعرفة فكر ابن العديم. كما تمت الاستعانة بالمنهج النقدي في مناقشة رواياته التاريخية المختلفة، كذلك استخدمت المقارنة بين كتاباته التاريخية، وكتابات بعض المؤرخين الذين تركوا مؤلفات تاريخية هامة عكست منهجيتهم فيتناول أحداث التاريخ التي تناولوها، وذلك من أجل تكوين رؤية نقدية عامة عن منهج ذلك المؤرخ في الكتابة التاريخية.

وقد اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على قائمة متنوعة من المصادر والمراجع وأول هذه المصادر كتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، فقد أفرد ترجمة وافية لابن العديم وأسرته وتتبّع أهمية تلك الترجمة بأن ابن العديم كتبها بنفسه لياقوت الحموي بناءً على سؤال الأخير له.

يلي ذلك مؤلفات ابن العديم نفسه، التي أوضحت مكانته السياسية والأدوار التي قام بها ومشاركته فيها ورصده عن قرب لمعاريف عصره.

وتعد مقدمة الدكتور / سامي الدهان لكتاب "زيادة الحلب" دراسة وافية عن حياة ابن العديم وإن لم تخلو من نقص. وإلى جانب بعض المصادر التي أشارت إليه في ترجمات مقتضبة في سطور وجاءت متشابهة في عباراتها إلى حد كبير. وقد تبّينت أهمية تلك النصوص من مصدر لآخر فمن المصادر التاريخية كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير (٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)، وكتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي (٨٧١ هـ / ١٤٦٩ م)، إلى جانب مصادر طبقات الحنفية ومنها: كتاب "الجواهر المضيئة" لأبي الوفاء القرشي (٧٧٥ هـ / ١٣٧٤ م) وكتاب "تاج التراجم" لابن قططويغا (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م).

أما المراجع فمنها كتاب مريم محمد "موارد ابن العديم التاريخية ومنهجه في كتابه بغية الطلب" فهو الدراسة الوحيدة المخصصة لدراسة مصادر ابن العديم، وقد أفادني كثيراً في تتبع مصادر ابن العديم الكثيرة في الفصل الثالث من الدراسة، ومنها أيضاً فرانزروزنثال "علم التاريخ عند المسلمين" وكتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" وشاكر مصطفى "التاريخ العربي والمؤرخون". والسيد عبد العزيز سالم كتاب "التاريخ والمؤرخون العرب"،

وجمال فوزي وكتابه "التاريخ والمورخون في بلاد الشام". إلى جانب بعض المراجع التي تناولت الكثير من الفترات التي أرخ لها ابن العديم وساعدت في إزالة بعض الغموض الذي انتاب كتابته المختصرة لبعض الأحداث ومنها كتاب "الحركة الصليبية" لسعيد عبد الفتاح عاشور، وسهيل زكار وكتابه "تاريخ الدولة العربية في المشرق" وكتاب أحمد رمضان أحمد "المجتمع الإسلامي في بلاد الشام".

وبالنسبة للمراجع الأجنبية فقد كان من أهمها بعض كتابات المستشرين عن ابن العديم ومن أهمهم:

- Bernard lewis, Histoire D'Alep par Kamal ad-Din ibn al-Adim 588-660/1192-1262.
- Three biographies from Kamal al – Din .
- Sauvaget, Extraits de "Bughyat at-Talab" d'Ibn ALdim.
- David Morray, Egypt and Aleppo in Ibn Al Adim's Bughyat Al Talab Fi Ta'rikh Halab .

ومن المراجع الهامة أيضاً الموسوعات الأجنبية ومنها:

- Medieval Islamic civilization An Encyclopedia .
- Encyclopedia History Gorphy of the Muslim world .
- Encyclopedia of Islam, 2nd edition .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة. تناولت المقدمة تعريف بالموضوع وبأنهم المصادر والمراجع التي تناولته والمنهج الذي استخدم فيها، كما احتوى التمهيد على عرض موجز لتطور الكتابة التاريخية عند المسلمين حتى القرن ٧ هـ .^{١٢}

أما الفصل الأول وعنوانه (ابن العديم عصره وحياته) فقد تناول القسم الأول منه عرضاً للعصر الذي عاش فيه ابن العديم والذي يبدأ بوفاة الناصر صلاح الدين وما أحدثه من مشكلات أثرت على حلب من الناحية السياسية خاصة صراع أفراد البيت الأيوبي فيما بينهم للاستيلاء على الحكم الأيوبي في العالم الإسلامي إلى جانب علاقات حلب مع

الصلبيين وسلاجقة الروم والملاليك والتتار، ثم أحوال المجتمع الحلبي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد تناول القسم الثاني من الفصل نشأة ابن العديم من حيث نسبه وأصول عائلته ومكانتها فقد انتهى لأسرة عريقة ثم تكوينه العلمي وما تلقاه من علوم دور والده في دفعه لحب العلم والتعلم ومصادر ثقافته ثم حياته الخاصة ومكانته الاجتماعية من خلال الوظائف والسفارات التي قام بها حتى مقدم الغزو المغولي لحلب وانتقاله بعد ذلك للقاهرة ثم وفاته.

وقد تناول الفصل الثاني وعنوانه (مؤلفات ابن العديم) قسمين القسم الأول عرض جميع مؤلفات ابن العديم في كافة فروع المعرفة سواء كانت مفقودة أو منسوبة إليه أو المخطوط منها أو المطبوع، ثم اختص القسم الثاني بالمحور التاريخي لممؤلفاته من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعقدية من خلال مقارنته بكتابات المؤرخين المعاصرین لتلك الأحداث.

واختص الفصل الثالث وعنوانه (مصادر ابن العديم) بدراسة أهم مصادر كتاباته التاريخية من وثائق، ومصادر شفهية ومعاصرة وأثار وكتب تاريخية سابقة إلى جانب عرض لأهم المؤرخين الذي أعتمد عليهم في كتابته التاريخية ثم أسلوبه وطريقته في الاعتماد على المصدر والنقل منه.

واعتنى الفصل الرابع والأخير وعنوانه (منهجية ابن العديم في تأريخيه) بدراسة مؤلفاته التاريخية وهي كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، وكتاب زيادة الحلب من تاريخ حلب، والإنصاف والتحرى في دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعربى، وذلك من خلال عرض منهج كل كتاب على حدة ثم عرض لأهم السمات المنهجية المشتركة بينهم وبين مؤلفات مؤرخين سابقين عليه كابن عساكر في كتابة تاريخ دمشق، وابن القلansi وكتابه ذيل تاريخ دمشق، إلى جانب منهجه في النقد.

أما الخاتمة، فقد اختصت برصد التائج التي توصلت الدراسة إليها، ومنها أن منهجية ابن العديم تؤكد أنه ابن عصر الحروب الصليبية وببلاد الشام ولذلك نجده متتفقاً مع مناهج المؤرخين المسلمين السابقين عليه.

ولا يسعني في هذا المقام إلا التقدم بوافر الشكر وحالص التقدير إلى أستاذنا الفاضل

الأستاذ الدكتور / أحمد رمضان على تفضله بقبول الإشراف على هذا البحث وعلى توجيهاته السديدة التي أعادت الدراسة، فقد كان نعم الأب برحابة صدره وسعة علمه وحلمه، فجزاه الله عن خير الجزاء. كما لا يفوتي أن أتقدم بشكري إلى الأستاذ الدكتور / محمد مؤنس على ما قدمه للباحثة من نصائح وأفكار أثرت البحث، كما أشكر أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة على ما سيقدمونه سلفاً من ملاحظات، كما أتقدم بالشكر لكافة أساتذتي وزملائي بقسم التاريخ. كما أتقدم بالشكر للقائمين على مكتبات كلية الآداب جامعة عين شمس ومكتبة كلية التربية والمكتبة المركزية بنفس الجامعة، ومكتبة كلية دار علوم والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة، ودار الكتب المصرية، والجمعية التاريخية، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، ودير الآباء الدومينikan، ومكتبة دير الآباء الفرنسيسكان على ما قدموه لي من تسهيلات، وإلى كل من مد يد العون والمساعدة ولم يتسع المقام لذكره وبعد فتلك هي محاولتي المتواضعة، فإن أصبحت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي وحسبي محاولة الاجتهاد، وسائل الله أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع.

التمهيد

تطور مناهج الكتابة التاريخية عند المسلمين حتى القرن ٧ هـ / ١٣

تعددت المناهج التي استخدمها المؤرخون في كتابة التاريخ، فقد اتبع مؤرخو مصر والشام عبر القرون الأولى التاريخ باستخدام المنهج الروائي أي منهج علماء الحديث في جمع المادة وتدوينها^(١)، لكون معظمهم محدثين. فقد اهتموا بصحة نقل الخبر عن طريق الإسناد، والدقة في تحير سلسلة الرواية لإثبات صحة الخبر، فيرد الخبر في جملة واحدة وسلسلة رواته في عدة سطور، ثم يظهر في صورة موضوعات وأخبار وحوادث منفصلة.^(٢)

ومع بدايات القرن ٤ هـ / ١٠ م تطورت الكتابة التاريخية حيث بدأ المنهج التاريخي يأخذ شكلاً واضحاً تحددت فيه معالمه الأساسية إذ أنتشر التدوين بصفة عامة^(٣). وتمكن التاريخ من النفوس ولم تعد الرواية تكفي في نقل الخبر التاريخي. وعلى هذا تحول المؤرخ من مجرد إخباري كما كان يطلق عليه مميزاً عن المحدث في بداية التاريخ إذ كان يقوم باستيعاب الأخبار والمحافظة على كيفية نقلها من خلال سلسلة الرواية، تحول هذا المؤرخ إلى البحث عن ذات الخبر نفسه دون التقيد بتلك السلسلة، فقد أعتمد على الوثائق الديوانية، والأخبار المتداولة ومشاهداته الشخصية^(٤).

وقد أدت غزارة المادة التاريخية التي تعددت التاريخ السياسي والديني إلى الشئون الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، على قيام المؤرخين باتباع المنهج الحولي أو طريقة التدوين حسب السنين وهو تاريخ للأحداث سنة بعد سنة بحيث تجتمع مختلف الحوادث في كل سنة تحت عناوين متعددة كأن يقال (في سنة كذا، ثم جاء في سنة كذا). أما الصلة بين مختلف الحوادث المدونة والتي تجري في سنة معينة تقوم بإضافة جملة (وفيها) أي وفي السنة نفسها،

(١) سيده إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٧٦، ١٩٧٦، ص ٢٥؛ صائب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ط. بيروت ١٩٨٥، ١٩٨٥، ص ١٦٥؛ عبد العزيز الدورى، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط. بيروت ١٩٦٠، ١٩٦٠، ص ٦١.

(٢) إبراهيم العدوى، مناهج التاريخ الإسلامي، مقالة حوليات دار علوم، العدد الثالث ١٩٧٠-١٩٧١، ١٩٧١، ٧٧-٧٥؛ هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادى، ط. القاهرة ١٩٨٨، ١٩٨٨، ص ٥٦.

(٣) مصطفى الشعكمة، مناهج التأليف عند العرب، ط. بيروت ١٩٨٢، ١٩٨٢، ص ٣٨-٣٩.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ط. الإسكندرية ١٩٨٧، ١٩٨٧، ص ٨٣-٨٨؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ط. بيروت ١٩٨٣، ١٩٨٣، ص ٣٧٨؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٣، ١٩٦٣، ص ٢٠٣.

وأهم المؤرخين الذين اتبعوا هذا النهج هو الطبرى، وابن مسکویه^(١).

ورغم أن المؤلف هو الذي كان يقرر مدى التفاصيل في وصف الحوادث فإنه لم يكن بإمكانه أن يعطينا صورة واضحة متتابعة لأخبار حادثة طويلة تمت لعدة سنوات، لأنه كان محكوماً بذكر تفاصيل تخص سنة بعينها. أما بقية أجزاء الحادثة فإنها كانت تأتى في سياق أحداث أخرى تعود للسنة التي تلتها، ومن هنا ظهرت عيوب المنهج الخلوي فالحادثة الواحدة تأتى مقطعة وهو ما كان يضعفها ويبعدها عن الوضوح والفهم^(٢)، وقد انتقد ابن الأثير هذا المنهج وحاول بقدر ما استطاع أن يتتجنب ذلك العيب فجمع عناصر الحادثة التي تصل إلى عدد من السنين ويصل بين أجزائتها في سنة معينة^(٣).

وفيما بعد ظهر بعض التطوير على المنهج الخلوي، فقد أحس المؤرخون بحاجتهم إلى نموذج أكثر اتساعاً للتاريخ على نطاق زمني أكبر، فأدخل الذهبي في كتابة تاريخ الإسلام تقسيماً فرعياً تبعاً للعقود وبالتالي فكتابه الذي يتالف من ٢١ مجلداً والذي بدأ من التاريخ الإسلامي حتى بداية القرن الثامن الهجري كتب أخبار مسلسلة بحيث تغطي كل منها عشر سنوات^(٤). ثم تطور التقسيم ليكون حسب القرون في كتب التراجم والطبقات كما عند ابن حجر العسقلاني في كتابه "الدرر الكامنة في أعيان المائة السابعة" والسخاوي في كتابه "الضوء اللامع"^(٥).

ثم حدث تطور في مناهج الكتابة بظهور منهج جديد يهدف إلى التاريخ حسب الموضوعات يتلزم المؤرخ طريقة التاريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء أو الحكام فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص من الخلفاء والحكام وأهم المؤرخين الذين انتهجوا هذا النهج أبو حنيفة الدينوري في كتابه "الأخبار الطوال"، وأبو شامة "الروضتين في أخبار

(١) جمال فوزي، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (٥٢١-٦٦٠هـ)، ط. القاهرة ٢٠٠١، ص ٣٦، ٣٧؛ قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ عند العرب والمسلمين، ط. القاهرة ١٩٨١، ص ٨٩-٩٠.

(٢) محمد أحد ثرحبني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، ط. بيروت، بدون تاريخ، ص ١٢٣؛ صائب عبد الحميد، علم التاريخ، ص ١٥٢.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص ٨٤.

(٤) فرانز روزثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحد، ط. بغداد ١٩٦٣، ص ١٢١.

(٥) محمد أحد ثرحبني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، ص ١٣٩.

الدولتين" وكتابي ابن شداد وابن عبد الظاهر عن سيرة الملك الظاهر^(١). وقد أدى ضعف الخلافة العباسية، وقيام الدوليات المستقلة في المشرق الإسلامي وفي المغرب أيضاً، أن برزت بعض المراكز الثقافية الجديدة لتنافس عاصمة الخلافة ببغداد، فازدهر النشاط الفكري في مصر وحلب والقيروان وظهرت الحاجة إلى الاهتمام بالتاريخ الإقليمية المحلية، التي كانت وليدة ارتباط المؤرخ ياقلieme والاعتراض بوطنه^(٢).

ثم ظهرت مؤلفات خاصة بتاريخ المدن الإسلامية سواء كانت عاصمة أو مدينة إلى جانب وصفها جغرافياً خاصة في بلاد الشام نتيجة تجزئته إبان الوجود الصليبي فقد عنى المؤرخون بذكر فضائل مدنهم ومميزاتها الجغرافية ومكانتها عبر العصور، إلى جانب تراجم لمشاهير أعianها وفقهائها ومحديثها، ومن أمثلة المؤرخين الذين اتبعوا ذلك النهج ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق وابن العديم في كتابه بغية الطلب وابن شداد في كتابه "الأعلاق الخطيرة"^(٣).

وقد ساعد على ازدهار هذا النهج اعتباره نوعاً من الدفاع الذاتي للتحدي الصليبي الذي فرض نفسه على الساحة الإسلامية آنذاك. لذلك اتجهت مؤلفات بلاد الشام باعتبارها مقر التزاع إلى التضخم في التاريخ للمدن وخاصة مدتي بيروت وحلب اللتين وقعا عليهما عبء القتال^(٤). لأنه عندما تعرضت البلاد لخطر الغزو الخارج تدرك مدى الخطير الذي يهدد حضارتها وتراثها فتأخذ في الاهتمام بهذا التراث وهذا ما أوضحه هاملتون جب حيث قال: (وانتقل مركز التدوين التاريخ بالعربية إلى الشام، حيث كان ظهور أسرة آل زنكي والأيوبيين حافزاً على تأليف عدد من كتب التاريخ)^(٥) وإلى جانب تواريخ المدن ظهرت

(١) صاحب عبد الحميد، علم التاريخ، ص ١٥٢؛ جمال فوزي، التاريخ والمؤرخون، ص ٤٥.

(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، القسم الثالث، ترجمة محمود فهمي وأخرون، ط. القاهرة ١٩٩٣، ص ٢٣٣-٢٣٤؛ قاسم عبد قاسم، في تطور الفكر التاريخي، ط. القاهرة ٢٠٠٤، ص ١٢٦.

(٣) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي. المجلد الأول، ج ٢، ط. بيروت ١٩٧٠، ص ١٢٧؛ إبراهيم فرغلي، الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع هـ. ط. القاهرة ٢٠٠٠، ص ٩٥.

(٤) قاسم عبد قاسم، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، ط. القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٣٩؛ عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون، ص ١١٠؛ فتحي البراوي، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ط. القاهرة ١٩٩٦، ص ١٠٤.

(٥) هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٩، ص ١٦٨.

التاريخ العامة التي كانت في الوقت نفسه تعبيراً عن شعور الشام بارتباطه بالعالم الإسلامي وارتباط العالم الإسلامي بها خلال الحروب الصليبية.^(١)

وفي مقابل توارييخ المدن ظهرت توارييخ الأسر الصغيرة والأفراد البارزين ؛ ومعظم ما كتب في هذا النوع إما نوعاً من التفاخر وتسجيل الأمجاد الخاصة، أو نوعاً من التملق والتقرب للحكام. ولم تكن تقتصر على الأسر الكبيرة الهامة ولكنها تتناول أحياناً بعض الأسر المحدودة القيمة والأهمية، والتي يؤرخ بعض أفرادها لأسرته بغية التأكيد على شأنها وقيمتها السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية ومن أمثلة ذلك كتاب ابن الأثير "الباهر في الدولة الأتابكية" لتاريخ هذه الأسرة، وكتاب "أخباربني سليمان" للقاضي أبو المعالي أحمد بن مدرك، وكتاب "نسببني صالح" وقد كتبه القاضي أبو طاهر صالح بن جعفر الهاشمي (النصف الأول من ق ٧٧ هـ).^(٢)

كذلك ظهرت السير الفردية والذاتية ليس فقط للحكام كما كان معروفاً من قبل بل شملت رجال الدين وكبار الحفاظ والزهاد والمتصوفين حيث ألفت لهم كتب تروي سيرهم وكراماتهم. وفي الوقت نفسه كانت القيمة الاجتماعية للشعر والأدب والغناء تدفع في اتجاه آخر إلى كتابه سير الشعراء خاصة مع حفظ أشعارهم ومن ثم ظهرت أعداد كبيرة من الكتب عن الشعراء والأدباء، وكثيراً ما كان بعض تلاميذ أو أنصار كبار العلماء البارزين يكتبون بدورهم سيرهم تعبيراً عن الإعجاب والاحترام لهم، ورغم أن هذه الكتب من السير المختلفة ذات مقاصد دينية أو اجتماعية أو علمية فإنها في الوقت نفسه من كتب التاريخ.^(٣)

ولم يكن رجال السياسة أقل حظاً في مجال السير، وسيرهم الشخصية كانت تسجل أعيانهم بانتظام وتعمل على تجميل صاحب السيرة وتخليده وهذا كتب معظمها في عهود أصحابها، ومن نماذج ذلك سيرة ثابت بن سنان التي كتبها إلى الخليفة المعتصم بالله المتوفى عام (٩٠٢ هـ)، وسيرة ابن زولاق لكل من ابن طولون وابنه خارويه وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شداد^(٤). كان ذلك عرضاً موجزاً لتطور الكتابة التاريخية عند المسلمين حتى القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي عصر ابن العديم.

(١) فتحية النراوى، علم التاريخ، ص ١٠٥.

(٢) شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج ١، ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) نفسه، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٤) شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ص ٣٨٠.

الفصل الأول

ابن العديم عصره وحياته

أولاً: أحوال حلب في عصره (٥٨٩-٦٥٨ هـ / ١١٩٣-١٢٥٩ م)

ثانياً: حياته

- نسبة.

- زواجه وأولاده.

- تكوينه العلمي.

- وظائفه وسفارته.

- آراء المؤرخين والشعراء فيه.

- وفاته.

أولاً، أحوال حلب في عصره (٥٨٩-١١٩٢ هـ/ ١٢٥٩-١١٩٢ م).

تميزت حلب ب موقعها الهام على خطوط المواصلات بين بلاد الشام والجزيرة الفراتية والموصل من جهة وبين آسيا الصغرى والشام والجزيرة العربية ومصر من جهة أخرى ، فنشأت نتيجة لذلك علاقات سياسية وعسكرية ودبلوماسية متعددة. لذلك سيتناول أحوال حلب في تلك الحقبة ضمن ظروفها التاريخية المتصلة بها من علاقات مع مصر والقوى الأيوبية ومع الصليبيين وسلاجقة الروم والملاليك والتتار. وقد انقسمت الدولة الأيوبية على نفسها عقب وفاة صلاح الدين الأيوبى ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣ م فصارت دمشق وحلب والكرك وبصري وبيبلوس وحمص وغيرها من المدن مراكز لوحدات سياسية يحكمها بعض أبناء البيت الأيوبى الذي لقبوا بالملوك وعلى رأس هؤلاء جميعاً يوجد سلطان مصر صاحب السلطة العليا وهو الملك العادل أبو بكر التي آلت إليه مقايلد الأمور بعد استيلائه على دمشق ومصر^(١). أما حلب فكانت من نصيب الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الذي كان متخوف من استيلاء العادل على حلب، لذلك تأرجحت سياسته في التعامل معه حتى أيقن أنه غير قادر على التغلب عليه عسكرياً، فعمل على تغيير سياسته وتحسين علاقاته به لضمان بقاء حلب له ولأناته، عن طريق المصاورة حيث تزوج ابنة الملك العادل ضيفة خاتون^(٢) واستناداً لذلك أوصى الظاهر بالحكم من بعده لولده منها العزيز محمد، وبيان يكون أتابكه^(٣)

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، تحقيق محمد يوسف، ط. بيروت ٢٠٠٣، ص ٤٣٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب في مناقببني أيوب، ج ٣، تحقيق حسين محمد، ط. القاهرة ١٩٧٧، ص ٥٠٣؛ ابن الوردي، تمه المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ط. بغداد ١٩٦٩، ص ١٦٢ - ١٦٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢، ط. القاهرة ١٩٩٦، ص ٧١٩؛ خاشع المعاضيد، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ط. لبنان ١٩٨٦، ص ١٩٨.

Camaron (M.) , Saladin: The politics of the holywar , cambridg university 2000, P. 245.

(٢) ضيفة خاتون ابنة الملك العادل أبو بكر ولدت بقلعة حلب عام ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م وتزوجت الملك الظاهر غازي وأنجبت له العزيز محمد انظر عنها: الخنليل، شفاء القلوب في مناقببني أيوب، تحقيق مدحمة الشرقاوي، ط. القاهرة ١٩٩٦، ص ٢٨٢ - ٢٨٣، الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٣، ط. حلب ١٣٤٥ هـ، ص ١١٦، عمر كحالة، أعلام النساء، ج ٢، ط. بيروت ١٩٥٩، ص ٣٣٩.

(٣) أتابك تعني مربي أبناء الملوك وهو لفظ تركي مركب من أتا بمعنى الأب وبك بمعنى الأمير انظر: مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط. بيروت ١٩٩٦، ص ١٧.

اشتهر الأتابك طغري بالزهد والتقوى الذي انعكس على إخلاصه في أداء مهمته، وقد أنقذت سياساته التي تجلت بالصداقة تجاه أبناء العادل حلب من المؤامرات التي تعرضت لها وساهمت في تثبيت الأتابك والملك العزيز محمد، وقد امتازت سياساته تجاه مشاكل الأيوبيين وصراع الأخوة بالحيدار ثم تحولت إلى مساعدة الملك الأشرف في السيطرة على دمشق، لما لها من أهمية سياسية كبيرة بالنسبة لحلب، ولما تسلم العزيز الحكم تطلع إلى مد نفوذه إلى حمص، وقام بالزواج من ابنه الملك الكامل بن العادل وكان يهدف من ذلك ضمان حقه في حلب واستمرارها في ذريته^(٢). عهد العزيز بالملك لولده الناصر يوسف الثاني الذي لم يتجاوز السابعة من عمره، فقادت جدته ضيفة خاتون بالوصاية عليه، وقد تمكنت من الحفاظ على استقلال حلب حتى تسلم الناصر الحكم وتمكن من توسيع حدود مملكته فضم إلى حلب ديار مصر وأعمال الخابور ثم سيطر على حمص ثم استولى على دمشق على أثر مقتل السلطان المعظم توران شاه بن الصالح أیوب في مصر عام (١٢٥٠ هـ / ١٢٤٨ م)^(٣). وقد تميز حكمه بالاستقرار والأمن وقام فيه باستعادة مدينة خلاط^(٤) من خوارزم شاه آخر ملوك الدولة الخوارزمية عام (١٢٣٠ هـ / ١٢٣٧ م)^(٥) وشارك في الحملة التي أعدها الملك الكامل ناصر الدين محمد حاكم مصر عام (١٢٣١ هـ / ١٢٣٤ م) ضد دولة سلاجقة الروم ثم توفي عام (١٢٣٤ هـ / ١٢٣٦ م)^(٦).

(١) ابن العديم، زيدة الحلب من تاريخ حلب، ج ٣، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٦٨، ص ١٧٥ - ١٨٠.

p. 219 .Carl (F.) , history of Egypt , Islamic Egypt , vol. 1 , Cambridge University 1998,

(٢) ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٣، ص ٢٠٧ ، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٢٧.

(٣) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص ٤٠ ، المقربي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، تحقيق محمد عبد القادر، ط. بيروت ب ت، ص ٣٧٢.

(٤) خلاط: بلدة من أرمينية الوسطى كثيرة الزرع والمياه، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ط. بيروت، ١٩٧٧، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

(٥) هو جلال الدين منكريقي أنظر عنه: النسوي، سيرة جلال الدين منكريقي، تحقيق حافظ أحد حدي، ط. القاهرة، ١٩٥٣، ص ٣٧٠ - ٣٨٣؛ حافظ احمد حدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ط. القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٥ وما بعدها.

(٦) ابن العديم، المصدر السابق، ص ٢١٧ ، ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ط. القاهرة، ب ت، ص ٢١.

أما عن علاقة حلب والصلبيين في شمال الشام، فقد تتمثل بالتحالف مع أنطاكية ضد الأرمن، وتتمثل أيضاً في مساعدة أمراء حمص وحماة ضد الصليبيين، فقد ارتبطت حلب بعلاقات سلمية مع أنطاكية، اتسمت بعدم حدوث صدامات عسكرية كبيرة بينهما، وقد نتج عن هذه العلاقات حالة عداء مع الأرمن في عهد الظاهر بسب الصراعالأرميني الصليبي حول أنطاكية، وجنحت إلى السلم في عهدي العزيز والناصر يوسف^(١).

أما العلاقات مع دولة سلاجقة الروم فقد تميزت بالمصالح المشتركة، فقد حرص الظاهر على الاحتفاظ بعلاقات حسنة مع سلاجقة الروم لإدراكه عدم قدرته على الدخول معها في حرب مفتوحة إضافة إلى ادخار قوته العسكرية لاستخدامها في الصراع على دمشق^(٢). لكن أطاع سلاجقة الروم وسياسة التوسيع التي كان يتبهجها ملوكهم ظهرت بعد وفاة الظاهر، بتدخل ملكها كيكاووس في شئون حلب باقتراحه تعين الملك الأفضل أتابكاً لعسكر حلب لأنه عم الملك العزيز والأولى بتربته وحفظ ملكرة ويداً هدفه واضحًا في السيطرة على حلب غير أن اقتراحه لم يلق قبولاً لدى أغلب أمراء حلب، وأستقر رأيهم على رفضه ولذلك قرر كيكاووس غزو حلب إلا أن استنجاد الأتابك طغقول بالملك العادل الذي أرسل ولده الأشرف لنجددة حلب قد أدى لفشل الهجوم وقضى على محاولة سلاجقة الروم التوسيع جنوباً وأجبرهم على العودة إلى سياسة التحالف مع حلب فاستقرت العلاقات خلال بقية عهد الأتابك والملك العزيز بالرغم من مساعدة جيش حلب عام ٦٣١هـ / ١٢٣٢م للملك الكامل في الهجوم على أراضي دولة سلاجقة الروم^(٣).

وقد تعمقت العلاقات في عهد الصاحبة ضيفة خاتون بقيام مصاهرة بين الدولتين انضمت دولة سلاجقة الروم إلى الحلف الشامي ضد الملك الكامل ثم ضد ولده العادل، ووقفت بجانب حلب في صراعها مع الخوارزمية واستغلته لمصلحتها في التوسيع على حساب الأيوبيين^(٤).

(١) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٣، ص ١٥٨-١٥٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦٨-١٦٩.

(٣) نفسه، نفس الصفحة بغية الطلب، ج ١، ص ١٠٥؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦٣-٢٦٩.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ ابن واصل، نفسه، ج ٥، ص ١٢١.

وقد اتسمت العلاقات مع المماليك بالعداء الصريح، لأن الأيوبيين في الشام كان من الصعب عليهم قبول استيلاء المماليك على مصر بعد قتل سلطانها الأيوبي، وقيامهم بتنصيب السلطان المعز أباً يحيى على البلاد^(١).

لذا اتجه الملك الناصر بجيشه إلى مصر والتقي بجيش المماليك في منطقة العباسة الواقعة بين بلبيس والصالحية، وقد كان النصر فيها أولاً للناصر إلا أن الوضع انقلب لصالح المماليك عام (٦٤٨ هـ / ١٢٥١ م) وفر الناصر إلى الشام وعاد المماليك ظافرين ومعهم الأسرى إلى القاهرة^(٢).

وفي عام (٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م) أنهى الوضع المتوتر بين الناصر يوسف والمعز أباً يحيى بتدخل الخليفة العباسية إذ أرسل الخليفة المستعصم، نجم الدين الباذراني رسولاً إلى الطرفين واستطاع عقد صلح تضمن أن يكون للمماليك حكم مصر كلها إضافة إلى حكم غزة ونابلس والقدس والساحل الشامي في نهر الأردن ويكون للناصر ما وراء ذلك أي بقية بلاد الشام، وبذلك تم اعتراف الناصر بالدولة المملوكية في القاهرة رسمياً^(٣).

ورغم ذلك ظلت الأجواء مضطربة بينهم بسبب قيام المماليك الهاريين من أباً يحيى بإقناع الناصر بفتح مصر عام (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) ولكن الأمر انتهى بالصلح بين الطرفين بفضل وساطة الخليفة العباسي^(٤). ورغم ذلك ظلت العلاقات تتارجع بينهم على هذا الحال حتى عام (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) حيث قام المغول^(٥) بالاستيلاء على بغداد، وقاموا بتدميرها وأنهوا

(١) عن قيام دولة المماليك البحرينية انظر: ابن أباً يحيى الدوادري، الدر المطلوب في أخبار ملوك بنى أبوب، تحقيق سعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٧٢، ج ٢، ص ٣٧٠ وما بعدها، سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المملوكي في مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٩٤، ج ١٥ وما بعدها، السيد الباز العربي، المماليك ط. بيروت ب ت، ص ٥٥.

(٢) ابن الوردي، تمه المختصر، ج ٢، ص ٢٦٥-٢٧٠، ابن تغري بردي، التぐوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة، ج ٧، تحقيق محمد حسين، ط. بيروت ١٩٩٢، ص ٩-٦.

Stephen (R), The Ayybids of Damascus (1193-1260), America 1977, pp. 318-322.

(٣) ابن الوردي، المصدر السابق، ص ٢٧٤؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٤١٥؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٣٨٥؛ سعيد عاشور، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٤) ابن تغري بردي، التぐوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٣؛ ابن الوردي، تمه المختصر، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٥) المغول هم قبائل رعوية آسيوية نشروا في المضبة المعروفة باسم مضبة منغوليا شمالاً صحراء جوي غرب

وعلى الرغم من أن الناصر كان أقوى أمراء الشام الأيوبيين إلا أنه أظهر الضعف والتخاذل بعد احتلال المغول لبغداد، ويبدو أنه قدر أن هولاكو قائد المغول سيستولي على الشام فرأى أن يهادنه، فأرسل سفارته إليه يرأسها ولده الملك العزيز محمد محملة بالهدايا، والتحف لإعلان خضوعه له، ولكن هولاكو لم يجد اهتماماً بالهدايا ولم يشفع للناصر عدم مجئه إليه لتقديم الطاعة ومن ثم اتجهت نيته لغزو الشام عام (١٢٥٨هـ / ١٢٥٩م)^(٢).

تقدماً الجيش المغولي إلى حلب وأرسل هولاكو رسالة إلى الملك العظيم تورانشا^(٣) نائب الناصر، يطلب فيها تسليم المدينة ووعده بالأمان مع أتباعه لكنه رفض وصمم على القتال، فقام المغول بمحاصرة حلب سبعة أيام ثم اقتحموها وغدرروا بأهلها وقتلووا منهم الكثير^(٤).

و شمال الصين، بدموا بتوحيد صفوهم في ق ١٣ م / ٥٧ هـ و كانوا الإمبراطورية المغولية عنهم انظر: الجوني، تاريخ جهانكشاي، ج ١، ترجمة محمد التوتبي، ط. القاهرة ١٩٨٥، ص ٦٠؛ بيرتولد شيلر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد اسعد عيسى، ط. دمشق ١٩٨٢، ص ١٧؛ عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٩٧، ص ٣٣؛ فؤاد عبد العاطي الصياد، المغول في التاريخ، ط. القاهرة ١٩٧٥، ص ٥٧؛ Soundars (J. i.) , The history of the Mongols, London 1971, p. 20.

(١) عن سقوط بغداد انظر: ابن الوردي، المصدر السابق، ص ٢٧٩ - ٢٨٠؛ الحمداني، جامع التوارييخ، ج ٢، ترجمة محمد صادق وأخرون، ط. القاهرة ١٩٦٠، ص ٢٩٤ - ٢٨٦؛ السيد الباز العربي، المغول، ط. بيروت ١٩٨٦، ص ٢١٦ - ٢٢٣.

(٢) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ط. بيروت ١٩٥٨، ص ٤٨٤ - ٤٨٥؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص ٤٥ - ٤٦؛ الخنبل، شفاء القلوب، ص ٤١٦؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٧، تحقيق سعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٨٥، ص ٣٨٥؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ١، ط. حيدر آباد الدكن ١٩٥٤، ص ٤٥.

(٣) توران شاه هو كبير البيت الأيوبي ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي توفي عام (١٢٥٨هـ / ١٢٥٩م) أنظر عنه: الزبيدي، ترويع القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. بيروت ١٩٨٣، ص ٧٦.

(٤) ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٤٨٦، ٤٨٨؛ ابن الوردي، تسمة المختصر، ج ٢، ص ٢٩٢؛ النويري، المصدر السابق، ص ٣٨٦ - ٣٨٧؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، تحقيق حسن إسماعيل، ط. بيروت ١٩٩٩، ص ١٧٦؛ حامد غنيم، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٣، ص ٢٨.

Morgan (D. O.), the Mongols in Syria (1260-1300), in crusade and Settlementd, by peter Edbury Cardiff 1985, p. 231.

ولما بلغ ذلك الملك الناصر وكان بدمشق اتجه إلى مصر لكنه لم يدخلها لوجود عداوة بينه وبين ملكها المظفر قطز^(١)، فخاف أن يقబن عليه فتوجه إلى التار^(٢). وقد تمكن المظفر قطز من إيقاف زحف المغول والانتصار عليهم في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨/١٢٥٩م)^(٣) ولما بلغ هولاكو هزيمة جنوده أحضر الملك الناصر وأخوه الظاهر غازي وقتلها معاً وهكذا انتهى الحكم الأيوبى في حلب وبدأ الحكم المملوكي بها^(٤).

أما عن الأحوال الاقتصادية لحلب في تلك الفترة فعلى الرغم من حالة الاضطراب السياسي التي شهدتها، فقد تعمت بالازدهار التجارى، فقد كان لوقوع عملقة حلب على ملتقى الطرق التجارية القادمة من الصين والهند عبر العراق^(٥)، أثر كبير في قيام نشاط تجاري بين مدن الشام الداخلية مثل دمشق وحلب حيث أصبحوا محطات تجارية باللغة الأهمية ما بين الشرق عامه والساحل الشرقي للبحر الأبيض خاصه^(٦). فقد تميزت حلب بثرائها، وعمرت بالأسواق الواسعة، والحمامات، ودأب التجار على جلب مختلف الحاصلات إليها، وكان من خصائص أسواقها، أن ما يعرض بها ينفذ بعد ساعة وصوله، وفاقت في ذلك القاهرة^(٧). وعلى الرغم من التمزق السياسي التي عانته حلب إلا أن ذلك لم يقف عقبة أمام ازدهار

(١) الملك قطز ثالث ملوك دولة المالكية البحرينية، حكم مصر عام (١٢٥٨/٥٦٥٧م) قتل بعدها على يد الأتابك الظاهر بيبرس البندقدارى انظر عنه: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ط. القاهرة، ب. ت. ، ص ٢٢٣-٢٢٢.

(٢) ابن الوردي المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٣ ؛ المقرizi، السلوك، ج ١، ص ٤٢٩.

(٣) عن موقعة عين جالوت انظر: المذانى، جامع التواریخ، م ٢، ج ١، ص ٣١٣-٣١٤؛ بيبرس الدوادارى، مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح، ط. القاهرة ١٩٩٣، ص ١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٧، ط. القاهرة، ب. ت، ص ٣٦٠-٣٦٢؛ سعيد عاشور، العصر المالكى، ص ٣٧-٣٨.

Thorou(p.) , " The Bottle of Ayn Jalout:a Re-examinatien "in crusade and Settement, ed. By peter w. Edbury,cardiff 1985,pp. 236-239

(٤) الذهبي، دول الإسلام، ح ٢، ص ١٨٠ ؛ العليمى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط. الأردن ١٩٧٣، ص ١٠ ؛ ابن خلدون، العير وديوان المبتدأ والخبر، ج ٥، ط. لبنان، ب. ت، ص ٤٥٢ ؛ Stephen (R.) , The Ayybids of Damascus, p. 350.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، تحقيق دي جوية، ط. ليدن ١٩٣٨، ص ١٦٣.

(٦) سهيل زكار، الدولة العربية في المشرق الإسلامي، ط. دمشق، ب. ت، ص ٢٩٧.

(٧) محمود محمد الحويرى، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢-١٣م، ط. القاهرة ١٩٧٩، ص ١٣٠.

التجارة حيث توافر النقد اللازم لتسهيل المعاملات التجارية فقد كان في حلب داراً نسخ الدرارهم وسبك ما يحمل إليها من الذهب والفضة^(١) ووجدت الفنادق التي أمنت إقامة التجار والأسوق العديدة، بالإضافة إلى الخانات التي شكلت عطبات خاصة لاستراحة القوافل ومكاناً لبيع الأنواع المتعددة من البضائع، وأيضاً القيساريات التي كانت تتجمع فيها البضائع الواردة من مختلف البلدان وقد أدى توفر كل هذه العوامل إلى قيام حركة تجارية شطة^(٢).

وعلى الصعيد الاجتماعي، تكون المجتمع الحلبي من العرب والموالي^(٣)، وشكل العرب الغالية العظمى منه وانحدروا من قبائل عربية كبيرة، وعلى الرغم من ذلك، فقد شكلت العناصر غير العربية ركناً أساسياً في المجتمع لكونها قوة عسكرية استعان بهم ملوك حلب في دفع الصليبيين عن بلادهم. وبوجود هذه الأعراق المختلفة من ترك وتركمان وأكراد كان لابد أن يؤدي ذلك إلى تمازج في العادات والتقاليد، إلى جانب ذلك فقد أثرت الظروف والاضطرابات التي عاشها المجتمع الحلبي في هذا العصر، بالإضافة إلى ما أصاب حلب من زلازل متعددة، وما اجتاحتها من طواحين كثيرة، كل ذلك جعل الناس ينصرفون إلى طريق التدين، فانتشر التصوف ونشط كثيراً، واحترم الملوك المتصوف وقربوا شيوخهم في مجالسهم الخاصة، وقاموا ببناء منازل لهم تعرف بالخنقاوات كان يخصص بها طعام للصوفية كل يوم، وكان لهم تأثيراً كبيراً وصار لرجال التصوف دعائهم ومريلوهم وشعراوهم^(٤).

وعلى الصعيد الثقافي، شهدت حلب نهضة علمية كبيرة فقد اهتم الأيوبيون بنشر الثقافة وقاموا بالارتقاء بها، فشجعوا العلماء والطلاب وأغدقوا عليهم الأموال والهدايا. وقاموا بإنشاء المنشآت الالزامية لذلك من مدارس لدراسة العلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير^(٥). وأقاموا الكثير من المكتبات حتى صارت في كل مسجد ومدرسة، فضلاً عن

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ج٤، ط. بيروت، ص ٤٧.

(٢) سهيل زكار، المرجع السابق، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ١، تحقيق سهيل زكار، ط. دمشق، ١٩٨٨، ص ٥٩.

(٤) جمال فوزي، التاريخ والمؤرخون، ص ١٤-١٥.

(٥) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٤، ط. دمشق ١٩٢٦، ص ٣٨.

المكتبات الخاصة التي اقتناها رجال العلم، ومن أشهر مكتبات حلب خزانة الصوفية^(١) فقد حرص الكثير من الملوك الأيوبيين على أن تكون مجالسهم محاطة برجال العلم والأدب، فقد كان صلاح الدين الأيوبى يجمع حوله رجال العلم ويحضر مجالسهم ويستمع إليهم ويشاركهم في أبحاثهم، وقد سار على نهجه ابنه الظاهر غازي ثم حفيده العزيز محمد الذي كان عالماً بالحديث وال نحو^(٢). وقد أتى ازدهار المناخ الثقافى بنتائجه العلمية والأدبية من فقهاء ومحدثين ومفسرين وأدباء ومؤرخين أثروا في الحركة الفكرية بحلب وكان منهم ابن العدين.

(١) شعبان عبد العظيم، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠١، ص ١٢٥ .

(٢) محمد كرد علي، خطط الشام، ص ٣٩-٤٤؛ سهيل زكار، تاريخ الدولة العربية، ص ٢٨٥ .

ترجمت معظم المصادر الإسلامية لابن العديم، واجتمعت على سيرته ولم تختلف فيما بينها، لأنَّه قد كتب سيرته ونسب أسرته، فقد عاش ابن العديم في النصف الأول من القرن ٧٦هـ / ١٣٠٧ م وكان ذلك العصر عامراً بالمؤرخين، حافلاً بالعلماء والمدرسين، وكانت حلب مقصد الوافدين من كل الأقطار من مصر والعراق والمحجاز. فاجتمع إليه ياقوت الحموي وطلب منه أن يكتب له تاريخ أسرته ففعل وقام بنقله إلى كتابه معجم الأدباء، ثم أضاف إليه ما عرفه من ابن العديم لذلك يكاد يكون المصدر الأوحد لنسبه.

نسبة:

يتهمي نسبة ابن العديم إلى أبي جراده صاحب أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه - ويعود نسبة إلى قبيلة ربيعة إحدى كبريات قبائل عامر بن صعصعة العدنانية، التي كانت إمارتهم بأرض العراق والجزيرة، وكان مقر أسرةبني جراده في البصرة في محلة تدعى (بني عقيل)، فالأسرة كبيرة رفيعة المستوى على جانب كبير من الشروة والغنى، ولم تقع في عدم أوفاقيه كما يدل الاسم وإنما كان ذلك لاستعمال أحد أفرادها كلمة العدم في شعره والإكثار منها^(١). ومع مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي انتقلت هذه الأسرة إلى حلب عندما قدم أحد أفرادها ويدعى موسى بن عيسى من البصرة إلى الشام في تجارة وكان أن حدث طاعون في البصرة، فانتقل موسى بأسرته إلى الشام واستوطن حلب^(٢).

ومنذ أن وطئت الأسرة حلب تعمت بنفوذ كبيرة، ومكانة مرموقة ليس بسبب ثرائها الذي مكنها من امتلاك العديد من القرى في حلب مثل أورم الكبرى، ويحملون، وأقدار ولؤلؤة والسين. ولكن لتولى أفرادها المناصب الهاامة في الدول المتعاقبة على حكم حلب لا يوجد واحد منهم إلا وعمل في القضاء والحديث والخطابة والحسنة والإمامية الصغرى وكان منهم الشعراء والفقهاء والكتاب وقد أورد ياقوت شيئاً من مآثر هذه الأسرة ضمن ترجمته

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ط. بيروت، ١٩٨٠، ص ٥-٦؛ فؤاد صالح السيد، معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، ط. بيروت ١٩٩٠، ص ٢١٧.

(٢) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص ٤٧

Fletcher (D.), interpreting the self: auto biography in the Arabic literary tradition, London 2001 , P. 166.

لابن العديم معرفاً بجماعة من مشاهيرها^(١).

كما أورد ابن العديم بعض ترجم عائلته ضمن كتابه بغية الطلب منهم: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن زهير القاضي العقيلي أول من ولي القضاء بحلب منبني أبي جراده عام (٤٣٠هـ / ١٠٣٩-١٠٣٨م) وهو جد جد والد ابن العديم أحمد - ومنهم أيضاً أحمد بن هبه الله أبو الحسن العقيلي الحنفي عم جد ابن العديم إمام وخطيب المسجد الجامع بحلب توفي عام (٥١٤هـ / ١١٢٠م)^(٢). وعمه جمال الدين أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل ولد عام (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) تولى الخطابة بجامع حلب، وعرض عليه القضاء في عهد الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود ولكنه رفض حيث كان منتصراً للعبادة ولازم جماعة من الأولياء^(٣).

أما والده أحمد بن هبه الله سار على خطى آبائه وأجداده فقد كان خطيب قلعة حلب في عهد نور الدين محمود (٥٥٣هـ - ١١٥٨هـ / ١١٧٣-١١٥٨م) وخطيب المسجد الجامع نيابة عن أخيه أبو غانم محمد في عهد الصالح إسماعيل، وتولى خزانة بيت المال في عهده أيضاً، ثم لاه قضاء حلب عام (٥٧٥هـ / ١١٧٩م)^(٤) وظل في منصبه في عهد دولة الملك عز الدين مسعود بن مودود ودولة عماد الدين زنكي بن مودود حتى عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، حيث عزل والده عام (٥٧٩هـ / ١١٨٣م). وقد ذكر ابن العديم أكثر من سبب لعزل والده، ففي ترجمته لوالده ذكر أن تحول الدولة للشافعية أدى إلى تحول المناصب الدينية بها من المذهب الحنفي إلى الشافعي فعزل والده^(٥). وفي كتابه زيدة الحلب ذكر في أحداث عام (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) أن تعصب الفقيه الشافعي عيسى الهكاري^(٦) كان وراء ذلك، حيث عزل عمه أبو المعالي عبد الصمد أولاً ثم عزل أبيه عن القضاء^(٧). وفي ترجمة ياقوت ذكر أن والده

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٨ - وما بعدها؛ سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مؤرخو القرن السابع الهجري، ج ١٦، ط. دمشق ١٩٩٥، ص ٤-٣.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ص ١٢٢٣، ١٢٠٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٣٤.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٢١١-١٢١٢.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ص ١٢١١.

(٦) هو ضياء الدين أبو محمد عيسى بن محمد، أحد أمراء الصلاحة، اعتمد عليه صلاح الدين ولم يكن يخرج عن رأيه انظر عنه: ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٩٧-٤٩٨.

(٧) ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٣، ص ٧١.

قرر أن يتنحى عن منصب القضاء بعد أن رأى تحول الدولة إلى الشافعية وعزل أخيه، وأن الأمر سيؤول إليه فأستاذن في الحج والإعفاء عنه رغم محاولات إثنانه عن ذلك^(١).

وقد ولد للقاضي أحمد بن هبه الله عده بنات وولد واحد ذكر، توفي وعمره خمس سنوات، فحزن عليه وأصابه بأس حتى رأى رفيا، فسرت له بأنه سيولد له ولداً يعلو قدره، وبعظم أمره، ويُشيع بين الأئم ذكره، فمن الله عليه، بكمال الدين عمر المعروف بابن العديم^(٢).

زواجه وأولاده:

تزوج ابن العديم مرتين، وطلق الأولى بسبب خلاف بينه وبين عائلتها وكانتا من أعيان حلب، والثانية كانت ابنة الشيخ بهاء الدين أبي القاسم المعروف بالعجزي كبير شيوخ الشافعية^(٣). وأول أبنائه هو أحمد ولد عام (٦١٢هـ / ١٢١٥م) وقد سمي باسم جده^(٤)، وقد أشار ابن العديم في ترجمته لوالده، أنه ترجم لابنه أحمد ولكنها في عدد المفقود من الكتاب^(٥) وقد عاش هذا الولد وسمع من أبيه شعر البهاء زهير بن محمد عام (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)^(٦). وقد ذكر عز الدين ابن شداد أنه عمل مدرساً بمدرسه شاذبخت حتى عام (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م)^(٧). حيث توفى ببلاد الروم فنقل إلى حلب ودفن بها^(٨).

وهذا يوضح لنا أن السيماعات الموجودة على كتاب البغية والمكتوبة بخط ابن العديم نفسه لم يرد فيها ذكر لسماع ابن الأول له والمسمي أحمد، ولا يوجد ذكر لسيرته أو تاريخ وفاته في المصادر كما هو الحال بالنسبة لأنوخيه عبد الرحمن ومحمد والسماع الوحيد الذي ذكر

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٣٦؛ الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء المجلد الثاني، ج ٤، ط. حلب ١٩٢٣، ص ٤٧٩.

(٢) ياقوت الحموي، المصدر، ص ٤١-٣٩؛ Fletcher (D.) *interpreting the self*, P. 166.

(٣) ياقوت، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٤٣؛ الطباخ، أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٨٣.

(٤) التميمي الداري، الطبقات السننية في تراجم الحنفية، ج ١، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط. القاهرة ١٩٨٣، ص ٤١٥.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ١٢١٣.

(٦) نفسه، زبدة الحلب، ص ٤٨ مقدمة المحقق.

(٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج ١، قسم الأول، ط. دمشق ١٩٥٣، ص ١١٠.

فيه اسم أحمد كان في عام (١٢٣٧هـ / ١٢٤٠ - ١٢٣٩هـ) في كتاب التذكرة^(١).

أما ولده الثاني فهو مجد الدين عبد الرحمن ولد عام (١٢١٧هـ / ١٢١٤م)^(٢)، كان أول حنفي يتولى الخطابة بالقاهرة^(٣)، وأول من تولى التدريس بالمدرسة الظاهرية عندما أنشأها الظاهر بيبرس، ثم عاد إلى دمشق وتولى قضاء الحنفية وتوفي بها عام (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)^(٤). ولده الثالث هو جمال الدين محمد ولد عام (١٢٣٥هـ / ١٢٣٨م) رحل مع والده إلى بغداد وسمع من شيوخها، وسكن حماه وحدث بها وتوفي عام (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)^(٥). أما ابنته الوحيدة التي ذكرتها المصادر، فأسمها شهدہ ولدت عام (٦١٢هـ / ١٢١٥م)^(٦) وقد تعلقت بالعلم وأجاز لها ثابت بن شرف وسمعت من الكاشغري، ومن عمر بن بدر سعيد الموصلي^(٧).

وقد سمع أبناء عبد الرحمن ومحمد وابن أختهم كتاب البغية عن أبيهم وكثيراً ما كان أبن العديم يشير إلى هذا السباع في حواشي بعض أجزاء الكتاب حيث كتب نصه:
(بلغ الولد محمد قراءة وسمع أخوه عبد الرحمن وابن أخته محمد في الثاني عشر من ذي الحجة من سنة خمس وخمسين وستمائة)^(٨). وفي سماع آخر جاء فيه: (سمع هذا الجزء سنة خمس وخمسين وستمائة)^(٩)

تكوينه العلمي:

ولد أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد عام (١٩٢هـ / ١٩٩٢م)^(١٠) وقد تثقف بثقافة

(١) ابن العديم، زيده الحلب، ج١، مقدمه المحقق، ص ٤٨.

(٢) التعمي، الطبقات السننية، ج ٤، ص ٢٩٣.

(٣) الصقاعي، تالي وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سويله، ط. دمشق ١٩٧٤، ص ١٠٣؛ التعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ٢، تحقيق جعفر الحسني، ط. القاهرة ١٩٨٨، ص ٢٥٨.

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ٢، تحقيق خليل المنصور، ط. دمشق ١٩٧٤، ص ١٠٣، أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ب. ت، ص ١٨١.

(٥) القرشى، الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ١٠٢؛ الطباطبى، إعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٣٠.

(٦) الطباطبى، المرجع السابق، ص ٤٩٩.

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٣٢٧.

(٨) نفسه، ص ٤٣٨، سِيَّاراتُ أخْرَى ج ١ / ص ١٢١، ١٧٤، ١٠٥، ٢١٣.

(٩) القرشى، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج ١، ط. المندب ت، ص ٤٣٨٦؛ مادة ابن العديم، دائرة المعارف البستانى، ج ١، ط. بيروت، ب. ت، ص ٥٩٦؛ فاطمة محجوب، الموسوعة الإسلامية، ج ١، ط.

عصره التي سادت القرن (٧ هـ / ١٣٠٧)، وهي ثقافة عبادتها القرآن الكريم ودراسة الحديث الشريف وعلومه، وقراءة الأدب والشعر، وإجاده الخط، وبدأ حياته العلمية عند بلوغه السابعة من عمره، عندما حمل إلى المكتب للدراسة، وهناك ظهرت موهبه مما بشر بنبوغه المبكر، وتفرس فيه معلمه النجابة والذكاء فقال: (لمن عاش هذا الطفل لا يكون في العالم اكتب منه)^(١). وفي التاسعة من عمره ختم القرآن، وقرأ بالعشر وله عشر سنوات^(٢)، ثم أتجه لدراسة الحديث وعلومه وهو في السادسة عشر من عمره وذلك عام (٦٠٤ هـ / ١٢٠٨ م)^(٣).

وقد تعددت المصادر التي شكلت ثقافة ابن العديم ما بين بيته التي أثرت فيه، وعنياته والده به، وشيخه سمع منهم، و المجالس علميه وأدبية ورحلات لطلب العلم من مدينة أخرى، وكتب متنوعة في شتى دروب المعرفة. وتأتي البيئة في مقدمة المصادر التي شكلت فكر ابن العديم وأحاطت به، إذ شهدت حلب في عصره نهضة فكرية في شتى المعارف، فقد اهتم سلاطين بني أيوب بنشر الثقافة، وتشجيع العلماء والطلاب لدراسة العلوم الدينية إلى جانب العلم والأدب والشعر، ولهذا وجدنا الفقهاء ذوي الأفاق الواسعة كانوا أدباء وشاعراء ومؤرخين، ولم يقتصروا في دراساتهم على المذاهب الفقهية ودراسة الحديث^(٤).

ومن هؤلاء الأعلام القاضي بهاء الدين بن شداد (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) فكان قاضياً ومؤرخاً وفقيراً^(٥). وعباد الدين الأصفهاني (٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) كان فقيهاً شافعي المذهب برع في نظم الشعر وصناعة الكتابة^(٦).

ولا يمكن أن نغفل تاريخ عائلته العريق بمشاهيرها حيث كان نصب عينيه وهو يخطو

القاهرة ١٩٩٠، ص ٣٩٥

Lewis (B.), Art Ibn-al-Adim , Encyclopadeia of Islamic, vol. 3, leiden
1986,pp. 695-696.

(١) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٣٨؛ سهيل زكار، الموسوعة الشامية، ج ١٦، ص ٤.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٩، ص ٤٠٠٢

(٣) نفسه، ج ٦، ص ٢٩٧٩؛ Fletcher (D.), interpreting the self , p. 167.

(٤) إبراهيم فرغلي، الحركة التاريخية في مصر وسوريا، ص ٥٩.

(٥) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤، ص ٨-٦ مقدمة.

(٦) إبراهيم فرغلي، المرجع السابق، ص ١٣٠.

خطواته الأولى في عالم المعرفة، تاركاً أثراً بداخله، بأن يجدو مثلهم ولا يتختلف عن ركبهم.

وقد قال ياقوت فيهم:

(بيت أبي جراداة بيت مشهور من أهل حلب، أدباء شعراء، فقهاء عباد، زهاد، قضاة،
يتوارثون الفضل كابراً عن كابر، وتاليًا عن غابر).^(١)

يلي ذلك دور والد كمال الدين (أحمد بن هبة الله)، فقد كان له أثراً كبيراً في تكوينه العلمي، فقد اعنى به عنابة خاصة منذ حداثة عمره، فكان يجتهد على تحصيل العلم، فحفظ كتاب اللمع وقرأه على شيخ حلب الضياء بن دهن الحصا، كما حفظ كتاب القدوري^(٢) في فقه الحنفية في مدة يسيرة، ولم يكتف بذلك بل شجعه على إتقان قواعد الخط، فكان يربى خط ابن الباب^(٣) ويطلب منه تقلیده، فقد كان حسن الخط وإجادته ميزة تختص بها عائلته، فقد كتب أحد أجداده بخطه ثلاثة من الكتب لنفسه وخزانة لابنه، وكان جمال الدين أبو غانم عم كمال الدين حسن الخط يكتب على طريقة ابن الباب ونسخ العديد من الكتب والمصاحف^(٤).

لذا برع فيه ابن العديم وأتقنه حتى صار ذو شهرة كبيرة به^(٥) وقد ذكر ياقوت أكثر من حكاية على تشابه خط ابن العديم بابن الباب بل وتفوقه عليه^(٦).

ولما كانت الرحلة في طلب العلم من أهم مصادر المعرفة، فيرتحل الطالب لجمع الحديث من أقوال الرواة والنقلة من البلدان المختلفة، وأنباء تأدية فريضة الحج حيث يلتقي الحاج

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٥.

(٢) كتاب القدوري هو مختصر فقه الحنفية - ألفه أحد بن محمد القدوري (٤٢٨هـ / ١٠٣٧م) ولد ومات في بغداد وانتهت إليه رئاسة الحنفية بها انظر عنه: القرشي، الجواهر المضيئة، ج ١، ص ٢٤٧، اللكتوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تحقيق محمد بدرا الدين، ط. القاهرة، ١٣٢٤هـ، ص ٣٠-٣١.

(٣) هو أبو الحسن علي بن هلال البغدادي، الكاتب المشهور المعروف بابن الباب (٤٢٩هـ / ١٠٣٢م) خطاط مشهور من أهل بغداد، هذب طريقة ابن مقلة في الكتابة، انظر عنه: العياد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج ١، ط. القاهرة ب. ت، ص ١٧٨؛ ابن خلگان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٣٤؛ ابن

تغري بردی، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٠٩.

(٤) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٤، ١٠.

(٥) Migual (J.), la Aventura Del Cálamo: Historia, Formas Y artistas de la Caligrafía arabe, London. 2007 , P. 110.

(٦) الحموي، معجم الأدباء، ج ٦، ص ٣٨.

بمعظم علماء وفقهاء الأمصار ويأخذ عنهم^(١)، فقد حرص والد ابن العديم على اصطحاب ابنه معه في رحلاته وأسفاره إلى البلاد المجاورة ليأخذ العلم عن الشيوخ والعلماء فيها. فرافقه في سفره إلى دمشق وبيت المقدس مرتين الأولى في عام (٦٠٣ هـ / ١٢٠٧ م) وعمره خمس عشرة عاماً، والثانية في عام (٦٠٨ هـ / ١٢١٢ م) وعمره عشرين عاماً، واجتمع خلال هاتين الرحلتين بالمشايخ في القدس ودمشق فأفاد منهم وقرأ عليهم وأخذ عنهم^(٢) كما رحل إلى العراق والحجاج^(٣).

وهكذا كان يعني أحمد بن هبه الله بابنه، عناء عادت بفائدة عليه، وهذا ما أكدته ابن العديم حيث قال: (كان والدي رحمه الله بارأ بي، لم يكن يلتفت بشيء من الدنيا غير التذاذ بالنظر في مصالحي)^(٤).

يأتي الشيوخ في المرتبة التالية بعد والده، فقد تلقى منهم الحديث وعلومه والفقه وأصوله والأداب والتاريخ والشعر والأنساب والأخبار وهم كبار كتاب وشيوخ عصره نذكر منهم:

في حلب عمر بن طبرز^(٥)، وافتخار الدين عبد المطلب الهاشمي^(٦)، وعبد الرحمن بن علوان، وبهاء الدين يوسف بن شداد قاضي حلب^(٧)، ثابت بن شرف وابن روزيه وغيرهم من أهل حلب أو الواردین إليها^(٨).

أما في دمشق فقرأ ابن العديم على تاج الدين أبي اليمن الكندي وتلقى العلم على يديه مرتين - الأولى عام (٦٠٣ هـ / ١٢٠٧ م) وقرأ عليه المقامات الحريرية وبعض كتب الأدب-

(١) أحد رمضان أحد، الرحلة والرحلة المسلمين، ط. جدة، ب. ت. ، ص ١٣، ١٤.

(٢) الحموي، المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) الكتب، فوات الوفيات والذيل عليها، المجلد ٣، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٤، ص ١٢٦.

(٤) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٥) أبو حفص عمر بن محمد شيخ الحديث في عصره، حدث ببغداد والموصى وحلب وتوفي عام

(٦) هـ / ١٢١٠ م) انظر عنه: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ط. القاهرة، ب. ت، ص ٦١؛ المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، ج ٢، ط. بيروت ١٩٨١، ص ٢٠٧.

(٧) هو عبد المطلب بن الفضل انتهت إليه رئاسة الحنفية في حلب وتوفي بها عام (٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) انظر القرشي، الجواهر المضيئة، ج ١، ص ٣٢٩.

(٨) انظر ترجمة ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٨٤.

(٩) ابن العياد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار بن ذهب، ج ٥، ط. القاهرة ١٣٥١ هـ، ص ٣٠٣؛ البافعي.

والثانية (١٢١٢هـ / ١٢٠٨م) وقرأ عليه كتب الأدب والحديث^(١). وقرأ أيضاً على القاضي ابن الحرستاني^(٢)، وابن طاوس^(٣)، وابن البناء، والحسين بن صصرى^(٤) الذي اجتمع به ابن العديم ثلث مرات على فترات متقاربة وأخذ عنه أجزاء من الحديث.

والبهاء عبد الرحمن وابن المنى وأحمد عبد العطار، والعماد إبراهيم وغيرهم^(٥). وسمع ببغداد من عبد العزيز بن محمود بن الأخضر وغيره^(٦). وللاحظ تلمذ ابن العديم وأخذ عن شيخ وعلماء مشهورين كانوا سادة العلم في عصره وكلهم عالم ضلائع ألف واشتهر وكان حجة في علمه، فأخذ عنهم ونهل من فيض علومهم وظهر أثر ذلك في مؤلفاته.

وقد أدرج ابن العديم في كتابه البغية تراجم لشيخ آخر تلمذ على أيديهم منهم أحمد بن عبد الله السلمي (١٢١٥هـ / ١٢١٨م)، والشيخ إسماعيل بن حامد القوصي (٥٦٥٣هـ / ١٢٥٥م)، أحمد بن هبه الله بن سعد الجبراني (٥٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)، الناصح ابن الحنبلي عبد الرحمن بن نجم (٥٦٣٤هـ / ١٢٣٦م)^(٧) وغيرهم من الشيخوخ الذي لا يتسع المقام لذكرهم. وأخذ عن ابن العديم تلاميذ كثر فسمع منه ابن مسدي^(٨)، وابن الحاجب^(٩) وذكراه في معجمهما، وسمع منه الدمياطي^(١٠) وأنشد من شعره وأبو القاسم أحمد بن محمد بن الحسين

(١) انظر ترجمته: ابن العديم، بغية الطلب، ج ٩، ص ٤٠٠٢.

(٢) هو أبو القاسم جمال الدين عبد الصمد شيخ القضاة في عصره توفي عام (١٢١٤هـ / ١٢١٨م) انظر: المقدسي، الذيل على الروضتين، تحقيق السيد عزت العطار، ط. القاهرة ١٩٤٧، ص ١٠٦.

(٣) هو أبو المعالي أحمد بن الخضر بن هبه الله الدمشقي أحد شيوخ الحديث بدمشق انظر: ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٧٢٣.

(٤) انظر ترجمته: ابن العديم، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٧٩٥.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الواقي، ج ٨، تحقيق محمد محمد أمين، ط. القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٧١.

(٦) الكتبى، فرات الروفيات، ج ٣، ص ١٢٦.

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ٩١٨/٢، ٩١٨/٤، ١٦٣١/٤، ١٦٣٢-١٦٣١/٣، ١٦٣٢-١٦٣١/٦، ١٢٠٧/٣، ١٢٦٨/٦.

(٨) هو جمال الدين محمد بن يوسف الأندلسى من حفاظ الحديث توفي عام (١٢٢٩هـ / ١٢٢٩م) انظر: المقرى، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج ٢، ط. بيروت ١٩٦٨ ص ١١٢.

(٩) جمال الدين عثمان بن أبو بكر من كبار علماء اللغة العربية سكن مصر ودمشق انظر: الزركلى، تراجم الأعلام، ج ٣، ط. بيروت، ص ٦٢٩.

(١٠) هو أبو محمد شرف الدين المؤمن بن خلف الدمياطي حافظ للحديث من أكابر الشافعية توفي

وغيرهم بالإضافة إلى طلاب كثيرون سمعوا منه في بلاد متعددة^(١).

وقد استقى ابن العديم، ثقافته أيضاً من المجالس العلمية والأدبية التي أقامها الملوك والأمراء، فقد كانت شخصيات العصر من شعراء وأدباء وفقهاء، ويتم فيها مناقشة مسائل الفقه والاستماع إلى نصح الفقهاء ومدح الشعراء، ومن هذه المجالس مجلس الظاهر غازي حاكم حلب فقد أخذ في أحد المرات أشعار للفقيه الأشرف بن الأعز المعروف بتاج العلي (١٢١٠هـ/١٢١٢م)^(٢)، ومجلس الوزير البغدادي أبي طالب بن العلقمي، الذي اجتمع فيه بالفقيه أحمد بن هبة الله ابن الحميد ودار بينهم مباحثة في الفقه، واستمع فيه إلى الشاعر أسعد بن إبراهيم الإربلي وهو يلقى قصيدة في مدح الخليفة العباسي^(٣).

وإلى جانب المجالس العلمية، فقد لعبت الكتب دوراً مهماً في إثراء فكر ابن العديم وتنوعه، خاصة وأنه كان كثير الإطلاع في شتى أنواع المعرفة، فقد توفر له ما لم يتتوفر لغيره من المؤرخين، إذ أن أسفاره المتعددة وترسله في سفارات لسلطان القاهرة وخلفاء بغداد وغيرها من المدن مكنته من الاطلاع على خزائن وكتب ووثائق كل بلد زارها فنهل منها بالإضافة إلى إرث أجداد العلمي، كل ذلك مكنته من إغناء مكتبه وإيداع كل كتبه بها فحازت على شهرة كبيرة.^(٤) ويظهر ذلك جلياً في مصنفه (بغية الطلب) فقد بلغ عدد الكتب المحصاة والتي ذكرت صراحة فيه أكثر من أربعين وخمس وتسعين معظمها من الكتب الكبيرة التي يحتوي كل منها على عدة مجلدات ومن ثم نستنتج من ذلك كيف كانت سعة عقله الذي استوعب كل هذا المجموع، مع سرعة بديهته في استحضار ما تحويه.

وظائفه وسفاراته:

تولى ابن العديم أول عمل رسمي له في عام (١٢١٩هـ/١٣٠٦م) فتولى التدريس في مدرسة شاذبخت^(٥)، التي كانت من أجل مدارس حلب وأحسنتها، رغم أن حلب أعمق ما

عام (١٣٠٦هـ/١٢١٩م) انظر: الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ١٢.

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٨، ص ٢٧١.

(٢) انظر ترجمته: ابن العديم، بغية الطلب، ج ٤، ص ١٨٧٦.

(٣) نفسه، ج ٣، ص ١٢١٤، ج ٤، ص ١٥٥٩.

(٤) الغزى، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٣٧.

(٥) تعني بالفارسية سعيد الحظ وهو لقب عرف به جمال الدين الخادم الهندي نائب نور الدين محمود بحلب، انظر الطباخ، إعلام النبلاء، ج ٢، ص ٨٤.

كانت بالعلمه والمشيخ والفضلاء إلا أنه تم اختياره لهذا المنصب، وعمل مدرساً وكان ذلك إحدى أمنيات والده التي تحقق بعد وفاته^(١). وقد ظل يعمل بها ومعه ابنه عبد الرحمن نائباً عنه حتى استقل بها ابنه جمال الدين محمد وظل بها حتى مقدم الغزو المغولي لبلاد الشام^(٢). وتولى التدريس أيضاً بالمدرسة الحلاوية، وكانت من أهم مدارس حلب عام (١٢٣٤هـ/١٩١٣م) وظل يعمل بها حتى انتقل إلى دمشق في خدمة الملك الناصر، فتولى ابنه مجد الدين عبد الرحمن التدريس بها^(٣)، وهذه المدرسة لا تزال قائمة حتى الآن، ويوجد على أطراف محرابها لوحة حجرية يقال أن ابن العديم كتبها بخط يده^(٤).

وقد عمل ابن العديم على إنشاء مدرسة سميت بالمدرسة العديمية انتهت عماراتها عام (١٢٥١هـ/١٩٣٠م)، وكانت تقع شرقى حلب ويني إلى جوارها تربة وجوسقاً (قصر) وبستانًا، ولم يدرس بها أحد وقد علل ابن شداد سبب ذلك لانتهاء حكم الناصر يوسف قبل استيفاء غرضه فيها^(٥). على الرغم أن الفارق الزمني بين انتهاء عماراتها ونهاية حكم الناصر حوالي عشرة أعوام، ولكن أغلبظن أن انتقال ابن العديم إلى دمشق مع الناصر يوسف وانشغاله بمهام السفارات لم يمكنه من الانتهاء منها خاصة أن كلاً من أولاده يعمل في مدارس حنفية أخرى وبالتالي لم يتحقق ابن العديم غايته من إنشائها.

وبالإضافة إلى توليه مهام التدريس عمل ابن العديم في سلك القضاء، فتولى منصب قاضي قضاة حلب في عهد يوسف بن العزيز محمد^(٦).

وقد حل ابن العديم العديد من الألقاب التي ذكرتها المصادر وتدل على رفعه مكانته وعظمتها بين معاصريه ومنها: الصاحب العلامة^(٧)، رئيس الشام^(٨)، رئيس

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٤٤.

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص ١١٤؛ Fletcher (D.), interpreting the Self, P. 169.

(٣) ابن العجمي، كنز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعت - فالح اليكور، ط. سوريا ١٩٩٦، ص ٣٤٤.

(٤) الطباخ، المرجع السابق، ج ٤، ص ٤٩٩.

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ١٢١.

(٦) علي حيدر النجاري، ابن العديم، مقالة بجمع اللغة العربية، مجلد ٤٩، ج ٢، ط دمشق ١٩٧٤، ص ٤٥٦.

(٧) اليافعي، مرآة الجنان، ج ٤، ص ١٥٨.

(٨) الكتببي، فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٢٦.

الأصحاب، المحدث، المزركش الأديب، الكاتب، الإمام العالم^(١)، رئيس الرؤساء، سيد الوزراء، الأمير الوزير، الرئيس الكبير، سفير الخلافة المعظمة^(٢).

ولما كانت مهام السفاراة من الأعمال الجليلة التي يقوم بها أناس معنيون توافرت لديهم صفات معينة ومؤهلات خاصة، نظراً لخطورة الدور الذي يقومون به، خاصة في عصر أصبح الاهتمام به بشخص السفير أمراً ضرورياً لإنجاح المهمة^(٣).

ولا شك أن ابن العديم كان أول من ينطبق عليهم تلك الشروط. فقد أشارت المصادر عن المعاملة التي تلقاها ابن العديم بصفته سفيراً ذكر اليونيني عن سفارته من قبل الملك الناصر إلى الخليفة العباسى قائلاً:

(فلما قدم إلى باب التوبى كجاري العادة في تقبيل العتبة أخرجت له سجادة وبسطت وأمروه أن يصلى ركعتين زيادة في إكرامه وعلو قدره ثم قيل له نحن نحو الرسل من أجل مرسليها، ونحن نعزم مرسلك لأجلك)^(٤).

وذكر الصفدي أنه في بعض سفاراته كان يركب في حفنة تشد له بين بغلين ويجلس فيها ويكتب^(٥)، فقد كانت المراسيم تقام للصاحب فلا يدخل عليه إلا من يؤذن له، ويقدم السلطان إليه الهدايا فيوزعها هو فمن حضر^(٦). وقد أرسل ابن العديم في مهام سياسية إلى ملوك الدول المجاورة للشام وإلى خلفاء بغداد وسلطانين القاهرة في أمور هامة أشار إليها أثناء تاريخه لمدينة حلب ونذكر منها:

- سفارته من قبل الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي عام (١٢٣٤هـ/١٢٣٨م) إلى أخيه الملك الصالح أحمد في عين تاب^(٧) في مهمة لموافقة الأخير على إقرار يوسف بن عبد العزيز خلفاً له في الحكم^(٨).

(١)اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٥١٠.

(٢)ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣٦.

(٣)القلقشندى، صبح الأعشى، ج ١، ص ١١٦.

(٤)اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ٥١٠.

(٥)ابن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق رمزي بعلبكي، ج ٢٢، ط. بيروت ١٩٨٣، ص ٤٢٣.

(٦)ابن العديم، زيدة الحلب، ج ١، ص ٣٠، مقدمة المحقق.

(٧)قلعة حصنه بين حلب وأنطاكية ومن أعمال حلب أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ١٧٦٤.

(٨)ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٤.

- وسفارته في السنة ذاتها إلى ملك قيصرية غياث الدين كيخسرو لتعزيته في وفاة والده علاء الدين كيقباذ، وتجديد الاتفاques القائمة بين البلدين^(١).
- سفارته عام (١٢٣٥هـ / ١٢٣٧م) في مهمة صلح بين الملك المجاهد صلاح الدين شيركوه الثاني حاكم حمص والملك المظفر الثاني تقى الدين محمود حاكم حماه. وسفارته في نفس العام إلى بلاد الروم لاتفاق على عقد قران الملك الناصر يوسف على أخت الملك غياث الدين كيخسرو^(٢).
- وسفارته إلى مصر عام (١٢٣٩هـ / ١٢٤٠م) رسولاً إلى الملك العادل الثاني من قبل الملكة الخاتون لتهنئته بهزيمة الصليبيين في غزة، إلى جانب إرسال بنات الملك العادل الكبير إلى أختهن الملكة الخاتون، وقد نقل أيضاً رسالة العادل إلى الملكة لإقرار الاستقرار بين البلدين^(٣).
- وسفارته إلى دمشق عام (١٢٤٠هـ / ١٢٤٠م) لطلب النجدة من ملكها الصالح إسماعيل بن العادل عندما بدأ الخوارزميون^(٤) الهجوم على حلب^(٥).
- إلا أن أهم سفاراته كانت سفارتين: الأولى عام (١٢٥٤هـ / ١٢٥٦م) والتي أرسله فيها الملك الناصر يوسف الثاني إلى الخليفة العباسي المستعصم في بغداد في مهمة لتوطيد العلاقات بينهما قبل الاجتياح المغولي^(٦).
- والثانية عام (١٢٥٩هـ / ١٢٥٧م) عندما قدم إلى مصر رسولاً من الناصر يستتجد المصريين على قتال التتار بسبب اقتراهم من الشام بعد استيلائهم على بلاد الجزيرة وحران وعدد من المدن الشامية^(٧).

Morray (D.), Medieval visit to the castle of Rawandan, in Anatolian Studies, vol. 43, Ankara 1993, P. 140.

(١) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٢) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) نفسه، ج ٣، ص ٢٤٧.

(٤) انظر تفاصيل الصراع في: حافظ حدي أحمد، الخوارزمية والمغول، ص ٣٥ وما بعدها.

(٥) ابن العديم، المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٦) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٣، تحقيق محمد زينهم، ط. القاهرة، ب. ت، ص ٢٣٠؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٦٩.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢١٥، المقرizi، السنوك، ج ١، ص ٥٠٦؛

آراء المؤرخين و الشعراء فيه:

كان ابن العديم عالماً فاضلاً، بلغ بعلمه وذكائه مكانة عظيمة عند الخلفاء والملوك، وكان يفدي إليه الكباء والشعراء. فقد مدحه الكثير من شعراء ومؤرخين عصره من عاشوا في حلب أو قابليهم أثناء سفاراته إلى جانب ما ذكره المؤرخين اللاحقين عليه عن طريق السماع نذكر منهم:

ياقوت الحموي^(١) الذي عاصره وتقابل معه حيث قال عنه: (أن الله عز وجل عنى بخلقه، فأحسن خلقه وخلقه وعقله وذهنه)^(٢).

ووصفه ابن كثير^(٣) بناءً على ما سمعه عنه: (بأنه حسن الظن بالفقراء والصالحين كثير الإحسان إليهم)^(٤).

وقد ذكره ابن تغري بردي^(٥) قائلاً: (كان إماماً فاضلاً، وهو أحد الرؤساء المشهورين والعلماء المذكورين)^(٦).

وقال عنه ابن العماد الحنبلي^(٧) (كان قليل المثل عديم النظير فاضلاً، ونبيلاً، ورأياً، وحزماً وذكاء)^(٨).

ووصفه ابن قططويغا^(٩) قائلاً: (كان جليل القدر، كثير العلوم، أوحد في الكتابة)^(١٠).

Meri (J.), Medieval Islamic Civilization an Encyclopedia, vol 1, Jordan 2005 P. 342.

(١) هو أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي المولود أسر من بلاده صغيراً وانتراه تاجر فعمله القراءة والكتابة ليستفيد منه في إدارة تجارتة انظر عنه: ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٢، ٣١١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٣٧.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الإمام الحافظ أنظر عنه: العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ١، ص ٦٧-٦٨.

(٤) ابن كثير، البداية، ج ١٣، ص ٢٤٩.

(٥) أبو المحاسن جمال الدين يوسف ولد عام ١٤١٣هـ / ٨١٣ م، كان والده من كبار الأمراء الماليلك وله مؤلفات عديدة انظر عنه: شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج ٣، ١٦٩-١٧٠.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٢٠٩.

(٧) أبو الفلاح عبد الحفيظ بن احمد الدمشقي الحنبلي، أنظر عنه: شذرات الذهب، مقدمة المحقق، ص ٨٧-٨٩.

(٨) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٠٣.

(٩) زين الدين قاسم بن عبد الله الحنفي المتوفى سنة ١٤٧٤/٨٧٩ أنظر عنه: شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج ٣، ص ٢٤٢.

(١٠) ابن قططويغا، تاج التراجم في طبقات الحنفية، ط. بغداد ١٩٦٢، ج ٤٨، ص ٤٨.

وذكره اليونيني بقوله: (كان متواضعاً ليناً حسن المحاضرة، كثير الإفادة)^(١).
وفاته:

انتقل ابن العديم إلى دمشق بعد أن تولى الناصر يوسف حكمها عام (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م)، وظل ملازماً له حتى سقوط حلب في أيدي المغول، ثم غادرا معاً إلى مصر هرباً من الغزو المغولي، ولكن الناصر تراجع عن دخوله مصر خوفاً من الأمراء المالكية، فهنا كان من ابن العديم إلا أن فارقه وتوجه إلى مصر وأستقر بها، وقد ذكر بعض المؤرخين^(٢). أنه عاد منه أخرى إلى حلب بعد أن عينه هولاكو قاضياً على بلاد الشام، بينما لم تشير أي من المصادر التاريخية عن خبر تلك الواقعة.

وبعد استقرار ابن العديم بمصر، بفترة وجيزة تمكّن الملك المظفر قطز في عام (٦٥٨ هـ / ١٢٦٢ م) من هزيمة المغول في موقعة عين جالوت التي أنهت الزحف المغولي على بلدان العالم الإسلامي^(٣) وعلى أثر ذلك رحل التار عن حلب عام (٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م) بعد أن أعملوا فيها الخراب والدمار^(٤).

وعند ذلك عاد ابن العديم مرة أخرى إلى بلدته، وقد هالة ما لحق بها من تدمير شامل فيكاهها بقصيدة طويلة عبر فيها عن مدى الأسى والحزن الذي انتصره على بلدته وعلى نفسه، حيث لم يختلف حاله عنها فكليهما كانا نجمة في الأفق ثم آفل واختفى حيث قال:

فَهَا أَنَا ذُو وَجِيدٍ يَمْبَدِيْلُ
أَنْوَحُ عَلَى أَهْلِيْكَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
وَلَكَنْنَا لِلَّهِ فِي ذَا مَسْنَثَةَ
فَيَقْعُلُ فِيمَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ^(٥)

(١) اليونيني، مرآة الزمان، ج ١، ص ٥١٠.

(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٤، ص ٧٥؛ عباس العزاوي، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والترجمان، ط. القاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٨.

(٣) بيرس الدواداري، مختار الأخبار، ص ١١.

(٤) ابن الوردي، تبة المختصر، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٥) العيني، عقد الجمآن في تاريخ أهل الزمان، ج ١، عصر سلاطين المالكية، تحقيق محمد محمد أمين، ط.

هكذا كان شعور ابن العديم ببلدته لذا لم يطق المقام بها، وعاد إلى مصر وأقام في القاهرة بقية حياته حتى وافته المنية عام (١٢٦٠هـ/١٩٤٣م) ودفن بسفوح جبل المقطم وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله^(١).

هكذا انتهت حياة ابن العديم الحافلة بالأحداث والمواقف والتي لم تستطع المصادر تقديم الكثير عنها، فترجمته الوحيدة الكاملة التي كتبها ياقوت كانت عام (١٢٢٣هـ/١٩٠٩م) وكان يبلغ من العمر واحد وثلاثون عاماً، ولما كانت وفاة ياقوت الحموي عام (٦٦٦هـ/١٢٣٠م) أي قبل وفاة ابن العديم بأربعة وثلاثون عاماً شكلت أهم مرحلة عمرية بالنسبة له، لا نعلم عنها، سوى شذرات متناشرة عن سفاراته في سياق عرضه التاريخي للأحداث مؤلفاته التاريخية، دون تفاصيل عن حياته الخاصة، وما قام به من مهام ووظائف لم يذكرها. وما يثير الدهشة وجود مؤرخ آخر عاصر ابن العديم واعتمد على الكثير من مؤلفاته ولم يورد له ترجمة وهو ابن خلkan في كتابه وفيات الأعيان، فعندما انتقل إلى حلب لتلقى العلوم بها على أيدي علمائها مثل القاضي بهاء الدين ابن شداد عام (٦٢٦هـ) حتى عام (٦٣٥هـ/١٢٣٩م) الذي تعلم ابن العديم منه أيضاً، مما يرجع معرفته به ومقابلته خلال تلك الفترة أثناء دراستهم معاً على أيدي ابن شداد، ولا ندرى ما هو العذر الذي نلتمسه لابن خلkan على قيامه بذلك^(٢).

أما عن حياته في مصر، فلا يوجد لدينا مصدر يروي كيف سارت حياته، وهل ظل على مكانة المرموقة التي طالما تميز وتمتع بها في الدولة الأيوبية؟ وأغلب الظن أن علو مكانته ومتزنته فرض ذلك على حكام مصر الجدد من المالكية، ولا سيما أن ابنه مجذ الدين عبد الرحمن تولى خطابه المسجد الجامع والمدرسة الظاهرية في عهد السلطان بيبرس البندقداري مما يؤكّد على حسن وضعه^(٣).

ومن خلال بعض تراجمه في كتابه بغية الطلب، تأكد لنا أن ابن العديم استكمل كتابه

. ٣٣٩، ١٩٨٧ ص.

(١) الذمي، الإعلام بوفيات الأعيان، تحقيق رياض عبد الحميد، ط. بيروت ١٩٩١، ص ٢٧٦.

(٢) الطباخ، إعلام النبلاء، ج ٤، ٤٩٠-٤٩١.

(٣) المقريزي، الموعظ والاعتبار بذكر الخطوط والأثار، ج ٤، تحقيق أحمد علي، ط. بيروت ١٩٩٨، ص ٢٢٥.

وهو في القاهرة حيث وجدت ترجم كتبها بعد عام (١٢٦٢هـ / ١٢٥٨م) و من ذلك ترجمته للفقيه الشافعي أحمد بن عبد الواحد التي كتبها في مصر بعد الغزو المغولي، حيث تعتبر من الترجم الهامة لها حوتة من معلومات هامة عنها كان يجول بخاطره في تلك الفترة فمن ذلك: رأيه في السلطان قطز المملوكي فقد ذكره قائلاً:

(وبعد أن استولى على مصر، وامتدت يده في الظلم، وقبض أوقاف المدينة بالديار المصرية، قتل وتولى قاتله الملك الظاهر ركن الدين ببرس فاجتمع به وقضى شغله)^(١)
ومن ذلك أيضاً رغبه ابن العديم في إعادة إعمار حلب بعد ما حدث لها، فقد علق على
رواية نقلأً عن الفقيه أحمد بن عبد الواحد قائلاً:

فقلت (فقدر الله تعالى أن التتار استولوا على الشام في سنة ثمان وخمسين وخرج عسكر مصر ومن التجن إلىهم من عسكر الشام مع قطز، والتقوا بعسكر التتار على عين جالوت ففروا التتار ومضوا إلى الشام جميعه فاستولوا عليه، ونرجو من الطاف الله أن البيضاء تكون عماره الشام وعود ما تشعث من مدنه وحصونه إن شاء الله تعالى)^(٢)

هكذا، كان ابن العديم يرغب قبل وفاته، بعودة بلدته على ما كانت عليه ولكن القدر لم يمهله، وختمت حياته العاطرة بذكر لا يقطع.

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ١٠٢٠.

(٢) نفسه، ص ١٠٢١.

الفصل الثاني

مؤلفات ابن العديم

أولاً . عرض مؤلفاته:

- المؤلفات المخطوطة
- المؤلفات المطبوعة
- المؤلفات المفقودة
- المؤلفات المنسوبة

ثانياً - المحتوى التاريخي:

- الجوانب السياسية
- الجوانب الاقتصادية
- الجوانب الاجتماعية
- الجوانب الثقافية والعقدية

أولاً، عرض مؤلفاته، -

كان من جراء المناخ الذي توفر لابن العديم، أن تتمتع بثقافة عميقه واسعة الإطلاع مكتنته من العکوف على تصنيف المؤلفات الكثيرة، منها ما أخذ الطابع التاریخی، ومنها ما أخذ الطابع الجغرافی والتاریخی معاً، ومنها ما يتعلّق بالأدب والشعر، ومنها ما تعلّق بالفقه وهو ما يكشف بجلاء عن تعدد موضوعات تصانیفه، إلا أن بعض هذه المؤلفات فقد ولم يصلنا، والبعض الآخر مخطوط أو منسوب إليه ويحتاج لمن يتحققه وبعضها تم تحقيقه. ونورد فيما يلي محاولة حصر تلك المؤلفات.

- المؤلفات المفقودة:

كتاب "الأخبار المستفادة في ذكر بنى أبي جواده"

ألفه ابن العديم في نسب أسرته، وذكر أبرز مشاهيرهم في مجالات القضاء والفقه والأدب والشعر، وقد ألفه بناءً على طلب ياقوت الحموي، والكتاب لم يصلنا إلا من خلال معجم الأدباء، لأن ياقوت نقل الكثير من مادته في ترجمته لابن العديم وعائلته، ولكن بدون الحفاظ على الترتيب والتبويب الخاص به الذي اعتمدته المؤلف في كتابه حيث قال: (وأنا اذكر قبل شروعي في ذكره [يعنى ابن العديم] شيئاً من مآثر هذا البيت وجماعه من مشاهيرهم، ثم أتبعه بذكره ناقلاً ذلك كله من كتاب ألمه كمال الدين . . .).^(١)

ويمكن تحديد منهج ابن العديم في تأليف هذا الكتاب حين ننظر في كتاب آخر ألفه لغرض مشابه وهو (الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري) فقد ألمه ابن العديم عن أبي العلاء المعري فيلسوف معرة النعماان وذكر فيه نسب عائلته ومآثر جدوده، وما لهم من فضل في القضاء والفقه والأدب والشعر، وسوف نتطرق للحديث عنه ضمن المؤلفات المطبوعة.

وقد ذكر هذا الكتاب بالإضافة إلى ياقوت الحموي كل من: الكتبی^(٢) وحاجی خلیفة^(٣).

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٤٥.

(٢) الكتبی، فوات الوفیات، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) حاجی خلیفة، کشف الظنون في أسامی الكتب والفنون، ١، ط. اسطنبول ١٩٤٣، ص ٣٣٧.

كتاب تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد:

لم يذكره ياقوت الحموي، وربما صنفه ابن العديم لمناسبة اجتماعية، قد تكون لفقد أحد أولاده أو أحد أبناء الملوك الذين اتصل بهم، فعمله لهم تبريداً للألم وبعثاً للصبر على الولد^(١). وقد ذكره كل من الكتببي^(٢) وحاجي خليفة^(٣) أثناء إشارتهم إلى مؤلفات ابن العديم.

كتاب ضوء الصمام في العذر على السمam:

ذكر ياقوت هذا الكتاب وعده ضمن مصنفات ابن العديم وذكر سبب تأليفه له بناءً على رغبة الملك الأشرف موسى^(٤) في التعرف على ابن العديم ورؤية خطه^(٥).

كتاب الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار:

ذكره الشيخ محمد العرضي من رجال القرن الحادي عشر الهجري ونسبة إلى ابن العديم وقد تشكيك سامي الدهان في نسبته إليه، لأن المصدر الذي انفرد بذكره متاخر عنه، ورجح أن يكون لأحد أولاد ابن العديم أو أحد أحفاده، صنفها في عصر متاخر غلبت الركاكة فيه^(٦). ولكن على النقيض من ذلك أشار سهيل زكار محقق (بغية الطلب) وفي أثناء حديثه عن المخطوطة التي اعتمد عليها في التحقيق الموجودة في جامعة أيا صوفيا بإسطنبول، أفاد بوجود ترجمة وافية لابن العديم على الصفحة الثانية من المخطوط كتبها بخطه محمد بن محمد السابق الحموي، وذكر فيها معظم مؤلفات ابن العديم ومن ضمنها كتاب (الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار)^(٧).

(١) مقدمة سامي الدهان - ابن العديم، زينة الحلبي، ج ١، ص ٤٩.

(٢) الكتببي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٣) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ٣٣٧.

(٤) هو الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل وابن عم الملك الظاهر حاكم حران توفي عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٩م) أنظر عنه: زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ط. بيروت ١٩٨٠، ص ١٥١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٤٥.

(٦) مقدمة سامي الدهان، زينة الحلبي، ج ١، ص ٥٠.

(٧) مقدمة سهيل زكار ، بغية الطلب، ج ١، ص ١٩.

المؤلفات المخطوطة:

كتاب في الخط وعلومه ووصف أدابه وأقلامه وطروسه^(١)

ذكره ياقوت الحموي، وأشار بأنه لم ينتهي من تأليفه في وقته^(٢). وقد ذكره ابن شاكر الكتبى بعنوان (كتاب في الخط وعلومه وأدابه ووصف طروسه وأقلامه)^(٣)، وعنوان هذا الكتاب يشير إلى أهميته وقيمتها بين الكتب التي تحدثت عن فن كتابة الخط الذي برع فيه ابن العديم وقيل إنه تقدم فيه على غيره من أعلام الخط العربي^(٤).

كتاب فيه مجموعة من القصائد:

أفاد بروكمان بوجود مجموعة من القصائد والموشحات لابن العديم مرتبة على حروف المعجم بعنوان (بلغ الأمال مما حوى الكمال) وأشار إلى وجود مختصر منه^(٥).

تذكرة ابن العديم:

أغفلت معظم المصادر التي ترجمت لابن العديم ذكر هذا الكتاب عند الحديث عن مؤلفاته، إلا أن سامي الدهان ذكره في مقدمة الزبدة وأشار إلى أنه وقع على نسخة مخطوطة منه ونادرة وفدة، وأنه حققها وسوف تمثل للطبع ولكن دون ذكر لمكان المخطوطة^(٦).

كما وصف (تذكرة ابن العديم) مبيناً قيمتها، وما لها من أهمية كبيرة مقارنة بكتبه الأخرى، وما تنم عن سعة إطلاع مؤلفها على الشعر والشعر والأدب القديم ما لم يصلنا في مخطوط أو مطبوع وإن فيها من أمهات الكتب ما ضاع. وقد وثق نسبة هذا الكتاب لابن العديم مستشهاداً ببعض النصوص من المخطوطة نفسها حيث قال: (والذكرة لكمال الدين عمر بن أحمد لا شك في ذلك، فقد ذكر فيها أعمامه وأجداده ووالده وحدث عنهم. قال في الصفحة ٢٩٦: أخبرني عمى جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن أبي جراده. . . .).

(١) طرسه جمع طرس هو الكتاب الذي قد دعي ثم كتب فيه انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط. ٨، ط. بيروت ٢٠٠٠، ص ٤٣٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٤٥.

(٣) الكتبى، فوات الوفيات، ج ٣، ص ١٢٧.

(٤) مقدمة سامي الدهان، زبدة الحلب، ج ١، ص ٥٢.

(٥) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٧٨.

(٦) مقدمة سامي الدهان، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦.

وعلى النسخة خطه وسماهه^(١) وقد وصف الكتاب قائلاً:

(فالذكرة تتبع أسلوب القدماء في جمع ما يقع إليهم من أدب فيه الشعر والثر، وفيه الحكمة والموعظة، وفيه التاريخ والعبرة، وقد قسمها إلى ستة عشرة جزءاً، وقد ضاعت الأجزاء الأربع الأولى)^(٢). ورغم ذلك الوصف لم نعثر على أي نسخة مطبوعة ومحفظة لهذا الكتاب، غير نسخة نشرت بحالتها المخطوطة دون أي تحقيق عن دار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم أدب رقم ٤٢٠٤٢^(٣).

- المؤلفات المنسوبة:

كتاب سوق الفاضل في تراجم الفاضل:

وهو كتاب في التراجم لم يشير إليه أحد من المؤرخين الأقدمين ولكن أفاد أحد المؤرخين المحدثين وهو "عمر كحالة" بوجود نسخة منه ضمن مخطوطات المدينة المنورة، وذكره أيضاً الزركلي في، أثناء ترجمته لابن العديم وقال: رأيت منه مجلدين بالمدينة المنورة^(٤).

قصيدة في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

تبليغ أربعة وخمسين بيتاً، وذكر بروكلمان بوجود مخطوط منها في برلين^(٥) وأشار كل من جورجي زيدان وعلي حيدر النجار إلى وجودها^(٦).

(١) مقدمة سامي الدهان زبدة الحلبي، ج ١، ص ٤٧.

(٢) مقدمة سامي الدهان، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧؛ الفهرس التمهيدي، معهد المخطوطات المصورة، ط. القاهرة ١٩٤٨، ص ٥٦٤.

(٣) ابن العديم، التذكرة، أصدره فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ط. ألمانيا ١٩٩٢.

(٤) مريم محمد، موارد ابن العديم التاريخية ومنهجه في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، ط. دمشق ٢٠٠٥، ص ١٢٠.

(٥) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ٦، ص ٧٨.

(٦) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢، ط. بيروت ١٩٦٧، ص ١٨٠؛ علي حيدر النجا، ابن العديم، ج ٢، ص ٤٥٤.

- المؤلفات المطبوعة:

الإنصاف والتحرى في دفع الظلم والتبرير عن أبي العلاء المعري^(١):

الكتاب ألفه ابن العديم دفاعاً عن أبي العلاء المعري فيلسوف معرة النعمان وذلك لرفع الظلم الذي تعرض له طيلة حياته وبعد مماته من هجوم وانتقادات، وقد نشر الجزء المتبقى من الكتاب ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء، وسوف تتعرض لدراسته في الفصل الرابع من الدراسة.

الوصلة على الحبيب في وصف الطيبات والطيب:

ويعتبر الكتاب واحداً من أهم الكتب التراثية التي تبحث في الطب والصناعة الدوائية والغذائية، فهو يصف الأطعمة والأغذية وطريقة صناعتها وحفظها وفوانيدها الصحية واستعمالاتها الطبية، كما يتحدث عن كيفية تركيب بعض الأدوية، وصناعة العطور والصابون وتقطيق المياه^(٢).

ولم تذكره المصادر المقدمة التي ترجمت لابن العديم، ولكن ذكره حاجي خليفة ولم ينسبه لأحد^(٣)، وأشار الدهان أنه رأى نسخة من الكتاب في مكتبة برلين سنة ١٩٤٦، وعلى الصفحة الأولى منه (ألفه عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم)^(٤).

وتحدث ابن العديم في مقدمة كتابه عن سبب تأليفه ثم أشار إلى أنه اعتمد فيه على تجربته الشخصية فقال (ولم أضع فيه شيئاً إلا بعد أن ركبته مراراً وتناولته مدراراً، واستخلصته لنفسي وبإشرته بذوقى ولسى)، وقد بدأت فيه بالطيب لشرف قدره وطيب عرفه وانتشار ذكره^(٥). ثم يذكر بعد هذه المقدمة أبواب الكتاب العشرة، أولها في الطيب، وأخرها في تصعيد المياه وتطيب رائحة الفم.

ويكاد يكون هذا الكتاب مرآة للحياة الاجتماعية لعصر المؤلف، فهو يصور لنا مدى

(١) ابن العديم، الإنصاف والتحرى، ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط. القاهرة ١٩٩٤، ص ٤٨٣ - ٥٧٨.

(٢) ابن العديم، الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، تحقيق سلمى محجوب ودرية الخطيب، ج ٢، ط. حلب ١٩٨٨، مقدمة المحققة ص ٤١٨ - ٤٢٣.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ٢٠١٤.

(٤) مقدمة سامي الدهان، زينة الحلب، ج ١، ص ٤٨.

(٥) ابن العديم، الوصلة إلى الحبيب، ج ٢، ص ٤٨٠.

اهتمام الناس بأنواع الأطعمة والأغدية في ذلك العصر وتفننهم في إعدادها، وتوصيلهم إلى الطرق الصحيحة والصحية في حفظها وادخارها، كما يتحدث فيه عن الأدوات التي كانت مستعملة في الطهي، والمواد الداخلة في تركيب أصناف الأغذية والعطور والصابون وغير ذلك مما يمكن أن يعطينا لمحات تاريخية حول هذه المجالات في ذلك العصر^(١).

الدراويث في ذكر الدراويث^(٢):

وهو كتاب نبه فيه ابن العديم على أهمية الأولاد وكيفية الاعتناء بهم من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف والأشعار والمعتقدات القديمة من حكايات ونواذر طريقة عن تربية الأولاد، وقد صنفه وقدمه للملك الظاهر غازي يوم ولادة ابنه العزيز محمد، حيث قال في مقدمته: (أحببت أن أخدمه بكتاب نفيس رائق المعنى جليس، أجمع فيه بذلك من ذكر الأبناء وأخبار الحمقى منهم والنجباء، وما ورد في مدحهم وذمهم من الأخبار النبوية، والفقر الحكيمية، وما قيل فيهم من الأشعار الفصيحة والنواذر المستطرفة المليحة)^(٣).

وقد قسمه إلى ثلاثة عشرة باباً ذكر في أولها الحث على اكتساب الأولاد، وفي الثاني في المنع من اكتسابهم والتحذير منهم عن طريق القرآن والحديث، وفي الثالث مدح الأولاد والنعمـة بهـم، وفي الرابع ذمـهم وما يلحقـ من النـصب بـسيـبـهـمـ، وفي الخامس النـجـباءـ منـهـمـ، وفي السادس ذـكـرـ الحـمـقـىـ منـهـمـ، وفي السـابـعـ مـحـبةـ الآـبـاءـ لـأـبـانـهـمـ، وفي الثـامـنـ وـاجـبـ الـأـبـانـ نحوـ الـآـبـاءـ، وفي التـاسـعـ تـوـصـيـةـ الـآـبـاءـ مـعـلـمـيـ أـلـاـدـهـمـ بـهـمـ، وفي العـاشـرـ كـلـامـ الصـيـانـ وـأـجـوـبـهـمـ، وفي الحـادـيـ عـشـرـ إـيـشـارـ الـآـبـاءـ عـلـىـ الـأـبـانـ عـلـىـ بـعـضـ، وفي الثـالـثـ عـشـرـ مـنـ تـمـنـيـ الـحـيـاةـ وـكـرـهـ الـمـوـتـ لـأـجـلـ الـوـلـدـ. وقد كتبها بـأـسـلـوـبـ نـشـرـ يـغلـبـ عـلـيـهـ السـجـعـ^(٤).

(١) نفسه، ج ١، مقدمة المحققـةـ، ص ٢٤٥.

(٢) الدراري جمع درة وهي اللؤلؤ، والدراري جمع الذر وهي أصغر النمل ومنه ذرية الرجل أي ولده انظر: ابن سيده، المحيط، ج ٤، ص ٢٥٧، ج ١٠، ص ٤٥.

(٣) ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري، تحقيق علاء عبد الوهاب، ط. القاهرة ١٩٨٤، ص ١٣.

(٤) ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري، ص ١٣.

Edde (A. M.) , La Representation De L'enfant Dans Le Traité D'Ibn AL - ADIM , Miscllanie Arabica Et Islamica , in Orientalla Lovaniensia Analecta (52) , paris 1993 , pp. 177-180.

بغية الطلب فيه تاريهم حلبي:

يحتل كتاب البغية المكانة الأولى بين مؤلفات ابن العديم، ويقع الكتاب في أربعين مجلداً كتبها بخطه لم يبقى منها غير عشرة مجلدات، يحتوى الجزء الأول منها على مقدمة جغرافية لبلاد سوريا الشمالية اعتمد فيها على أهم المصادر العربية، أما الأجزاء التسعة فهي ترجم مرتبة أبجدياً، وقد حظي الكتاب بشهرة كبيرة بين جميع مؤرخي وأدباء القرن السابع الهجري / والثالث عشر الميلادي^(١).

زبدة الطلب من تاريهم حلبي:

صنفه ابن العديم من كتابه بغية الطلب، وجعله مختصراً منه مرتبأ على مر السنين وقال ابن العديم شارحاً سبب تسميته بالزبدة قائلاً: ورسمته بزبدة الحلب، لأنه متزع من تاريخي الكبير للشهباء المرتب على الحروف والأسماء^(٢). وسوف يتم دراسة الكتاين ضمن الفصل الرابع من البحث.

(١) Robinson (C. F.) , An Ayyubid Notable and His World , journal of Amercain Oriental Society , vol. 116, No2 , Apr-jun. , 1996 , p. 323.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٣.

ثانياً - المحتوى التاريخي،

تميزت مؤلفات ابن العديم بتنوع المحتوى التاريخي، حيث تطرق فيه لكافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقدية والتي تراوح عرضه لها بين الإيجاز والتفصيل جانب ما عدا الآخر إلا أن ذلك لم يؤثر سلباً على كتاباته، لأهمية محتوى ما جاء به، حتى وإن كان إشارات قليلة في سياق المعروض. وتعتبر الجوانب السياسية من أكبر الجوانب التي عرض لها، وذلك لاتساع المساحة التاريخية المؤرخة في كتابه [زينة الحلب] الذي بدأ أحدهاته من قبل الإسلام حتى عام (١٢٤٣ هـ / ١٩٦١ م) مارأها في تاريخه السياسي بكلفة الدول والحكام الذين تعاقبوا على حكم حلب. لذا قد اختصت الدراسة في هذا الجانب من بداية الغزو الصليبي لبلاد الشام عام (١٠٩٧ هـ / ١٩٩١ م) باعتباره من أهم الأحداث التي فصل الأمر في الكثير من أحداثها بصورة فاقت ما جاء في نظيرها من المصادر التاريخية المعاصرة للحدث ذاته، إلى جانب كونه شاهد عيان للكثير من أحداث الدولة الأيوبية خاصة في عهد خلفاء صلاح الدين الأيوبى، وعلى النقيض من ذلك، جاء تاريخه للجوانب الاجتماعية في إشارات قليلة في سياق العرض التاريخي، وإن كان قد ترجم للعديد من الأشخاص سواء كانوا أدباء أو فقهاء أو غير ذلك من المشهورين، فإن ذلك لا ينطبق بالضرورة مع الجانب الاجتماعي لكافة طبقات المجتمع حينذاك ومع ذلك فإن ما جاء به من إشارات يعطي جزءاً من كل للصورة العامة لكافة مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والعقدية.

- الجوانب السياسية:

بدأ الغزو الصليبي لبلاد الشام عام (١٠٩٧ هـ / ١٩٩١ م) بحصار أنطاكية^(١) المذقام حاكمة ياغي سيان^(٢) بالاستنجاد بالملك رضوان بن تشن^(٣) حاكم حلب، الذي خرج

(١) تمنت أنطاكية بأهمية إستراتيجية واضحة من خلال موقعها في شهان الشام وإلى الغرب من حلب وقد تمنت بمحاصنه طبيعية جعلت من الصعب الاستيلاء عليها انظر: محمد مؤنس، العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٧١.

(٢) عنه انظر: العظيمي، تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعorer، ط. دمشق ١٩٨٤، ص ٢٢، ٢٥، ٦٠.

(٣) أبو المظفر رضوان بن تشن حاكم حلب بعد وفاة والده انظر عنه: ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٦٥.

بجيشه لمحاربتهم ولكته انهزم واستولى الصليبيون على حصن حارم والذي يعتبر دو اهبيه كبيرة في حماية إنطاكية من ناحية حلب^(١) بمساعدة أهل إنطاكية من الأرمن، الذين ساعدوا الصليبيين أيضاً في احتلال حصن بغراس^(٢) وأرتاح^(٣) وقد فسر ابن العديم تصرف الأرمن بتعسف ياغي سيان في معاملتهم^(٤).

وقد ضرب الصليبيون الحصار على إنطاكية، ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها لولا خيانة أحد حراسها بن الأرمن الذي اتفق مع بوهيموند الأول سرًا على تسليمها بعيداً عن معرفه أمراء الحملة الصليبية^(٥)، وقد انفرد ابن العديم برواية هذا الحدث بصورة مفصلة عما جاء به كل من ابن القلansi وابن الأثير^(٦). وقد استولى الصليبيون على إنطاكية وقاموا بقتل أهلها، وقد قتل ياغي سيان أثناء هروبه فقد وقع من على فرسه، وأخذه بعض الأرمن فقتلوه، وقد اتفقت رواية قتله مع ابن القلansi^(٧) بينما أورد العظيمي وابن الأثير رواية أخرى غير ذلك^(٨).

أما عن سقوط معرة النعمان^(٩) فقد ذكر ابن العديم اشتراك عناصر الأرمن والسيحيين في الحملة العسكرية التي قدر عددها بعشرة ألف، ووصف سير المعركة واستخدامهم البرج المتحرك^(١٠).

(١) حارم قلعة تقع على بعد ثلاثين كيلومتر تقريباً من إنطاكية أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ١٥٦.

(٢) مدينة بالقرب من إنطاكية من ناحية حلب أنظر الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٧.

(٣) ارتاح حصن منيع من العواصم من أعمال حلب انظر: الحموي، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٤) ابن العديم، زينة الحلوب، ج ٢، ص ١٣١.

(٥) ابن العديم، زينة الحلوب، ج ٢، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٦) ذكر ابن القلansi الحدث قائلاً (قوماً من أهل إنطاكية واطئوا الإفرنج على تسليمها) انظر، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، ط، ص ٩٨ - ٩٩؛ وقال ابن الأثير (راسلوا أحد المستحفظين للأبراج...، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٤).

(٧) ابن العديم زينة الحلوب، ج ٢، ص ١٣٥؛ ابن القلansi، ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٨.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٥؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص ٢٥٨.

(٩) هي مدينة كبيرة من أعمال حمص بين حلب وحمة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥ / ١٥٦؛ محمد سليم الجندى، تاريخ معرة النعمان، تحقيق عمر رضا كحاله، ج ١، ط. دمشق ١٩٩٤، ص ٣٨.

(١٠) البرج المتحرك هو أحد الآلات الحربية المستخدمة هدم حصون العدو: انظر أسامة السيد، الظهير الشامي ودوره في الصراع الإسلامي الصليبي في القرن ١٢هـ / ١٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية آداب، عين شمس ١٩٩٦، ص ٣٢٠.

لإسقاط المدينة إلى جانب المذابح الدموية التي ارتكبها في أهلها حيث بلغ عدد القتلى أكثر من عشرين ألف رجل وامرأة وصبي^(١) في حين ذكر ابن الأثير بأنهم يزيدوا على مائة ألف^(٢). ولم يشير ابن العديم إلى تفاصيل سقوط بيت المقدس بل اكتفى بقوله (و فعلوا فيها كما فعلوا بالمعرة)^(٣). وقد ذكر ابن العديم المعارك التي خاضها رضوان ضد حاكم إنطاكيه بوهيموند الأول عندما حاصر حلب عام (٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م) بفرض الاستيلاء عليها، واستطاع أن يهزم رضوان ويستولى على كفر طاب^(٤) وبرج الحاضر.

وقد اشترب الملك رضوان مع الصليبيين في معارك كثيرة نذكر منها عام (٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م) حينما قام تانكرد حاكم إنطاكيه بالاستيلاء على حصن أرتاح لذا قرر رضوان تجميع قواته وأغار على الحدود الشرقية لإماراة إنطاكيه، وعلى أثر ذلك قام الأرمن الموجودون بحصن أرتاح بتسلیم الحصن إليه^(٥)، ولكن تانكرد لم يمهله وقام بالانقضاض على جيش رضوان وشتبه فلاذ الكثير منهم بالفرار وفي مقدمتهم الملك رضوان نفسه وتوجهوا إلى حلب، ولم يكتف تانكرد بذلك بل عاود الهجوم على أطراف حلب وقام بأعمال النهب والسلب^(٦).

وفي عام (٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م) استطاع الملك رضوان أن يسترد بعض أعمال حلب الواقعة تحت سيطرة الصليبيين، وأغار على أعمال إنطاكيه. ونتيجة لذلك قام تانكرد بحصار حصن الأنبار^(٧) حتى استولى عليه وإزاء تلك الأحداث اضطر الملك رضوان إلى عقد هدنة بينه وبين تانكرد تنص على أن يدفع رضوان له مبلغ عشرين ألف دينار ضريبة سنوية بالإضافة إلى الخيل وإعادة بعض الأسرى، وقد أدى استيلاء الصليبيين على الأنبار إلى تدهور أحوال حلب الاقتصادية لعدم حصول حلب على الغلال والغذاء من السهول

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٤٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٥٠.

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٣.

(٤) بلدة بين المعرة ومدينة حلب أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٠.

(٥) ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٦) نفسه، ص ١٥٠.

(٧) الأنبار قلعة معروفة بين حلب وإنطاكيه أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٩

المحيطة بها^(١)، وأشار ابن العديم إلى الآلات الحربية المستخدمة في الحصار وهي المجانق^(٢) والكباش^(٣).

وفي فترة حكم سلطان شاه بن رضوان (٥٠٨هـ - ١١١٤م) كان المسئول عن حلب خادم يطلق عليه لؤلؤ المعرف باليابا، قام بمراسلة طغتكن^(٤) حاكم دمشق وغيره من الحكام العرب لدفع الصليبيين عن حلب، ولكن قوبلت مراسلته بالصمت وقد علق ابن العديم على ذلك قائلاً: (ومن العجائب أن يخطب الملوك لحلب فلا يوجد من يرغب فيها ولا يمكنه رد الفرج عنها، وكان السبب في ذلك أن المقدمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه)^(٥). وهو هنا يفسر أوضاع الحكام المسلمين الذين فضلوا مصالحهم الشخصية على الجهاد ضد الصليبيين. وقد فسر ابن العديم أيضاً أسباب هزيمة الجيش السلجوقي في موقعة دانيث^(٦) عام (٥٠٩هـ / ١١١٥م) إلى التدهور الأخلاقي لجيش الأتراك قائلاً:

(أنهم اشتغلوا بالشرب والنهب) ويصف حاكم أثناء المعركة قائلاً: والعسكر على الحالة التي ذكرناها من الانتشار والتفرق، فلم يكن لهم بالفرنج طاقة. . . .^(٧)
ومع تولي إيلغازي بن أرتق حكم حلب (٥١٦هـ - ١١١٧م) قام بإعداد جيوشه لمحاربة الصليبيين بقيادة روجر حاكم إنطاكية حيث تقابل الطرفان عام (٥١٣هـ / ١١١٩م) في معركة البلاط والتي انتصر فيها المسلمون^(٨).

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) المنجنيق آلة حربية من الخشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه طويل أنظر عنه: أسامة السيد، الظهير الشامي، ص ٣٢٤.

(٣) الكباش: آلة من الخشب أو الحديد تجرب نوع من الحال لدم الحصون يشبه الدبابية أنظر: أسامة السيد، المرجع السابق، ص ٣٢٣.

(٤) هو أبو منصور المعروف بأتا بك، كان من رجال ناج الدولة وزوجه بأم إينه دفاق ولما توفي استولى على دمشق انظر عنه: القرمانى، أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق أحد خطيب وفهمي سعد، ج ٢، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص ٤١٩.

(٥) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٦) دانيث بلد من أعمال حلب وكفر طاب أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٤٠.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٨٧.

وقد جاءت رواية ابن العديم لسير المعركة مميزة عنها أورده كل من ابن الأثير وابن القلانيسي^(١) فأخذتóżع عنهم بسرده تفاصيل كثيرة عن المعركة التي جاءت مقتضية في كلام المصدرین^(٢) إلى جانب اختلافه معهم في بعض أحداث المعركة فعل سبيل المثال قدر ابن العديم الجيوش المصاحبة لإيلغازي بما يزيد عن أربعين ألف، بينما ذكرهم ابن الأثير بحوالي ٢٠ ألف^(٣).

وقد انفرد ابن العديم بإشارته لدور القاضي أبو الفضل بن الحشاف قاضي حلب في حث الجيوش على القتال، وأورد نص الخطبة التي استنفر بها هم المقاتلين^(٤).

وقد دارت معارك بين الطرفين، انتهت بعقد معايدة صلح عام (٥١٤هـ / ١١٢٠م) نصت على أن تعترف حلب بحق إمارة إنطاكية بممتلكاتها شرق نهر العاصي وهي معره مصرین^(٥) وكفر طاب^(٦) ومعرة النعمان والبارة^(٧) وضياع من بلد عاز ولم يذكر ابن العديم مدة الهدنة، ولكنه أشار إلى سوء معاملة الصليبيين للفلاحين المسلمين في الأماكن الخاضعة لهم^(٨) ثم قام جوسلين حاكم الرُّها بإغارات على أراضي منبع والأثارب، فتم عقد هدنة جديدة تنازلت حلب فيها عن حصن زردناه والأثارب عام (٥١٦هـ / ١١٢٢م)^(٩).

ومن الأحداث الهامة التي وقعت في عهد إيلغازي، وقوع كل من جوسلين حاكم الرُّها وجاليران أمير البيرة وبعض الفرسان الصليبيين في أسرا بلک بن بهرام ابن أخي إيلغازي وحاكم خرتبرت^(١٠) عام (٥١٦هـ / ١١٢٢م).

(١) نفسه، ص ١٨٧-١٩٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ح ٩، ص ١٨٥؛ ابن القلانيسي، تاريخ دمشق، ص ١٤٩.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ١٨٦؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٨٨-١٨٩؛

Brand(C. H.), The Crusades Islamic perspectives, London 1999 , P. 165

(٥) هي بلدية وكورة بنواحي حلب بينها وبين أعلاها نحو خمسة فراسخ. انظر: معجم البلدان، ٥/١٥٦.

(٦) كفر طاب: بلدة بين المعرة ومدينة حلب: انظر: ياقوت، المصدر السابق، ح ٤، ص ٤٧٠.

(٧) البارة: بلدية وكورة من نواحي حلب، وبها حصن يسمونه زاوية البازة انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٠

(٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٩٦.

(٩) نفسه، ص ٢٠٦.

(١٠) خرتبرت: حصن بين آمد وملطيه انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ح ٢، ص ٣٥٥.

وفي العام التالي أوقع بلك بالملك بلدوين الثاني حاكم بيت المقدس في معركة على نهر سنجة^(١)، وقام بوضعه في سجن خربت مع باقي الأسرى، ولكن الأرمن الموجودين بالمدينة قاموا بالسيطرة على القلعة والإفراج عن الأسرى وخاصة جوسلين^(٢).

وقد انفرد ابن العديم بإيراد نص الحوار الذي دار بين المتأمرين حتى اتفقوا فيما بينهم على خروج جوسلين لطلب النجدة، ورفض بلدوين مغادرة الحصن حيث قال: (فما سمحت نفس بلدوين بترك الحصن والخروج منه...)^(٣) وعلى العكس من روايته، ذكر ابن الأثير هروب بلدوين الثاني على جمل ليلاً وذهابه إلى بلادة^(٤) وكذلك ذكر ابن القلاني هروب بلدوين^(٥): بينما جاءت رواية العظيمي متطابقة لحد ما مع رواية ابن العديم^(٦).

بعد وفاة بلك بن بهرام، قام حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي عام (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) بالاتفاق مع بلدوين الثاني على فك أسره مقابل مبلغ مالي والتنازل عن بعض الحصون، ولكن بلدوين نقض الهدنة زاعماً برفض البطريك نصوصها^(٧).

وقد نقل ابن العديم الرواية عن العظيمي^(٨) ولكنه زاد عليها بإيراد نص الرسالة التي أرسلها بلدوين الثاني إلى تمرتاش يستعطفه فيها أن يتنازل عن الشرط الخاص بتسليم عزاز وغيرها من القلاع لل المسلمين ويعلمه أن بطريرك إنطاكيه معرض على هذا الشرط^(٩).

وفي فترة حكم عماد الدين زنكيي حلب، أفاد ابن العديم في ذكر كافة فتوحاته عام (٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م)، ولم يختلف مع المؤرخين السابقين في إيراد تلك الأحداث، واعتمد بشكل كبير على روايات العظيمي^(١٠) سواء في كتابة زبدة الحلب أوفى ترجمته لزنكي في كتابة

(١) سنجة: نهر يجري بين حصن منصور وكسيوم أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٢، ٣، ص ١٦٤.

(٢) ابن العديم، المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٢.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ٢١٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ٢٢٣.

(٥) ابن القلاني، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٥٤.

(٦) العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣٧٣.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٨) العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣٧٤.

(٩) ابن العديم، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(١٠) العظيمي، المصدر السابق، ص ٣٧٩-٣٨٠.

بغية الطلب^(١) دون إبداء أي تعليق عليها. وقد أسترسل ابن العديم في ذكر تفاصيل حصار عماد الدين زنكي للرُّها عام (٥٣٩هـ / ١٤٤٤م)^(٢).

وفي عهد نور الدين محمود ذكر ابن العديم عام (٥٤٢هـ / ١٤٧م) جميع المعارك التي خاضها معتمداً في ذلك على ابن الأثير، فقد أكثر النقل عنه ومثال على ذلك ذكره تفاصيل مهاجمة نور الدين للمدن التابعة لحكم جوسلين كما ذكرها ابن الأثير^(٣). كذلك تفاصيل تنافس نور الدين محمود والصلبيين حول مصر، وإسقاط الخلافة الفاطمية عام (٥٦٧هـ / ١١٧١م)، والصراع الخفي الذي دار بين صلاح الدين الأيوبi ونور الدين محمود^(٤).

وقد اعتمد ابن العديم في تاريخه لفترة الصالح إسماعيل بن نور الدين على كل من ابن الأثير، وابن أبي طيين فالأول اعتمد عليه في ذكره تفاصيل صراع أمراء نور الدين محمود في حلب ودمشق على تربية ابنه الملك الصالح^(٥) فقد تشابهت نصوصه مع ابن الأثير^(٦).

وقد انفرد ابن العديم بذكره أحداث مفصلة للفتنة بين السنة والشيعة، عن غيره من المصادر^(٧)، ولكن بمقارنة ما كتبه بإحدى المصادر المعاصرة له وهو كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، نجد أن أبو شامة مؤلفه نقل أخبار الفتنة عن طريق روايات ابن أبي طي الذي فقد تاريخه^(٨) ولم يبقى منه غير روايات سطرها عنه ابن العديم وأبو شامة المقدسي وغيرهم من المؤرخين.

ومن الأحداث الهامة في تلك الفترة تولى عماد الدين زنكي بن مودود^(٩) حاكماً سنجار^(١٠) حلب ثم تنازله عنها إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبi مقابل استعادة

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٨٤٦، ٣٨٤٧.

(٢) نفسه، زينة الحلب، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٣٦٢؛ ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٤٦٦-٤٦٥؛ ج ١٠، ص ١٦-٣.

(٥) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٣، ص ١٤-١٢.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦٠.

(٧) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ص ١٦.

(٨) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط. لبنان ١٩٩٧، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٩) انظر ترجمته: ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٨٥٨.

(١٠) سنجار، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام انظر: الحموي، معجم

سنجر من أخيه عز الدين مسعود^(١)، وقد أورد ابن العديم بقصص الحوار الذي دار بين مودود والأمير طهان الخاخص بتسلیم حلب بصورة مفصلة، إلى جانب ذكره لرد فعل الحلبين تجاه تنازل زنكي فكل أحداث الموقف انفرد بروايتها^(٢). وبعد استلام الناصر صلاح الدين حلب عام (٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م)، جعلها لابنه الظاهر غازي الذي كان صغيراً وجعل معه أحد الأمراء لتدبير أمورها ولكن بعد مضي ستة أشهر قام صلاح بنقل حكمها إلى أخيه الملك العادل^(٣). وقد علق ابن العديم على ذلك التصرف قائلاً (ويقال أن الملك العادل دفع إلى السلطان، لأجل حلب ثلاثة ألف دينار مصرية، وقيل دون ذلك وكان السلطان محتاجاً إليها)^(٤).

ولم يذكر ابن الأثير ذلك بل اكتفى بذلك بذكر تسلم الملك العادل لحلب وأعماها^(٥) ولكن أبو شامة ذكر نقاولاً عن أبي طيء رواية قريبة منه حيث ذكر أن العادل أعطى صلاح الدين مبلغاً قدره مائة وخمسين ألف دينار كمساعدة على الجهاد، وطلب مقابل ذلك حلب بيعاً وشراء، إلا أن السلطان رفض ذلك ووافق على إعطائه إياها إقطاعاً^(٦).

وفي تاريخه للجزء الخاص بفتحات صلاح الدين الأيوبي منذ عام (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) حتى وفاته (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) اعتمد ابن العديم على مصادر من أهمها كتاب التوادر السلطانية لبهاء الدين شداد، و الكامل في التاريخ لابن الأثير، حيث يوجد تشابه كبير بينهم على الرغم من إيجازه للكثير من أحداث المعارك وإنفراده بأحداث لم ترد فيها.

ونذكر من ذلك، على سبيل المثال، نقله عن ابن الأثير أحداث حصار عكا عام (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م)، وعندما ذكر فتح بيت المقدس اعتمد في الجزء الخاص باستعدادات الجيش

البلدان، ج ٣، ص ٢٦٢.

(١) انظر ترجمته: ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٠٣-٢٠٩.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ص ٦٥ - ٦٨.

(٣) الملك العادل هو محمد بن أيوب أخو صلاح الدين، كان حازماً متيقظاً اتسع ملكه توفي (١٢١٨ هـ / ٥٦١٥ م) انظر عنه: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٦٠؛ ابن الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٥٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٧٩.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٧٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٢٥.

(٦) أبو شامة، الروضتين، ج ٢، ص ١٩٢.

للمعركة على ابن شداد، ثم اعتمد على تفاصيل استسلام المدينة وتسليمها على ابن الأثير^(١). كذلك اعتمد على ابن شداد في أحداث موقعة حطين و معاملة الأسرى الصليبيين، وأحداث فتح طبرية^(٢) وقيسارية^(٣) وبالس^(٤) إلى جانب فتوحات الناصر لمدن الساحل^(٥). وقد انفرد ابن العديم بوصفه لحمله الملك الألماني فرديريك باربروسا عام ١١٩٠هـ / ١١٩٠م (٦) فيقول: (وحكى أنه كان في عسكره خمس وعشرون ألف عجلة تنقل الأسلحة والعلوفات) وذكر أن جيش فرديريك بلغ ستةألف منهم ثلاثةألف مقاتل وثلاثةألف سوقه وأتباع وصناع^(٧).

وبعداً من فترة حكم الظاهر غازي (٥٨٩-٦١٣هـ / ١١٩٣-١٢١٦م) اختلف تاريخ ابن العديم للأحداث شكلاً وموضوعاً وذلك لمعاصرته للأحداث عن قرب مما جعله المصدر الأولي في الكثير منها، ويرجع اعتماده على شيخه بهاء الدين ابن شداد، الذي تقلد منصب قضاء حلب إلى جانب قيامه بالوزارة والمشورة للظاهر غازي^(٨).

تضمن عصر الظاهر غازي بالعديد من الصراعات فمن ذلك صراعه مع أمراء أبيه الذين تردوا عليه^(٩) لذلك قام بالاستيلاء على اللاذقية^(١٠) وإعزاز دريساك والرواندن^(١١). فقد اتبع الظاهر سياسة إخضاع القلاع الهامة في مملكته لإدارته الشخصية^(١٢) وذكر ابن واصل وعز الدين بن شداد تلك الأحداث^(١٣).

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ١٤٥؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص ٩٢؛ ابن شداد، التوادر السلطانية، ص ١٣٢-١٣١.

(٢) طبرية: مدينة من الأقاليم الثالث من جهة المغرب انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧.

(٣) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٤٢١/٤.

(٤) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة انظر: الحموي، نفسه، ص ٣٢٨.

(٥) ابن شداد، التوادر السلطانية، ص ١٣١-١٣٥؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٠٢-١٠٨.

(٦) ابن العديم، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٧) نفسه، ص ١٣٢.

(٨) نفسه، ص ١٣٠-١٣٣.

(٩) اللاذقية: مدينة على ساحل بحر الشام انظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٥.

(١٠) الرواندن: قلعة حصينة من نواحي حلب انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩.

(١١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٣٦-١٤٠.

(١٢) ابن شداد، الأعلام الخطير، ج ١، ق ٢، ص ٩٠-٨٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ٤٥.

كان صراع ملوك البيت الأيوبي على دمشق، أحد الأسباب للوضع المضطرب لحلب في تلك الفترة فتأرجحت سياستها بسبب التحالفات فكانت حلب تحالف مع مصر ضد دمشق وتارة أخرى تحالف مع دمشق ضد مصر، وقد ذكر ابن العديم تلك الأحداث بصورة مفصلة عن غيره من المصادر الأخرى ومن ذلك:

ذكره لتفاصيل استيلاء العزيز عثمان^(١) والملك العادل على دمشق عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م) في حين جاءت تلك الأحداث موجزه لدى ابن الأثير^(٢).

ذكر ابن العديم في أحداث عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) أثناء قيام العادل أبي بكر بمحاصرة ماردين قيام الظاهر والأفضل على^(٣) باستغلال الظروف الجديدة للاستيلاء على دمشق وامعاً في الاحتياط اتفقا مع نور الدين أرسلان حاكم الموصل على مساعدة حاكم ماردين ومنع العادل من السيطرة عليها وأشغاله كي لا ينجد دمشق حتى لا تتمكن قوات الظاهر غازى والأفضل على من السيطرة عليها^(٤).

ولكن التحالف لم يستمر وقد ذكر ابن الأثير أن سبب ذلك وصول رسول الملك الظاهر طالباً الخطبة والسلكة من نور الدين أرسلان^(٥). أما ابن العديم فقد ذكر أن الظاهر أرسل نجدة عسكرية بقيادة سيف الدين بن علم الدين للاجتماع مع عسكر نور الدين بغرض الهجوم على أملاك العادل، ووعد الظاهر صاحب الموصل بإقطاعه سروج والرقعة إلا أنه اقتطع سروج لقائده سيف الدين مما دفع نور الدين إلى الانسحاب^(٦).

هكذا اختلفت رواية كل من ابن الأثير وابن العديم عن أسباب انسحاب نور الدين من التحالف، ويمكن القول مما تقدم إن الظاهر لم يكن في وضع يسمح له بالتفكير في مسألة إقامة

٧١ - ٨١

(١) العزيز عثمان بن صلاح الدين ملك مصر وعرف بالساحة والعدل توفي عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) انظر عنه: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٨؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٤٣ - ٢٤٤؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٣٧ - ١٣٥.

(٣) الأفضل على بن صلاح الدين ملك دمشق وأعمالها وكان شاعراً فاضلاً توفي عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٤ م) انظر عنه: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٠٨.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٦١.

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٤٥.

الخطبة وضرب السكة باسمه في الموصل لانشغاله بالسيطرة على دمشق التي كانت محور اهتمامه ولم يذكر أحد من المؤرخين هذه المسالة إلا ابن الأثير المناهض للأيوبيين.

وفي ذكر أحداث عام (١٢٠٣ هـ / ١٢٠٠ م) عندما قام الملك العادل باستعادة جميع البلاد التي كانت تحت حكم الملك الأفضل على بعد إعلان الأخير التمرد عليه، علق ابن العديم على قيام الظاهر بالاستيلاء على قلعة نجم قائلاً: - (فأخذها من الملك الأفضل، خوفاً أن يستولى عليها عمه، وكان الملك الظاهر قد سلمها إلى الأفضل...) ^(١). في حين جاء تعليق ابن الأثير بقوله (وكان هذا من أقبح ما سمع عن ملك يزاحم أخيه في مثل قلعة نجم مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده هو وعدتها لأنخيه...) ^(٢).

ويأتي النص يوضح العداء الشديد الذي يمكنه ابن الأثير للبيت الأيوبي. ويؤكد صحة تعليق ابن العديم لتصرف الظاهر، الذي كان لا يقبل أن يستولي عمه على إحدى ممتلكاته أو أن يبسط نفوذه عليها.

كذلك انفرد ابن العديم بذكر بنود معااهدة عام (١٢٠٨ هـ / ١٢٠٥ م) بين غياث الدين كيخسرو الأول ملك سلاجقة الروم وليون الثاني ملك أرمينية الصغرى والظاهر غازي ^(٣) وقد تضمنت الآتي:

- أن يقوم ليون برد حصن بغراس إلى الداوية وألا يتعرض لإنطاكيه.

- أن يرد المآل لكيحسرو الذي تركه عنده أثناء هربه من أخيه ركن الدين سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)، وإطلاق الأسرى المسلمين في بلاده وإن لا يتعرض لأملاك حلب ^(٤).

وقد ذكر ابن العديم في تأريخه لحصار العادل الأيوبي لسنجر عام (١٢٠٩ هـ / ١٢٠٦ م) بأنه تم تحالف كل من مظفر الدين كوكبri حاكم إربيل مع نور الدين أرسلان حاكم الموصل على مناصرة قطب الدين محمد بن زنكي حاكم سنجر ضد حصار العادل، وقاما بمراسلة الظاهر غازي للاتفاق معهم ضد الملك العادل، ولما كان الظاهر في ذلك الوقت في طاعة عمه فكان عليه أن يحدد موقفه، وقد وصف ابن العديم رد فعله فقال:

(١) نفسه، ص ١٥٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٢٨٣.

(٣) عن صراع الظاهر وملك أرمينية أنظر: سعيد عاشور، والحركة الصليبية، ج ٢، ص ٧٨١-٧٨٣.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٦٠.

(وجعل الملك الظاهر يداري الجهتين . . ، وهو في الظاهر في طاعة عمه وعسكره معه، وفي الباطن في النظر في حفظ سنجار ومداخلة المواصلة)^(١)

ثم قام الظاهر بإرسال سفاراة مكونة من أخيه الملك المؤيد نجم الدين مسعود ووزيره نظام الدين الكاتب إلى عمه العادل، ليبلغه وصول سفاراة من الموصل وإربيل نطلب منه الشفاعة لصاحب سنجار وقد شفع فيهم وانقض حصار سنجار^(٢).

هكذا كانت رواية ابن العديم، وقد جاءت رواية ابن واصل في كتابه مفرج الكروب مطابقة إلى حد كبير معها^(٣)، أما أبو الفداء وكتابة المختصر في أخبار البشر، فقد ذكر قيام الظاهر بنقض اتفاقه مع العادل وانسحاب جيشه عن سنجار^(٤).

وذكر ابن الأثير أن العادل رفض شفاعة الظاهر، مما أجبر سفاراة الظاهر على أن تطلب من عساكر حلب مفارقة المعسكر العادلي في حصار سنجار، ثم وصلت سفاراة الخليفة العباسى التي طلبت من العادل فك الحصار والصفح عن صاحب سنجار، إلا أن العادل ماطل في ذلك.

ثم اضطر للصلح بسبب تراخي عساكره عن القتال وقيام أمير حصن بمد المدينة بالمؤن وتضمن الصلح أن تكون نصيبين وبلاط الخابور للعادل، وتبقي سنجار فقط بيد قطب الدين محمد حاكمها^(٥). وقد ذكر عز الدين بن شداد، رواية مطابقة لرواية ابن الأثير دون ذكر مصدرها^(٦).

وفي فترة حكم العزيز محمد بن الظاهر غازي (٦١٣-٦١٦هـ / ١٢١٦-١٢١٩م) والذي تولى الحكم وعمره آنذاك ثلاث سنوات، وكان آتابكه هو شهاب الدين طغرل، وقد أشار ابن العديم إلى تفاصيل الصراع الذي دار بين الملك الظاهري على اختيار شهاب الدين^(٧). وذكر أيضاً حديث الآتابك مع الملك الأشرف موسى بعد وفاة والده الملك

(١) نفسه، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) نفسه، ص ١٦١.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٣، ص ١٩٤-١٩٦.

(٤) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص ٤٣٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٦) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٧) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٣، ص ١٧٨.

العادل أبو بكر لإقناعه بتولي السلطة مكان والده المتوفى^(١).

وكتب ابن العديم باستفاضة عن صراع أبناء الملك العادل، المعظم عيسى حاكم دمشق والأشرف موسى حاكم الجزيرة، والكامل حاكم مصر^(٢).

وفي أحداث عام (١٢٢٤هـ/٦٢٧م) ذكر ابن العديم أول سفارة قام بها عندما حمله الملك الأشرف موسى وهو في دمشق رسالة إلى الآتابك شهاب الدين طغول، يوضح له فيها حالة مع أخيه المعظم عيسى ويلتمس منه موافقته على مساعدته ضد الملك الكامل^(٣).

وقد ذكر ابن العديم تولي الأشرف لدمشق بعد وفاة أخيه المعظم واستيلائه عليها من ابن أخيه الناصر داود، وقد علق على ذلك في كتاب الزبدة وأشار إلى قيام الكامل محمد بإغراء الأشرف في السيطرة على دمشق^(٤)، ولكن في كتاب بغية الطلب في ترجمة الناصر داود أشار إلى استهلاك الكامل له ولأن الأشرف كان يحب دمشق جبًا مفرطاً^(٥).

هكذا كان تفسيره الأول بأن الطمع في الحكم هو السبب، ثم جاء تفسيره الثاني أن التعلق بدمشق وحبها وراء الاستيلاء عليها برغم من انتفاء ما يؤكّد ذلك لأن الأشرف كان في بادئ الأمر وسيط الصلح بين الناصر داود حاكمها والملك الكامل، ولم يبد أي بادرة في تملّكها لو لا أن الملك الكامل هو السبب المباشر في إقناعه بذلك.

أما بخصوص روايات المؤرخين عن تلك الحادثة فقد اتفق كل من ابن الأثير وأبو الفداء على اتفاق كل من الكامل والأشرف ضد ابن أخيهم الناصر داود للاستيلاء على دمشق^(٦).

وقد اختلفت رواية كل من ابن العميد والمقرizi، فقد ذكر الأول أن سوء سيرة الناصر داود وانشغاله عن مصالح دولته دفع الكامل إلى الاستيلاء على دمشق منه، وعندما قام الناصر باستدعاء الأشرف موسى ليتوسط بينه وبين عميه الكامل، ورأى من داود تصرفات

(١) نفسه، نفس الجزء، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) نفسه، ص ١٩٢-١٩٧.

(٣) نفسه، ص ٢٠٠.

(٤) ابن العديم، زبدة الطلب ج ٣، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٥) نفسه، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٥٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٢؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص ٤٥٨.

تؤكد سوء سيرته وبصرفاته، طمع في دمشق، خاصة بعد استيلاء جلال الدين خوارزمي
على إحدى المدن التابعة له وهي خلاط^(١) أما رواية المقريزي، فهي مطابقة لرواية ابن
العميد، بأن الأشرف طمع في دمشق فعمل على انتزاعها لنفسه من الناصر^(٢).

ولم يذكر ابن العديم في ترجمته للناصر داود انه كان سبع السيرة والسمعة بل أشاد به
وقال (اشتغل بالفقه والأدب وحصل منها على طرف صالح)^(٣).

وفي فترة حكم الناصر يوسف الثاني والذي بدأ عام (١٢٣٦-١٢٣٧ هـ) قامت
بالوصاية عليه جدته ضيفة خاتون ومعها بعض الأمراء وخادمتها جمال الدين لإقبال
الخاتوني، الذي كان يقوم بنقل قرارات الأمراء إلى الملكة، فإما توافقهم أو تختلفهم في الرأي،
فكان لا يتم أمر إلا بوجود علامتها على التوقيع (بالستر العالي الخاتوني)^(٤).

وقد أشار ابن العديم في ترجمته لإقبال الخاتوني، أن ضيفة خاتون منحته صلاحيات،
حتى تكن في الدولة وسيطر على الأمراء والرعاية وتولى أمور المملكة، وحكم في حلب حكم
الملوك، وتوضح الترجمة استياء ابن العديم من تصرفاته^(٥).

بدأت خاتون عهد الوصاية بتوتر علاقتها مع أخيها الكامل محمد، التي استشعرت منه
بالخطر، لذلك تعاونت مع أخيها الأشرف وحاكمي حصن وحاه فأرسلوا رسالة إلى الكامل
مفادةها أن لا يخرج لغزو الشام مرة أخرى^(٦). وقد ذكر المقريزي خبر تلك السفارة ورسالتها
إلى الكامل^(٧)، ولكن ابن العديم ينفرد فقط بإيراد جواب الكامل على الرسالة فقال:
(مبارك، انتم قد اتفقتم، فيما تطلبون من يميني، احلفو انتم أيضاً لي، أن لا تقصدوا
بلادي، ولا تتعرضوا الشيء بما في يدي، وأنا أوف لكم على ما تطلبون)^(٨)

وقد ذكر ابن العديم سفارته التي قام بها إلى غياث الدين كيخسرو ملك سلاجقة الروم

(١) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص ١٦.

(٢) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ص ٨٥-٨٦.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٥٣.

(٤) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٣، ص ٢٢١.

(٥) نفسه، بغية الطلب، ج ٤، ص ١٩٥٢-١٩٥٣.

(٦) نفسه، زينة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٧) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ص ٢٥٥.

(٨) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٣، ص ٢٢٨.

لتعزيته في والده، ثم سفارته في العام التالي (١٢٣٥هـ / ١٢٣٧م) إلى ملكي حماه وحمص بسبب الخلاف حول ملكيه بلده سليمة فأرسل إليهم للتوفيق بينهم، إلا أن السفارة فشلت في تحقيق غرضها، وقد ذكر كافة التفاصيل المتعلقة بسفارته دون غيره من المصادر^(١).

وأشار إلى المراسيم المتبعة في المصاہرات السياسية، حيث قام بعد المصاہرات على كل من كيخسو وباخت الناصر محمد، والأخير بأخت الأول^(٢).

وابتداء من عام (١٢٤٠هـ / ١٢٤٠م) ذكر ابن العديم كافة تفاصيل الصراع بين حلب والخوارزمية، ولم يذكر الأسباب التي دفعت الخوارزمية للهجوم على ممتلكات حلب وقد علق ابن العديم على هزيمة الحلبين بأنها تعود إلى تفرق الجيشين الحلباني في الكثير من القلاع وكثرة عدد الجيش الخوارزمي، وقد وصف ما قاموا به من أعمال وحشية قائلاً: (وارتكبوا من الفاحشة مع حرم المسلمين ما لم يفعله أحد من الكفار إلا ما سمع عن القرامطة)^(٣).

ويعتبر ابن العديم هو المصدر الوحيد لتفاصيل ذلك الصراع، الذي انتهى بعد ذلك بهزيمة الخوارزميين، واستيلاء حلب على مناطق واسعة في الجزيرة ومن أهمها مدن حران، سروج، الرُّوها. وقد ذكر ابن العديم قيام صدام آخر مع الخوارزميين حتى انتهى بأحداث كتابه إلى عام (١٢٤٣هـ / ١٢٤٣م).

- الجوانب الاقتصادية:-

لم يأت تصوير ابن العديم للجوانب الاقتصادية في مؤلفاته بصورة مباشرة، وإنما بصورة عرضية من خلال الإشارات الاقتصادية في مقدمته الجغرافية لكتابه بغية الطلب فهو لم يقدم المادّة العلمية الكاملة التي تمكن من الحكم على الحياة الاقتصادية حينذاك. ورغم ذلك فإن إشاراته قد أعطت لنا الكم البسيط من المعلومات التي وضحت بعض الثروات الطبيعية لبلاد الشام، وما قام عليها من صناعات صورت لنا جانباً من النشاط الاقتصادي.

فقد كان لوقع حلب على ملتقى الطرق التجارية أثر كبير على قيام حركة تجارية نشطة وهامة فعبر القوافل التجارية أدر عليها أموالاً كثيرة^(٤).

(١) نفسه، ج ٣، ص ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٤٧-٢٤٣.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٤٧.

(٣) نفسه، ص ٢٥٢-٢٥١.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، ط. القاهرة ١٩٩٣، ص ٥٥.

وقد أشار ابن العديم إلى أهمية تلك الطرق وأثرها على حركة التجارة فمن ذلك إشارته إلى ازدهار معرة النعمان لعبور القوافل التجارية^(١)، كذلك أشار إلى الإجراءات الأمنية التي قام بها آق سنقر بن عبد الله لتأمين الطرق ونتائجها على حلب فقال:

(و عمرت حلب في أيامه بسبب ذلك بورد التجار إليها الجنابيين من جميع الجهات)^(٢).

ونستنتج من ذلك أن تأمين الطرق التجارية كان أحد العوامل الرئيسية لازدهار النشاط التجاري، وأن التجارة تعتبر من أهم الموارد الأساسية في اقتصاد حلب وقد ذكر ابن جبير حركة القوافل التجارية المتبادلة بين المسلمين والصلبيين فيقول: ومن عجب ما يحدث في هذه الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الفرنج وسيئهم يدخل إلى بلاد المسلمين^(٣). وقد وصف ابن العديم بعض حركات التبادل التجاري بين الدول ومن ذلك إشارته إلى حركة تجارة الأخشاب وتصديرها إلى الدول الأخرى فيذكر أن حصن التينات يصدر الخشب الصنوبر إلى مصر، وعين تاب (يحمل إليها الأخشاب من بلاد الأرمن ومرعش وتبعا إلى مصر إلى بلاد أخرى)^(٤).

أما عن الصناعات فقد اعتمدت في بلاد الشام على ثروات طبيعية من المعادن التي وجدت المعادن في مناطق كثيرة فيها ولا سيما في جهات تدمر وجирود وحماه والخليل وحول البحر الميت^(٥). وقد ذكر ابن العديم أماكن وجود بعض المعادن ومن ذلك: الحديد في زبطة والمصيصة، والنحاس في جبل جوشن وقد أشار إلى عدم استخدامه لقلة المطح بحلب. كذلك ذكر أهم الصناعات القائمة على الحديد مثل الكراسي والدبابيس والسروج^(٦).

ومن الصناعات التي ازدهرت في حلب. صناعة ملح الطعام الذي يتوافر بشكل طبيعي كمادة أولية في بحيرة الجبول التي تتغذى من ماء نهر الذهب^(٧) وتحدث ابن العديم عن مراحل تصنيعه، وكيف كانت تجارتة تدر أموالاً كثيرة فيقول (فيما يلي من الأموال الخطيرة)^(٨)

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٢٧.

(٢) نفسه، ج ٤، ص ١٩٥٤.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ط. بيروت، ب. ت، ص ٢٧٢.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٢٢٣، ٤٢٨، ٤١٥.

(٥) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٧، ص ١٢١.

(٦) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٧، ١٥٦، ٤١١.

(٧) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي، ١٢٢.

(٨) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٢-٤٧٥.

وقد ذكر ياقوت بأن وارد تجارة الملح يشكل ثلاثة وخمسين ألف درهم من ميزانية حلب^(١). وقد اشتهرت حلب بصناعة استخراج زيت الزيتون وصناعة الصابون، نتيجة لتوافر أشجار الزيتون بها وكان الزيت يحفظ في صهاريج تحت الأرض^(٢). ومن الصناعات التي أشار إليها صناعة المنسوجات مثل صناعة ثياب تسمى الشفايا كذلك ذكر صناعة الفراء وتصديره إلى البلدان بأسعار مرتفعة^(٣). وكذلك أشار إلى صناعة ماء الورد بمنبع وما تدره من أموال كثيرة إلى جانب صناعة دباغة الجلود التي قامت في كفر طاب^(٤).

وقد تتبع ابن العديم المحاصيل الزراعية والمدن التي اشتهرت بزراعتها كالفستق، والجوز والفواكه والخضروات، وأشار بأنها يتم تصديرها فقال:

(وكانت بلدة معرة مصرین إلى جبل السماق بلد التين والفستق والسماق، وتحمل إلى مصر والعراق ويجهز إلى البلاد)^(٥).

وقد أشار ابن العديم إلى قيام تجارة بيع الطيور والحيوانات وخاصة البزاة (وهي جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم) وأشار إلى وجود أسواقها في مدينة طرسوس^(٦). ومن الأمور التي اهتم بذكرها الأنهر والبحيرات فقد استخدم الوصف الجغرافي في توضيح موقعها، ووصفها وتتبع مسارها الطبيعي من المنبع حتى المصب إلى جانب أهميتها وأشار إلى الأعمال التي قام بها الحكام والملوك بتلك الأنهر، إما بمد مياهها أو تحويل مجراه ومن ذلك: قيام سيف الدولة الحمداني بمد نهر قويق من مكانة وإدخاله إلى قصره^(٧)، وقيام الملك المجاهد شيركوه بن محمد بمد أنهر من نهر العاصي إلى مدينة حمص، وكذلك قيام الملك الظاهر بتجديد قلعة حلب^(٨).

وقد أشار إلى طرق تخزين المياه والتي كانت تتم في صهاريج للاستخدام المنزلي، وكذلك

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٠٧.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٤٢٢، ٤١٧، ١٣٣.

(٣) نفسه، ص ١٠٦؛ أحد رمضان، المرجع السابق، ١١٠.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ١٤٢.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٦٠.

(٦) نفسه، نفس الجزء، ص ١٨٠، ٢١٣.

(٧) ابن العديم، زينة الحلب، ج ١، ص ١٩٥.

(٨) نفسه، بغية الطلب، ج ١، ص ٣٩٠، ١٤٦، ٥٨.

بساطه مصايع خفط مياه المطر في جبل السماق ورصافه هشام^(١).

ومن النواحي الاقتصادية التي لم يغفل الحديث عنها تبعه للأزمات الاقتصادية الناجمة إما عن أسباب طبيعية أو أسباب سياسية، فمن ذلك عام (١١٧٧هـ / ٥١١م) يذكر حدوث أزمة اقتصادية في إنطاكية وحلب بسبب تلف المحصول الزراعي نتيجة لتغير الأحوال المناخية^(٢) وإما عن الأزمات الناجمة عن حصار الصليبيين ففي عام (٩٤٩٨هـ / ١٠٩٨م) وصف ابن العديم شدّه الغلاء فقال (لدرجة أكلهم الميتات)^(٣).

ويذكر أيضاً عام (١١١٠هـ / ٥٠٤م) عندما استولى الصليبيون على الأثارب أثر ذلك الغلاء بحلب، وهذا يوضح كيف كانت الأثارب هامة بالنسبة لحلب^(٤).

واهتم ابن العديم بإيراد أسعار السلع الغذائية والتي ذكرها في تأريخه للدولة الزنكية في عهد عماد الدين زنكي ونور الدين محمود حيث لا توجد إشارات أخرى عن أسعار السلع. فقد أشار في نهاية تأريخه لعماد الدين زنكي موضحاً أسعار الحنطة، والشعير والعدس^(٥) وكذلك فعل في نهاية تأريخه لنور الدين محمود ثم قارن بين الأسعار في عصره وعصر والده. وكذلك لم يهمل ابن العديم التعرض للظواهر الطبيعية والكوارث من زلازل وأوبئة ومنها الوباء الذي اجتاح حلب عام (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م - ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م) ولم يوضح نوع هذا الوباء^(٦).

وقد أسلّب ابن العديم في ذكر الزلازل التي اجتاحت حلب فيذكر منها زلزال عام (١١٤هـ / ٥٥٠م) فقد أشار إليه بحدوث زلزلة عظيمة وذكر أنها ألحقت الضرر بالقلاع في إنطاكية ومرعش والغور^(٧). وقد أشار إلى زلزال عام (١٣٩هـ / ٥٣٢م) وذكر الآثار المدمرة التي خلفها من تدمير بعض المدن بقوله: (وشوهدت الأرض تمواج والأحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال)^(٨) ويلاحظ أن أغلب ذكره لتلك الزلازل اعتمد فيه على تاريخ

(١) نفسه، ج ٢، ص ٤٢٣، ١١٣.

(٢) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ص ١٨١.

(٣) نفسه، نفس الجزء، ص ١٣٨.

(٤) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ص ١٧٣.

(٥) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٦) نفسه، ص ١٠.

(٧) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٣؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣٢.

(٨) ابن العديم، نفسه، ص ٢٧٠؛ العظيمي، المصدر السابق، ص ٥٣.

العظيم؛ ومن الزلزال الهامة التي أشار إليها زلزال عام ١١٥٧هـ / ٥٥٢م حيث دمرت مدن حماة وكفرطاب وأفاميه وشيزر التي انقلبت قلعتها على حاكمها وأهله^(١). وزلزال عام ٥٦٥هـ / ١١٧٠م الذي وصفه ابن العديم بان حلب خربت خراباً شنيعاً، فقد احترق جامع حلب والأسواق التجارية، وتوفى ما يزيد عن خمسة آلاف شخص^(٢).

- الجوانب الاجتماعية:

أشار ابن العديم لبعض الجوانب الاجتماعية في مقدمته الجغرافية فقد قسم سكان بلاد الشام وصفهم طبقاً لأعماهم وملكاتهم العقلية والفكرية.

فيذكر تركز الفلاحين في البلاد الزراعية كخناصره وحاضرها قنسرين وأهل العلم والحكمة في كل من حماه وعين زربه، والعلماء والشعراء في معرة النعمان، والأعيان والموسرين في كفرطاب وبزاراً وبالباب ومعره مصرین وصفها بذات القصور لاقتناء الأثرياء الأملاك بها ونجده يصف سكان " معرة النعمان بالذكاء المفرط " ، " وسكان بالسن بقلة العقول " و " أهل شيزر بالوخامة "^(٣) هكذا صنف ابن العديم سكان شمال الشام طبقاً لمقاييس العلم والثروة.

أما بخصوص ذكره للعادات والتقاليد الاجتماعية، فلم يشر إلى ذلك، غير مرره حين ذكر عادة الحلبين في موسم حصاد البطيخ إلى الخروج إلى صمع الفوقة للتنة^(٤). كما حرص على إبراز جوانب التسلية والترفية بالنسبة لملوك البيت الأيوي مثل قيامهم برمي البندق، وركوب الخيل والخروج إلى الصيد^(٥).

وكذلك اهتم ابن العديم بتصوير احتفالات البيت الأيوي في الزواج وميلاد الأبناء فيذكر في زواج الملك العزيز محمد وفاطمة خاتون بنت الكامل: (واتفق الأمر على أن حمل الذهب الواصل لتقديمه المهر والجواري والخدم والدرارهم والمتع)^(٦).

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٤٥؛ زبدة الحلب، ج ٢، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٢) نفسه، زبدة الحلب، ج ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣١.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٤٩، ١٤٥، ١٦٧، ١٤٩.

(٤) نفسه، نفس الجزء، ص ٢٢١.

(٥) نفسه، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢١٣؛ احمد رمضان، المجتمع الإسلامي، ص ٢٩٠.

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٢٤٠، ١٥٥.

وقد تناول ابن العديم بأسهاب ذكر الموروثات الشعبية أو ما يعرف بالمعتقدات الشعبية المتمثلة في الخوارق والطلاسم والتعاويذ ضد الأمراض أو ضد العقارب والثعابين^(١). وتأتي مصاديقه لتلك المعتقدات التي تناقلها الأجيال، بتجربته الشخصية لها، وتأكيده على صدقها حيث يذكر أن هناك ماء بشر يخرج العلق إذا نشب في حلق الإنسان بمجرد الشرب منه فيقول (وهكذا أمر مستفيض لا شك فيه، فإنني جربته أنا بنفسي)^(٢). وقد أشار ابن العديم إلى وجود قرية تسمى جب الكلب بها بشر له القدرة على شفاء عقر الكلاب بالاغتسال فيه^(٣)

- الجوانب الثقافية والعقدية:

أما من الناحية الثقافية فقد شهدت حلب نهضة علمية كبيرة فما أكثر العلماء والفقهاء والأدباء الذين امتلأ كتاب بغية الطلب بترجمتهم، وإلى جانب ذلك أشار ابن العديم إلى المدارس الفقهية التي انتشرت في عهد نور الدين محمود، والتي بعضها كان كنائس تحولت إلى مساجد ثم مدارس لتدريس المذاهب الفقهية ومنها الكنيسة العظمى التي أصبحت مدرسة للمذهب الحنفي^(٤) وإلى جانب ذلك كانت هناك المجالس الأدبية والعلمية التي يعقدها الملوك والأمراء وتضم رجال العلم والأدب، فقد حرص الكثير من الملوك الأيوبيين على مجالستهم، وقد وصف مجلس السلطان الظاهر غازى (وكان التوفود في كل عام تزدحم ببابه من الشعراء، والقراء. ولم

يجتمع بباب أحد من الملوك بعد سيف الدولة بن حمدان ما أجمعت ببابه وزاد على سيف الدولة. . .)^(٥)

ومن الناحية العقدية، فقد كان لرجال الدين والصوفية مكانة كبيرة لدى الملوك فكان رأيهم مطاع ومشورتهم نافذة ونفوذهم واسع، وكانوا أصحاب القرار في العديد من الأمور

(١) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٣، ص ٧٣٠، ٧٢١، ٧٢٢؛

Edde' (A. M.), Quelques villes de Syria du nord D'Apres L'interoduction de la Bugyta d'Ibn Al-Adim, Actas Dell xii congreso,, Madrid 1984, p. 264.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٣) Edde'(A. M), Quelques Villes de Syrie, p. 266

(٤) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ٢١٤.

(٥) ابن العديم، زينة الحلب ، ج ٣، ص ١٢٥.

الخامسة.

ومن ذلك دور القاضي أبي الفضل بن الخشاب^(١) في إدارة أمور حلب عام (٥١١هـ/١١١٧م) وتأثيره على المسلمين بخطبته لهم أثناء معركة البلاط عام (٥١٣هـ/١١١٩م)^(٢). دور القاضي أبي غانم محمد بن هبة الله بن أبي جراده جده والده قاضي حلب في تسليم حلب عام (٥١٨هـ/١٢٤م) إلى آق سنقر بن عبد الله^(٣) وأشار إلى أثر برهان الدين البلخي^(٤) على نور الدين محمود فيأخذ مسلك الصوفية، وأزال المكوس والضرائب، ودور قاضي حلب أبي الفضل هبة الله بن أبي جراده جده عام (٥٥٤هـ/١١٥٩م) في إخاد فتنة الشيعة بتکلیف من نور الدين محمود^(٥).

أما التصوف فقد انتشر في القرنين السادس والسابع الهجريين وأصبحت منشأته من المنشآت الدينية التي تطورت مع ازدياد المدارس، وقد لقي التصوف من الحكام تشجيعاً خاصاً. حيث كان الوضع السياسي وما شهدته بلاد الشام من الحروب الصليبية وضعف الجبهة الإسلامية، جعل المجتمع أكثر ارتباطاً بالصوفية وكراماتهم إذ وجدوا في تلك الكرامات ملاذاً نفسياً، وتعويضاً عن أصحابهم في واقعهم من هزائم وانكسارات^(٦).

وقد اعتقاد بكرامات الأولياء من الصوفية كافة الفئات حتى الحكام والقادة وسعوا للحصول على بركاتهم^(٧). وقد أورد ابن العديم الكثير من تراجمهم ، فقد ذكر ابن العديم في إحدى تراجم الصوفية قائلاً: (وقد سمع الملك الظاهر غازي بقدومه فخرج إلى لقائه، فوصل طارداً فرسه إلينا ونحن معه، فترجل عن فرسه ومشى إليه، وتبرك به)^(٨). وابن العديم

(١) انظر ترجمته: ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٨٥؛ Brand (C. H), The Crusades of Islamic, p. 109.

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٤) انظر ترجمته: ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١١٠.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ٣١٠، ص ٣١٥.

(٦) محمد مؤنس عوض، الحركة الصوفية في بلاد الشام عصر المغروب الصليبي، ضمن دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠٠٣، ص ٩٦-٩٧.

(٧) محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٨) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٥٩١.

تاسف لوفاه احدهم قبل لقائه حيث قال (ومات قبل وصولي أيامًا فأسفت على عدم لقائه والتبrik به وزيارتة)^(١).

وقد أشار إلى تعلق الناس بهم بعد وفاتهم بزيارة مقابرهم للتبرك بهم فيذكر: (وقبر أبي الحسين الزاهد المقدسي، ينذر له النذور والدعاء عنده مستجاب وله كرامات مشهورة، وكان الفرج يعظمونه)^(٢).

وقد تتبع ابن العديم في تاريخه حركة الإسماعيلية^(٣) والأدوار التي مرت بها دعواتهم وتحركاتهم مستغلة الظروف السياسية لفرض سيطرتها. وقد بدأ ازدياد نفوذ الباطنية في حلب في فترة حكم الملك رضوان بن تشن الذي استمال أحد زعيمائها وهو الحكيم المنجم، وأقام لهم داراً للدعوة. فقد كانت حلب لها مزايا واضحة بالنسبة لهم فالمدينة يسكنها عدد كبير من الشيعة، وهي مجاورة لأماكنهم في حبل السيق وجبل الظهرة، وبالنسبة للملك رضوان فقد وجد فيهم ضالته في الاستعانة بهم للقضاء على منافسيه في بلاد الشام^(٤). ومن هنا بدأت أولى عملياتهم وكانت قتل جناح الدولة حسين حاكم حمص وقد أشار ابن العديم إلى تفاصيل مقتله وأنه قتل بأمر من الملك رضوان^(٥) ولم يختلف فيما أورده عن ابن القلansي^(٦). وقد تتبع ابن العديم حركاتهم بعد ذلك، فذكر تفاصيل مقتل خلفاً بن ملاعيب صاحب أقامية عام ١١٠٦هـ/١٩٩٩م^(٧) وقد أفرد له ترجمة فصل فيها فيما أورده في الزبدة^(٨) اعتمد فيها على روایات العظيمي.

(١) نفسه، ج ٦، ص ٤٢١٥.

(٢) ابن العديم ، بغية الطلب، ج ١، ص ٤٦٣.

(٣) يطلق عليهم الباطنية وكان مذهبهم بأن للعقيدة ظاهراً وباطناً، أنظر عنهم: الحمادي، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط. اليمن ١٩٩٤؛ عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، ج ٢، ٢٠٠٦، ص ٧٥١؛ عثمان عبد الحميد عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٥.

(٤) برنارد لويس، الحشاشون (فرقة ثورية في تاريخ الإسلام)، ترجمة محمد العزب موسى، ط. بيروت ١٩٨٦.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٤٦.

(٦) ابن القلansي ، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٣.

(٧) ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٨) نفسه، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٣٥٤.

وقد انفرد ابن العديم بذكر محاولة اغتيال احد التجار هو أبي حرب عيسى بن زيد الخخندي عام (١١١١هـ / ٥٥٠٥م) المناهض للباطنية على أيديهم بإيعاز من الملك رضوان^(١). ولم يشر ابن العديم إلى قيامهم بقتل شرف الدين مودود حاكم الموصل عام (٥٠٧هـ / ١١١٣م) بينما ذكره ابن القلansi^(٢).

ولم يستمر الوضع هكذا فمع تولي ألب أرسلان الحكم بعد رضوان قام بالقضاء عليهم وطردهم من حلب، ثم قام ابن العديم بعد ذلك بتتبع حركات اغتيالهم للقادة المسلمين ففي عام (١٢٣٦هـ / ٥٢٠م) قاموا باغتيال آق سنقر البرسقي وقد ذكر تفاصيلها كاملة سواء في زيدة الحلب أو ترجمته له في البغية^(٣) وأشار إلى بعض الطقوس الخاصة باغتيالات الإسماعيلية وهي استخدامهم الخنجر دانياً في القتل، ولم يلجنوا إلى القتل بالسم أو السهم بالرغم من أن القتل يمثل هذه الطرق البديلة أكثر سهولة وأماناً فكان القاتل يمسك به في كل الحالات تقريباً، بل هناك ما يدعوا إلى الاعتقاد بأنهم يعتبرون البقاء على قيد الحياة أمراً مخجلاً بعد إنجاز المهمة^(٤).

ومع فترة حكم عماد الدين زنكي (١١٢٧هـ - ١١٤٦هـ / ٥٢١ - ٥٤١م) لم يذكر ابن العديم أي أحداث خاصة بالإسماعيلية غير قيامهم عام (١١٣٢هـ / ٥٢٦م) بشراء حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون^(٥).

ومع حكم نور الدين محمود (١١٤٦هـ / ٥٤١م) بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الباطنية بتولي سنان بن سليمان الذي عمل على تنظيم شتون الإسماعيلية حيث أسس لنفسه دار دعوة وبني حصنون عديدة^(٦). وعندما شعر نور الدين بازدياد نفوذهم عمل على إنشاء العديد من المدارس الفقهية لنشر المذهب السنوي^(٧).

(١) ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) ابن القلansi ، المصدر السابق، ص ٢٩٨.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٤، ص ١٩٧٠؛ زيدة الحلب، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٤) برنارد لويس، الحشاشون، ص ١٨٣.

(٥) ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٢، ص ٢٥١.

(٦) Lewis (B.) , three Biographies From Kamal al-Din, Melanges Fuad Kiprulu , Istanbul 1953, PP. 325-344.

(٧) ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٢، ص ٢٩٤-٢٩٣.

و مع حكم الصالح إسماعيل بن نور الدين بدأ للإسماعيلية تأثير كبير في سير الأحداث خاصاً بعد استفحـل أمر سنان ، وفي ذلك يقول ابن العديم:(.... و حاذر الملوك من التعرض له في يده خوفاً من هجوم أصحابه عليهم بالقتل، و دام له الأمر بالشام نيفاً و ثلاثة عاماً،....)^(١)

و قد بدأت عمليات الاغتيال بقيادة سنان بمحاـولة فاشلة لاغتيـال صلاح الدين الأيوبي عام (١١٧٥هـ/٥٧٠م) بـإيعاز من مقدم العساكر الخلـبية سـعد الدين كـمشـتكـين مقابل مـبلغ كـبـير ثم مـحاـولة في العام الثـاني (١١٧٥هـ/٥٧١م) أثـنـاء حـصار صـلاح الدين لمـدينـة إـعزـاز و هـاجـمهـه و لـكـنهـ لمـ يـصـبـ سـوى بـجـروحـ يـسـيرـةـ^(٢). و على أثر ذلك قـرـرـ صـلاحـ الدينـ مـحاـصـرةـ بلدـتـهـ ثـمـ صـالـحـهـمـ بـوـسـاطـةـ خـالـةـ مـحـمـودـ بـنـ تـكـشـ صـاحـبـ حـاهـ عـامـ (١١٧٦هـ/٥٧٢م)^(٣). و لمـ يـورـدـ ابنـ العـديـمـ أيـ تـفـاصـيلـ عنـ الحـصـارـ أوـ عنـ الـصلـحـ بلـ اـكـتـفـىـ بـالـإـشـارـةـ السـابـقـةـ.

و يـنـفـرـدـ ابنـ العـديـمـ بيـنـ مؤـرـخـيـ عـصـرـهـ بـإـيـرـادـ أـحـدـاتـ مـقـتـلـ وـ زـيـرـ الـمـلـكـ الصـالـحـ شـهـابـ الدـيـنـ بـنـ العـجمـيـ عـلـىـ يـدـ الـبـاطـنـيـةـ بـإـيعـازـ مـنـ كـمـشـتكـينـ مـقـدمـ العـساـكـرـ الـذـيـ قـيـلـ اـنـهـ زـورـ توـقـيـعـ الـمـلـكـ الصـالـحـ إـسـمـاعـيلـ فـيـ خـطـابـ أـرـسـلـهـ إـلـىـ سنـانـ يـأـمـرـهـ بـقـتـلـ الـوزـيرـ^(٤).

و قد أدـتـ تـلـكـ الحـادـثـ إـلـىـ اـضـطـرـابـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ سنـانـ وـ حـلـبـ، فـفـيـ عـامـ (٥٧٥هـ/١١٧٩م) قـامـ الـمـلـكـ الصـالـحـ بـالـاستـيـلاءـ عـلـىـ قـرـيـةـ لـلـإـسـمـاعـيلـيـةـ تـسـمـيـ حـجـيرـاـ، وـعـنـدـمـاـ فـشـلـ سنـانـ فـيـ أـثـنـاءـ عـنـ ذـلـكـ قـامـ بـإـحـرـاقـ سـوقـ المـدـيـنـةـ مـاـ أـسـفـرـ عـنـ خـسـائـرـ كـبـيرـةـ^(٥).

و مع بـدـاـيـةـ الـحـكـمـ الـأـيـوـيـ لـبـلـادـ الشـامـ، قـلـتـ الـاـغـتـيـالـاتـ بـالـإـسـمـاعـيلـيـةـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ خـاصـةـ عـنـدـمـاـ اـقـرـيـتـ مـنـ الشـرـيـعـةـ وـالـسـنـةـ، فـلـمـ نـعـدـ نـسـمـعـ عـنـ اـغـتـيـالـاتـ لـشـخـصـيـاتـ إـسـلـامـيـةـ فـيـ حـينـ أـنـ عـدـدـاـ مـنـ الـشـخـصـيـاتـ الـصـلـيـلـيـةـ، سـقـطـتـ وـكـانـ مـنـهـمـ رـيـمـونـدـ بـنـ بوـهـيمـونـدـ الـثـالـثـ حـاـكـمـ آـنـطـاـكـيـةـ الـذـيـ قـتـلـ فـيـ كـنـيـسـةـ طـرـطـوسـ عـامـ (١٢١٤-١٢١٥هـ)^(٦). لـذـاـ قـامـ

(١) Lewis (B.), three Biographies, p. 339.

(٢) ابن العديم، زبدة الـحلـبـ، جـ٣ـ، صـ٢٢ـ.

(٣) نفسهـ، نفسـ الجـزـءـ، صـ٣٠ـ.

(٤) ابن العديم، زبدة الـحلـبـ، جـ٣ـ، صـ٣٣ـ - ٣٤ـ.

(٥) ابن العديم ، زبدة الـحلـبـ ، جـ٣ـ، صـ٣٨ـ - ٣٩ـ.

(٦) برنارد لويسـ، الحـشـاشـوـنـ، صـ٢١٤ـ.

بوهيموند بمحاصرة حصن الخواص بهم وقد استنجدوا بالملك الظاهر غاري الذي إرسال نجدة لحماية الحصن وفك حصاره وإجبار بوهيموند على الانسحاب^(١). ولم يتحدث ابن العديم بعد ذلك عن أي نشاط للإسماعيلية في حلب.

وقد أشار ابن العديم في المجلد الأول من كتابه بغية الطلب الأماكن التي قطنها الشيعة ومنها جبل السماق^(٢) وأفامية وسرمين^(٣) حيث ذكر وجود دار دعوة لمذهبهم^(٤).

وقد ذكر أيضاً قيام الملك الظاهر غازي بوقف مشهد الحسين لاستئصالهم^(٥). وهذا يدل على مكانتهم، وكيف كان تأثيرهم على الحكام، من أجل تحقيق أغراضهم السياسية. كان هذا عرض مؤلفات ابن العديم والمحتوى التاريخي لها.

(١) ابن العديم، المصدر السابق، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) جبل من أعمال حلب الغربية، به مدن كثيرة انظر: ياقوت الحموي، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) بلدة مشهورة من أعمال حلب انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢١٥.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٣٩.

(٥) نفسه، نفس المصدر والجزء، ص ٤١٢.

الفصل الثالث

مصادر ابن العديم

أولاً، أنواع المصادر

- الوثائق.

ب - المعاشرة وامشاهدة.

ج - امشاهفة.

د - الإجازات.

ه - امسالة وامكاببة.

و - الآثار.

ز - التعاليل والخطوط.

ي - المؤلفات السابقة.

ثانياً، طرق الإسناد إلى المصادر

يتناول هذا الفصل بالدراسة العلوم المساعدة التي أعتمد عليها ابن العديم في مؤلفاته التاريخية وطرق إسناده والنقل منها. فقد تميزت مؤلفات ابن العديم التاريخية، باتساع الفترة الزمنية المؤرخة والتي عرضنا لها في الفصل السابق، وقد أدى هذا الأمر إلى استعانته بكم كبير ومتعدد من العلوم المساعدة، تباين في أهميتها ومدى اعتماده عليها وسوف نذكرها، ذلك أن الغاية من ذكرها هنا هو محاولة الوقوف على تصانيفها، والأسس التي اتخذها للمفاضلة في الاعتماد عليها، والأسلوب الذي اتبعه في الأخذ عنها.

أ- الوثائق:

هي كل الكتابات الرسمية وغير الرسمية للدولة التي تشمل أوامر الحكم وأحكام القضاة والمراسلات السياسية^(١)، وتعتبر من أهم المصادر في دراسة التاريخ. حيث يتم من خلالها دراسة الأختام والشارات والتواقيع التي تظهر بها، والتي تختلف من عصر إلى آخر ومن حاكم إلى آخر وبذلك يستطيع الباحث التاريخي تحديد زمن الوثيقة التاريخية الحالية من التاريخ. بالإضافة إلى ما يستتجه عن العهد الذي يبحث فيه من جهة ألقاب الحكام وشعاراتهم والعبارات الخاصة التي يستخدمونها في تواقيعهم^(٢).

كما أنها تمتاز بكونها أكثر المصادر موضوعية في كتابات المؤرخين ذلك إن استخدامها يدخل في إطار النقل الحرفي أو النصي، بالإضافة إلى إسهامها في إلقاء الضوء في بعض الأحيان على جوانب المجتمع الإدارية ونظمها المالية والاقتصادية^(٣).

وقد حرص ابن العديم على استخدام الوثائق في صلب مؤلفاته التاريخية مثلما هو الحال في معظم كتابات أسلافه من المؤرخين، وقد توافرت لديه بفضل مكانته ومركز أسرته، فقد تركوا له ميراثاً هائلاً منها إلى جانب ما وقع تحت يده بحكم الوظائف التي تولاها.

وقد نوع في طريقه عرضه للوثائق داخل مؤلفاته التاريخية، وخاصة الوثائق السياسية، والتي كانت تعرض في سياق محدد إما بعرضها كاملاً داخل المتن التاريخي كالوثيقة الخاصة بالحاكم بأمر الله الفاطمي^(٤) التي أرسلها إلى حلب لإلغاء بعض الضرائب، وأورد نصها

(١) حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، ط. القاهرة ١٩٨٤، ص ٥١.

(٢) حسن عثمان ،منهج البحث التاريخي ، ط. القاهرة ٢٠٠٠ ،ص ٣٠؛ كامل حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخي ، ط. بيروت ١٩٩٥ ،ص ١٤٨.

(٣) زكي محمد حسن، دراسات في مناهج البحث، ج ١، ط. القاهرة ١٩٥٠، ١٩٦١-١٩٦٢.

(٤) هو أبو علی منصور بن العزيز بالله ثالث خلفاء بنی العبيد في مصر تولى الخلافة مباغة عام

كاملًا مستهلاً حديثة عنها بالتأكيد على وجود علامة الخليفة الفاطمي على التوقيع الخاص بها فقال: (وهو عندي متوج بعلامة الحاكم عليه والحمد لله رب العالمين ونسخته) ^(١). وكذلك كان يشير إلى الوثيقة دون إيراد المحتوى كالوثيقة الخاصة ببيع الملك رضوان بن تشن لبعض قرى حلب أثناء صراعه مع الصليبيين عام (٤٥٠ هـ / ١١١٠ م) برغم امتلاكه نسخة منها ورثها عن والده ^(٢).

والوثيقة الخاصة بأق سنقر البرسيكي التي وقعتها لأهل حلب لإلغاء بعض الضرائب عام (١١٢٤ هـ / ١٩٥٤ م) ^(٣).

وقد اقتبس ابن العديم بعض الوثائق من مصادرها الأصلية مع الإشارة إلى المصدر وإيرادها كاملة، ومنها ما اقتبسه من كتاب عبد القوي بن الجليس عبد العزيز فقد نقل كتاب الأمان الذي أرسله الخليفة الحاكم بأمر الله إلى الوزير أبي القاسم المغربي ^(٤)، وقد أورد أيضًا بعض الوثائق الخاصة بالأوقاف ^(٥)، فقد ذكر في ترجمة زهير بن هارون قائلاً: (وقفت في كتاب في رق يتضمن وقفًا وقفه زهير بن هارون. . . . والكتاب مؤرخ بشهر ربيع الأول من سنة تسع عشرة وثلاثمائة) ^(٦).

وفي ترجمة سالم بن هبة الله قال: (وكان هذا الكتاب عندي من جملة كتب الوقوف، التي كانت في سلة الحكم عند سلفي من قضاة حلب. . . .) ^(٧).

ولكن يلاحظ أن إيراد ابن العديم للوثائق عامة، لم يكن باستفاضة فلم يكثر منها في مؤلفاته التاريخية على الرغم من إشاراته التي تؤكد على توافرها لديه، ولكن يحسب له إتباعه

(٦) (٩٩٦ هـ / ٢٨٦ م) وكان جواداً سفاكًا للدماء، قتل عدد كبير من أهل دولته: انظر عنه: ابن خلkan،

وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٩٨-٢٩٢.

(١) ابن العديم، زبده الحلب، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) نفسه، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٦٦.

(٣) ابن العديم، زبده الحلب، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٤) ابن العديم؛ بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٥٥٠.

(٥) الوقف في اللغة الحبس مطلقاً، والوقف في الشريعة الإسلامية صدقة عمرة لا تباع ولا تشتري ولا توهب ولا تصرف ولا تورث ويصرف ريعها إلى جهة من جهات البر: انظر: محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر عصر السلاطين المالكية، ط. القاهرة ١٩٨١، ص ١.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٩، ص ٣٩٠٣.

(٧) نفسه، ص ٤١٧٢.

لنهج شبيه إلى حد كبير بمنهج البحث التاريخي الحالي في التعامل مع الوثائق حيث التأكيد من صحة الأختام الموجودة بها والتاريخ المقيدة والواقع الخاصة ب أصحابها.

ب - المعاصرة والمشاهدة:

إن المؤرخ المعاصر للأحداث التاريخية يمثل أهمية بارزة في الكتابة التاريخية نظراً لقربة من مسرح الأحداث أو معايشته لها، وينطبق ذلك على ابن العديم، فقد عاصر وشاهد وشارك في العديد من الأحداث التي جعلته مصدراً قائماً بذاته، وأكثر ما نجد ذلك في القسم الثالث من أحداث كتابه زبدة الحلب الذي عاصر وشارك في أحداثه ووقف على أخباره، إلى جانب المترجم لهم في بغية الطلب فقد شاهدتهم وأتصل بأكثريهم، ومن هنا يظهر فكره في الكتابة التاريخية.

ولا تقل المشاهدة والمعاينة كمصدر من مصادر التاريخ عن المعاصرة، ورغم ذلك قلة قليلة من المؤرخين هم الذين ناصروا المعاينة في كتابة التاريخ. حيث عددهم لا يتناسب مع العدد الكبير من المؤرخين الذين تركوا لنا تراثاً ضخماً اعتمدوا فيه على النقل أو الرواية التاريخية التي قد تتضارب وتتعارض في الحادثة الواحدة، فلا يدرى أي الروايات يأخذ أو أنها يدع، إلا إذا عني بالتحقيق والمقابلة والمعاينة حتى ينكشف له وجه الحقيقة^(١) ويعتبر ابن العديم من القلة الذين ناصروا هذا المبدأ وعملوا به، ولكون المشاهدة غالباً ما ترتبط بالمكان، فقد وقعت أكثر مشاهدات ابن العديم في المجلد الأول من بغية الطلب المخصصة للحديث عن حلب وبلاط الشام من الناحية العمرانية والجغرافية، بالإضافة إلى بعض المشاهدات التي وردت في الترجم وفى كتابه زبدة الحلب مؤكداً ذلك بقوله (شاهدت ذلك)^(٢).

ومن مشاهداته أثناء وصفه للمدن: (شاهدت في طريقى إلى حماه أثر قناة)^(٣) ووصفه لمدينة كيسوم^(٤) فقال: (وقد رأيتها في طريقى إلى الروم) ووصفة لنهر حلب (وله مخرجان

(١) عبد العليم خضر، المسلمين وكتابه التاريخ - دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، ب. م، ١٩٩٥ ص ٤١٣.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٠٥.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٤٣.

(٤) كيسوم: قرية مستطيلة من أعمال سمياط لها حصن كبير، انظر الحموي، معجم البلدان، ج ٤ ، ص

شاهدهما^(١). وعن مشاهداته في مدينة عربوس^(٢) قال: (دخلت هذه المدينة وقد اجتزت إلى زيارة أصحاب الكهف وهم في جبل قريب منها)^(٣).

وفي وصف المدرسة الحلاوية^(٤) قائلاً: شاهدت في المدرسة الخفية المعروفة بالحلاوية بحلب مذبحاً من الرخام الملكي الشفاف الذي يقرب النصارى عليه القربان)^(٥).

كما ذكر زياراته للقبور ومنها (زرت قبر أبي العلاء المعري في البرية التي فيها مقابر أهله داخل مערה النعман من آدرتي سليمان... .)^(٦).

وقال أيضاً: (زرت قبر روزبهان بن أبي بكر بن محمد بن أبي القاسم الفارسي بالقرافة بسفح جبل المقطم بمصر... الخ)^(٧).

ج- المشافهة:

لقد ظلت الرواية الشفوية تحتفظ بمكانة جيدة برغم انتشار التدوين والتأليف بشكل واسع بسبب ما تتميز به من خصائص معينة كالدقة والضبط، فضلاً عن أنها تقليد لكتاب العلماء وخاصة المحدثين^(٨) وبالنظر إلى مؤلفات ابن العديم، نلاحظ أن مصادره الشفهية كانت مستمدة من كبار العلماء والفقهاء والسلطانين والأمراء وغيرهم من كافة طوائف المجتمع حينذاك.

ولعل أبرز مصادره الشفهية هم شيوخه، حيث كان من الطبيعي أن يحفظ الكثير من الأخبار والحكایات والحوادث التاريخية التي تلقاها منهم أثناء دراسته، ويعتمد عليها كمصدر رئيسي في مؤلفاته، وقد أورد الكثير منها بأسانيدها مستعملاً لفاظ المشافهة مثل (أنبأنا، أخبرنا، حدثني...) وقد اعتمد على شيوخه برغم توفر مادة مخطوطة عما ينقله

. ٣٣٣

(١) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٧، ٢٦٥.

(٢) عربوس: بلد من نواحي ثغور قرب المصيصة انظر الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٣٣

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٠.

(٤) انظر عنها: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص ١٦٠.

(٥) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٧-٤٥٨.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ٩١٣.

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٧٢١.

(٨) شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج ٣، ص ٣٤.

عنهم، فكان يوردهما معاً، فقد نقل من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر مباشرة، إلى جانب روایته عن ابن أخيه أبو البركات الحسن بن محمد^(١)، ونقل من كتاب تاريخ حلب للعظيمي مباشرة إلى جانب روایته عن شیخ المؤید محمد النیسابوری^(٢).

ویلی الشیوخ في مصادرہ الشفوية عائلته، فقد روی عن بعض أفراد أسرته وبخاصة والدہ أحمد بن هبة الله. فقد نقل بالرواية عن والدہ قائلاً:

(سمعت والدي أبا الحسن أحمد بن هبة الله فيما سمعه عن أسلافه بقوله....) ويدکر أيضاً (حدثني والدي لجد أبيه القاضي أبو الفضل....)^(٣).

كذلك روی عن أعمامه أبي غانم محمد وأبی المعالی عبد الصمد، ويلاحظ قوله نقول ابن العدیم عن عمه أبي المعالی عبد الصمد بالقياس لما نقله عن عمه أبي غانم محمد^(٤). كما توجد روايات رواها ابن العدیم عن عمه والدہ معاً ففي ترجمة آق ستقر بن عبد الله فقد ذكر (أخبرني والدي أبو الحسن وعمي أبو غانم محمد وحديث أحدهما زيهما يزيد عن الآخر قالاً...)، وهذا يوضح كيف كان يقارن بين الروایتين^(٥)، ولا شك أن مكانه هذه الأسرة والمهام التي تولاه أفرادها هي التي جعلتهم مصدراً هاماً بالنسبة له.

ولعل أبرز مصادرہ الشفهیة التي اعتمد عليها هم الملوك والأمراء، فقد استقى معلوماته منهم مباشرة أثناء تواجده في حلب وبلاط الشام ومصر وبغداد، وذلك بفضل مركزه ومكانته السياسية، وقد استخدم هذه المعلومات في ترجمه سواء كانت لهم أو لغيرهم من أمراء الیوبی فيذكر: (أخبرني الملك الأجد أبو علي الحسن بن داود...) ويدکر أيضاً: (أنشدني الملك الناصر داود بن عيسى لنفسه بحلب أبيات من الشعر....)^(٦)

وقد استمد ابن العدیم معلوماته من الأمراء والوزراء والفقهاء والقضاة كنحو قوله (أخبرني الأمير بدران بن جناح الدولة حسين)^(٧)، (سمعت القاضي الأكرم أبا الحسن)،

(١) ابن العدیم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٢٢٥، ١٨٢٥.

(٢) نفسه، الأنصال والتعری، ص ٥١٢.

(٣) ابن العدیم، بغية الطلب، ج ٣، ص ١٢٢٥، ج ٤، ص ١٨٢٥.

(٤) نفسه، ج ٨، ص ٣٥٩٢، ٣٦٠١، ج ١٠، ص ٤٤١٥.

(٥) نفسه، ج ٤، ص ١٩٦٤، وانظر على سبيل المثال: بغية الطلب، ج ٣، ص ١٢٢٤، ج ٩، ص ٤٣٠٤.

(٦) نفسه، ج ٧، ص ٣٤٥٦، ٣٤٦٠، ص ٣٤٦٠.

(٧) ابن العدیم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٧٤٢.

(وأخبرني القاضي شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن مدرك بن سليمان قاضي معرة النعمان) ^(١). بالإضافة إلى ذلك، وجدت مصادر شفهية استعان بها م بهمة الأسم والوظيفة، مقدماً المعلومات التي استقها منها بالمصطلحات الآتية: (أخبرني من أثق به وكتبه لي بخطه)، (وأخبرني بعض أهل الأدب) ^(٢)، (وذكر لي بعض من كنت أحضره) (وحكى لي جماعة) ^(٣).

د- الإجازات:

الإجازة عند علماء الحديث هي أن يأذن المحدث أو العالم للطالب بأن يروي عنه حديثاً أو كتاباً سواء كان هذا الكتاب من تصنيفه أو كان يرويه عن شيوخه بالإسناد إلى مؤلفه، وتكون هذه الرواية بالإذن موثقاً فيها، وليس من شرط الإجازة أن يتصل هذا الشخص بمن أذن له اتصالاً مباشرأً ^(٤).

وقد تنوّعت الإجازات وأصبحت تشمل جميع العلوم الأخرى كالتفسير، القراءات والفقه، واللغة، وأدابها وغيرها من العلوم، وكان الشيخ يكتب فيها عادةً اسمه ونسبة ولولده وشيوخه وما يُحيّره للمستجيز، وكان من الطبيعي أن يحتفظ الطالب بهذه الإجازات للتدليل على صحة روایتها ولإبرازها عند الحاجة ^(٥).

وقد أورد ابن العديم في كتابه بغية الطلب العديد من الروايات والأخبار عن طريق الإجازة له بروايتها، أو الإذن له بذلك من أصحابها سواء كانوا محدثين أو علماء من غير أن يسمع منهم ذلك، وما أكثر العلماء والمحدثين الذين التقى بهم سواء كانوا داخل حلب أو خارجها أثناء رحلاته وأسفاره.

وقد ميز ابن العديم روایاته التي كان يوردها عن طريق الإجازة أو الإذن له بالرواية، بالإشارة إليها في موضوعها ومن ذلك قوله: (أخبرنا أبو اليمين الكندي زين الحسن إذنا) ^(٦).

(١) نفسه، الإنصاف والتحري، ص ٥١٤.

(٢) نفسه، بغية الطلب، ج ١، ص ٩٨، ٢٧٣.

(٣) نفسه، نفس المصدر، ج ٥ ص ٤٢٦٧، ج ٩، ص ٢٣٩٩.

(٤) التهاني، كشف مصطلحات الفنون، ج ١، تحقيق لطفي عبد البديع، ت عبد النعيم محمد، ط. القاهرة ١٩٦٣، ص ٢٩٥، الشهر زوري، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عنتر، ط. بيروت، بـ٢، ص ١٥٤-١٦٣، أحد رمضان، الإجازات والتقيعات المخطوطه في العلوم النقلية والعقلية من ق ٤ هـ / ١٠ م إلى ١٠ هـ / ١٦، ط. القاهرة ١٩٨٥ ص .

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى في كتابه الإنسا، ج ١٤ ، ط. القاهرة ١٩٦٣، ص ٣٢٢ - ٣٢٨.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٧٥.

(وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد المكتب فيها أذن لنا في روايته عنه. . .^(١)
وقرأت في معجم شيخ أبي المحسن عمر بن علي القرشي ببغداد وبخطه وأخبرنا به إجازة
ولده عبد الله قال. . . .^(٢)

وما لا شك فيه أن المعلومات التي حوتها هذه الإجازات هي معلومات دقيقة، لأن
المجيز كتبها بنفسه، لذلك استفاد منها ووظفها حيثما احتاج إليها.

هـ - المسائلة والمكاتبة:

وهي طريقة أعتاد عليها العلماء بغية الحصول على المعلومات التي لم تكن تتوفر لديهم أو
لتوثيق معلومات موجودة لديهم من مصادرها، أو العلماء المتخصصين بها. فقد كانت
الاتصالات جارية فيما بينهم ولا سيما المعنيين بالترجم، بإرسال المعلومات من بلد إلى الآخر
عن طريق المكاتبة. وجرت العادة أن يرسل العلماء بعضهم بعضاً بالمعلومات المستجدة في
بلدهم، للإطلاع عليها ومتابعة أخبار العلماء أولًا بأول.^(٣)

لذلك كان من الطبيعي أن يعتمد ابن العديم هذه الطريقة أيضاً للحصول على
المعلومات المستجدة باستمرار، أو لتوثيق معلومات من مصادرها. وكان أغلب المكاتب
لأشخاص غير معروفين كالعلماء ومن ذلك قوله:

(وأخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود في كتابه قال) (وأخبرنا أبو المظفر عبد الرحيم
السعاتي في كتابة إلى من. . . .^(٤)).

أو يقول: (أنبأنا أحمد بن الأزهر السباك في كتابه إلينا من بغداد) أو يذكر: (وكتب إلينا
أبو الفتوح نصر الحصري من مكة شرفها الله. . .^(٥)).

ويلاحظ من خلال بعض المكاتب مراسلة ابن العديم لبعض العالمات بقصد الحصول
على معلومات ومعارف توفرت لديهن وتخصصن بروايتها ومنهن زينب بنت عبد الرحمن
الشعري (ت ١٢١٨ هـ / ٥٦١٥ م)^(٦) وقد جاءت مكاتبتها من نيسابور حيث قال:

(١) نفسه، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٦١١.

(٢) نفسه، ج ٦، ص ٢٩٥٥.

(٣) مريم محمد، موارد ابن العديم، ص ١٤٥.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٨٠، ج ١، ص ١٠٦.

(٥) نفسه، ج ٤، ص ١٩٠٠، ج ٢، ص ٣٣٠.

(٦) أم المؤيد كانت عالمة، أدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية وإجازة أنظر: ابن خلkan،

(أخبرتنا أم المزید زینب بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن في كتابها إلينا من نیسابور..) أو (كتبت إلينا زینب بنت عبد الرحمن الشعري من نیسابور..)^(١) وكذلك استقى ابن العديم من عالمه أخرى عن طريق الروایة المباشرة وهي أم الفضل كریمة بنت عبد الوهاب^(٢) وقد أخذ عنها من دمشق حيث قال: (أخبرنا القاضي شمس الدين أبو نصر محمد، وأبو الفضل مکرم بن أبي الصقر، والحرۃ أم الفضل كریمة بنت عبد الوهاب بدمشق)^(٣). ولم ينقل ابن العديم روایات عن عالیات من النساء مباشرة سوى هاتین العالیتين.

و- الآثار:

لم يكن ابن العديم بمعزل عن علم الآثار، بل برع فيه بدرجة كبيرة، فقد حفلت مؤلفاته بالتفصیلات الدقيقة للمعلم الأثرية التي تناولها بالحدث ووقف عليها وشاهدها بنفسه، وقد أوضح لنا تاريخ بنائهما ومراحلها عبر العصور ومن ذلك قوله:

(هذا القصر كان مبنياً من الحجارة السود الكبار المنحوتة، وأدركت أنا قطعة منه وقد أنهدم الآن وتقسمت حجارته)^(٤). ويقول: (أبنتي صالح بن علي بن عبد الله قصراً خارج حلب،...، وأثاره باقية إلى الآن وقد ذكره البحتری وغيرهم في أشعارهم)^(٥). ويدکر (زرت برج المحراب الذي من بناء داود)^(٦) وكان برجاً عظیماً بحجارة عظيمة هائلة، وكان ثلاثة طبقات والمحراب في الطبقة الوسطی)^(٧).

وقد عثّر ابن العديم من خلال وصفه لبعض الآثار على النقوش التي دونها الخلفاء والسلطانين والأمراء من قبل في أعمالهم المعمارية، أو أنه دون تلك النقوش من مؤلفات رأها أصحابها رأى العین ثم فقدت فلم يبق منها سوى ما نقله ومن أمثلة ذلك، إيراده لبعض

وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٥٠٥، ج ٢، ص ٧٧٦.

(٢) أم الفضل القرشیة الزیریة مسندة الشام كانت تعرف باسم بنت الحبیق انظر: عمر کحالة، أعلام النساء، ص ٢٤٣، کرد على، خطط الشام، ج ٤، ص ٤٦-٤٧.

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٣٨، ١٤٦٠، ج ٧، ص ٣٤٠٣.

(٤) نفسه، ج ١، ص ٦٤.

(٥) صالح بن علي هو أحد ولاد بنی العباس في حلب، انظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٥٩.

(٦) هو سیدنا داود النبي عليه السلام.

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٠٥.

النقوش اليونانية والتي عثر عليها في إحدى المدارس الخفية، ويرجع لعصر الإمبراطور دقلديانوس وقد ذكر ترجمة النقوش نقلأً عن إحدى مصادره الشفهية^(١).

ويذكر أيضاً نقشاً خاصاً بأبي الغنائم تاج الملك الذي كان يتولى خزانة السلطان ملકشاه بأن اسمه كان محفوراً في مسجد^(٢)، وإلى جانب ذلك استقر أباً العديم ما سُجل على الرخام في شواهد القبور سواء كانت توارييخ الوفاة أو بعض الأبيات من الشعر^(٣).

ولا شك أن أهمية النقوش الأثرية تكمن في تأكيدها على صحة بعض المعلومات مما يصعب الطعن في قيمتها أو التشكيك في أصلتها، فهي من جهة معاصرة الأحداث التي تسجلها، كما أنها محايضة فتغوص النقش، وتسد الفراغ في المصادر التاريخية^(٤). ومن جهة ثانية فإنها تمتاز بأن توارييخها صحيحة إلى حد كبير، والإعلام التي تذكر بها يقل التحريف والتصحيف فيها، ومن جهة ثالثة فهي تفي في مقارنة أقوال المؤرخين وإناثات صحتها أو الكشف عن أخطائها، كما تحيط اللثام عن حقائق كثيرة جديدة مستمدة منها^(٥).

ومن العلوم المساعدة لعلم الآثار، علم النميات أي دراسة المسكوكات والعملات القديمة، وهو من العلوم القيمة التي تمكن الباحث من استخراج المعلومات عن الحقبة التاريخية التي يدرسها من حيث أحواها الاقتصادية وأساليب التعامل التجاري والأسعار، بالإضافة إلى معرفة أسماء الحكام والملوك الذين ضربت باسمائهم، وبأسماء المدن التي ضربت فيها^(٦).

وهنا تظهر براءة ابن العديم عندما استعان بعلم المسكوكات مصدرأً للتاريخ، على الرغم من أن إشاراته جاءت شحيحة أو ضئيلة جداً إذا ما قورنت بمصادره الأخرى ومن أمثله ذلك: (ورأيت فلوساً عتيقة، فتبعت ما عليها فإذا أحد الجانيين مكتوب عليه ضرب هذا

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٤٥٧-٤٥٨؛ روزنثال، علم التاريخ، ص ١٧٧.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٤٤٥.

(٣) نفسه، ص ٤٢٧-٤٥٧.

(٤) على إبراهيم، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ، ط. القاهرة ١٩٨٠، ص ٥٦.

(٥) محمد أحد ترحبني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، ص ١٧٨، محمد حزة إسماعيل، النقوش الأثرية مصدرأً للتاريخ الإسلامي والحضارة، مع ١، ط. القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٠، جان سوفاجيه، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي، ط. ١٩٩٨، بـ١، ص ٩٢.

(٦) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص ٣٢، كامل حيدر، منهج البحث الأثري، ص ١٤٦.

الفلس بمدينة حلب سنة ست وأربعين ومائة وعلى الجانب الآخر أمر به الأمير صالح بن علي أكرمه الله). ويدرك أيضاً: (ورأيت فلوساً عتيقة، فقرأت عليها ضرب هذا الفلس بقنسرين سنة سبعة وخمسين ومائة)^(١). ولا نعلم السبب الذي جعلت استعانته بالنقود توقف عند هذا الحد فلم يتسع فيها على النقيض من مصادره الأخرى، ولكن يبقى له السبق في الاستعانة بالنقود واستقراء ما عليها لتدوينه.

و- التعاليق والخطوط:

تعد من المصادر ذات القيمة العالية في الكتاب، لكونها تعقيبات وملحوظات دونت في حواشي بعض النسخ، أو في ورق مستقل ضاع أكثره باعتباره أصولاً غير متكررة فقال: (قرأت في بعض تعاليق القاضي أبي مرشد سليمان....، وقرأت في بعض مطالعاتي في الكتب ووجده معلقاً عندي بخطي أن....)^(٢).

ونقلت من بعض تعاليقي مما نقلته من خط بعض الحلبين)^(٣)، (ونقلت من خط أبي عبد الله محمد العظيمي)، (وقرأت في مدرج وقع بخط مرهف بن أسامة)^(٤).

ز- المؤلفات السابقة:

تعتبر الأساس الذي اعتمد عليه ابن العديم في مؤلفاته التاريخية فقد وضع أمامه جميع أنواع التراث التاريخي الإسلامي منذ بدايته حتى أوائل القرن السابع الهجري، وهو تراث هائل غني، قد مر بعصور ازدهار التأليف عند المسلمين الذين تفتتوا في تنوعه وإثرائه، سواء كان ذلك بتصانيفه المتعددة، أو بآهاديه التي احتوتها تلك المؤلفات.

ولذلك لم يكن من السهولة مطلقاً الوقوف عليه واستيعابه فهو يحتاج إلى المزيد من الوقت، ولكن توفر تلك المؤلفات في مكتبه الخاصة وفر لديه الكثير من الوقت الذي ساعدته على الانصراف إلى العلم إلى جانب ذكائه وقوته حافظته مما جعله يستوعب تلك المؤلفات جيداً. ومن المؤلفات التي استعان بها:

- كتب المغازي والسير النبوية، تواريخ الخلفاء، كتب السير، كتب الأنساب

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ٦٥.

(٢) ابن العديم، الأنماط والتحري، ص ٤٩٨، ص ٥٦٠.

(٣) نفسه، بغية الطلب، ج ٤، ص ٤٠٨٧.

(٤) نفسه، ج ٤، ص ١٩٨٦.

والأخبار، الكتب الأدبية، الكتب الجغرافية، التواريخ المحلية، كتب الترجم بأنواعها العديدة.

وقد نتمكن من استيعاب جميع المؤلفات في كل من الأنواع المذكورة أعلاه وإذا ما تبعنا المؤلفات التي وضعت في كل شكل من هذه الأشكال، واستقصينا الكتب التي وقف عليها ابن العديم، وأفاد منها، لوجدناه قد استوعب القسم الأكبر منها، ولنذكر بعض المصادر المتنوعة مثalaً لذلك وفقاً لترتيب سنوات الوفاة.

- **البلادري** (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م):

هو أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذری البغدادي كاتب وأديب، ولد في بغداد، وتلقى تعليمه في العراق ودمشق وحلب ومن أهم مؤلفاته كتاب أنساب الأشراف وكتاب البلدان وفتوحها ويعرف باسم فتوح البلدان^(١). وقد اعتمد عليه ابن العديم خاصة في المجلد الأول من البغية من الناحية الجغرافية وحركة الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام^(٢).

- **اليعقوبي** (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م):

أبو يعقوب أحمد بن جعفر بن واضح، ولد ببغداد لأسرة شيعية، كان والده من كبار عمال البريد، تنقل بين البلدان طلباً للعلم أقام في مصر في عهد الدولة الطولونية^(٣) وقد نقل عنه ابن العديم من كتاب البلدان، واستخدمه في الجزء الأول من البغية في التعريف بمدن الشام وخصوصها، وتميزت نقوله بقصر الرواية^(٤).

- **السرخسي** (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م):

أحمد بن محمد بن مروان الخرساني السرخسي^(٥)، كان أدبياً وشاعراً وفقيهاً على المذهب الشافعي، صحب الخليفة العباسى المعتصم بالله. وقد ترجم له ابن العديم ذكر بعض

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ص ١٢١٩ - ١٢٢٢، يسرى عبد الغنى، معجم المؤرخين، ط. القاهرة، بـ ت، ص ٥٦.

(٢) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٧، ١٢٥، ١٠٨، ١٠٣.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٥، ص ١٥٣.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٨٨، ١٢٣، ١٣٤، ١٧٧.

(٥) سرخس مدينة كبيرة من نواحي خراسان تقع بين نيسابور ومردو. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠٨.

مصنفاته، وسها كتاب رحلة المعتصد الذي وصلنا من خلال كتاب سيرة المعتصد مؤلفة سنان بن ثابت^(١)، وقد استعان به ابن العديم في المجلد الأول من البغية إلى جانب كتابه المسالك والمالك^(٢).

- **البلخي** (ت ٩٣٤ هـ / م ٢٢٢):

أبو زيد أحمد بن سهل، ولد ياحدى قرى بلخ عام (٨٥٠ هـ / م ٢٣٥) بدأ نشاطه كمعلم، ثم ارتحل لطلب العلم^(٣)، واعتمد ابن العديم على كتابه صورة الأقاليم في الجزء الأول من البغية وذكر أسماء متعددة للكتاب فهو مرة يذكره باسم صورة الأرض والمدن وحياناً آخر يصفه الأرض والمدن أو يذكر قال أبو زيد البلخي في كتابه أو في تاريخه^(٤).

- **سعيد بن البطريق** (ت ٩٣٩ هـ / م ٢٢٨):

كان يعرف باسم أوثوسيوس، ولد عام (٢٦٣ هـ / م ٨٧٦) بفسطاط مصر، وتولى بطريركية الإسكندرية من قبل الخليفة العباسي القاهر بالله، أهتم بدراسة الطب والتاريخ^(٥). استعان ابن العديم بكتابه في التاريخ دون أن يورد عنوان الكتاب وقد اعتمد عليه في الجزء الخاص بتاريخ إنطاكية قبل الإسلام، وفتوحات المسلمين لبلاد الشام^(٦).

- **الصولي** (ت ٩٤٧ هـ / م ٣٣٥):

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن عباس البغدادي^(٧) نقل عنه ابن العديم كتاب الأوراق اعتمد فيه على أخبار الخلفاء والأشعار الخاصة ببني العباس^(٨).

- **ابن المنادي** (ت ٩٤٧ هـ / م ٣٣٦):

أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد، ولد ببغداد عام (٢٥٧ هـ / م ٨٧٠)، أورد ترجمته ابن العديم، وذكر بعض مصنفاته التي أطلع عليها وكلها في حكم المفقود^(٩). وقد نقل عنه

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢١٣.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٠٧، ١١٣، ٢، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٣) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٦٤ وما بعدها.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٧٤، ١٤٧، ١٦٧، ١٧٧، ٢٥٣.

(٥) ابن أبي أصيبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ١٩٨٦، ص ٢٠٠.

(٦) ابن العديم بغية الطلب، ج ١، ص ٨٤، ٥٨١، ٤، ج ٤، ص ١٩٥١.

(٧) ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٥٧؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٦٧.

(٨) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ص ١٢٩٧.

(٩) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٩٥-٥٩٦.

بعض أجزاء من كتاب (الحافظ لمعارف حركات الشمس والقمر والنجوم وأوصاف الأفلak والأقاليم وأسماء بلدانها) وقد أشار إلى وجود نسخة لديه من الكتاب بخط مؤلفه ومسموع عليه منه^(١)

- ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م):

أبو القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي، ولد ببغداد ونشأ بها، وكان تاجرًا رحالة أخذ بحوب الأقطار للتعرف على خصائص الأقاليم وطبائع الشعوب^(٢). ذكره ابن العديم وأثنى على كتابه وأكثر النقل عنه في وصف حلب^(٣).

- المرزياني (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م):

هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الملك المرزياني الخرساني، كان صاحب أخبار ورواية للأدب، صنف كتبًا كثيرة في أخبار الشعراء والمحدثين على طبقاتهم^(٤)، أخذ ابن العديم كتابه معجم الشعراء واقتبس منه^(٥).

- الطرسوسي (ت ٤٠١ هـ / ١٠١١ م):

هو عثمان بن عبد الله إبراهيم، ولد بمدينة طرسوس بين إنطاكية وحلب أفرد له ابن العديم ترجمة، أهم مؤلفاته سير الثغور والذي وضعه لوزير سيف الدولة الحمداني، جعفر بن الفضل بن الفرات، وقد أكثر ابن العديم النقل منه في المجلد الأول من البغية خاصة في الحديث عن مدينة طرسوس وحصونها^(٦).

- المسبحي (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م)

هو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله، صاحب كتاب أخبار مصر الذي تضمن الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية وأحوال من حل بها. وجعله

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٣٦١، ٣٤٨، ٩٧، ٨٧، ٧٢.

(٢) كراتشوفסקי، تاريخ الأدب الجغرافي، ق ١، ط. بيروت، ب ت، ص ٢٠٠.

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٦٧٢، ج ١، ص ٦٦، ٧٢، ٨٦.

(٤) ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٥٤-٣٥٦؛ ابن النديم، الفهرست، ص ١٤٦-١٤٩؛ ياقوت الحموي معجم الأدباء، ج ١٨، ص ٢٦٨-٢٧٢.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٠٣، ج ٣، ص ١١٩٠، ١٢١٦، ١٤٤٧.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٨٥، ج ٢، ص ٨٥٣، ج ٣، ص ١٤٥٠.

مرتبأً على السنين المتعاقبة^(١)، وقد اعتمد عليه ابن العديم في الأخبار الخاصة بمصر^(٢).

- **الشعالي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م):**

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد الشعالي نسبه إلى خياط جلود الثعالب وعملها، ألف في اللغة والأدب والتاريخ، أشهر مؤلفاته يتيمة الدهر وتتمه^(٣) وفيها يترجم الكثير من الشعراء المعاصرين له أو السابقين عليه، وقد اعتمد ابن العديم على الكتاب مباشرة^(٤).

- **الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٧١ م):**

هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ولد في غزية التي تقع في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، سمع بالبصرة ومن أهم مصنفاته تاريخ بغداد الذي يعتبر أفضل ما صنف في موضوعه على تاريخ المحدثين^(٥). وقد نقل عنه ابن العديم مباشرة إلى جانب بعض الروايات المسندة عن شيخه أبو اليمن الكندي^(٦).

- **التكريتي (٧) (ت ٤٧٢ هـ / ١٠٨٠ م):**

أبي نصر يحيى بن جرير الطيب، كان من أطباء النصارى، متميزاً في الطب له مؤلفات في الفلك وتاريخ القدماء ومنها (أوقات بناء المدن)^(٨). الذي استعان به ابن العديم في الجزء الخاص بالتاريخ لحلب قبل الإسلام^(٩).

- **البكري (ت ٤٨٢ هـ / ١٠٩٤ م):**

عبد الله بن عبد العزيز ولد في عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م بالأندلس وكان والده أميراً على

(١) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٧١، ابن خلkan، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٧٧.

(٢) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١١١، ١١١٦، ج ٤، ص ١٦٥٤، ج ٥، ص ٢٤٧٧.

(٣) ابن خلkan، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٨-١٨٠، اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٥٣-٥٤، العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٥٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ج ٨، ط. بيروت ١٩٩٢، ص ٢٦٥-٢٦٥؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج ٣ تحقيق محمد الحلو، حمود الطناхи، ط. القاهرة ١٩٩٢، ص ١٢-١٦.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٧٢-٦٨٩-٦٧١.

(٧) نسبة إلى مدينة تكريت الواقعة بين بغداد والموصل انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨.

(٨) ابن أبي أصيحة، عيون الإنباء، ص ٣٢٨.

(٩) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٨٣، ٨٤، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٤، ص ١٦.

أحد الإمارات الاندلسية، ثم ارتحل إلى قرطبة ومنها إلى المرية فاصطفاه صاحبها محمد بن معن، وصارا وزيراً له، ومن أهم مؤلفاته كتاب (المسالك والمالك) و(معجم ما استعجم) وهو معجم لغوي جغرافي خاص بتحقيق أسماء المواقع التي وردت في الشعر والأحاديث وكتب التاريخ^(١)، وقد أخذ منه ابن العديم وكان لديه نسخة^(٢).

- ابن المذهب المعربي (ت ٥٥ هـ م):

أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر، عاش ما بين سنة ٤٣٠ هـ إلى ما بعد سنة ٤٩٠ هـ تقريباً، وهو من الفقهاء الذين برزوا بوضوح في معركة النعمان، ألف تاريخاً على السنين اعتمد في تصنيفه على ما وجده بخط أبيه أبي الحسين على بن المذهب وأضاف إليه ما وجده من التواريχ المتقدمة وما أخذه عن شيخه أبي العلاء وغيره من أهل بلده، وقد امتد التاريخ كما يظهر من المقتبسات إلى حوالي عام ٤٧٠ هـ^(٣) وهذا الكتاب في حكم المفقود، وقد نقل الكثير من أجزائه ابن العديم^(٤).

- الأثاري (ت ٥٤٢ هـ ١١٤٧ م):

أبو الفوارس حمدان عبد الرحيم بن حдан الأثاري ثم الحلبي، أدرج له ابن العديم ترجمة كافية، وقد اقتبس أجزاء من كتاب المفوف، وكان تارة يسميه تاريخاً وأخرى يسميه أخبار الفرنج^(٥). وهو كتاب في تاريخ حلب من سنة تسعين وأربعين يتضمن أخبار الفرنج وأيامهم وخروجهם إلى الشام من السنة المذكورة وما بعدها إلى حدود عام ٥٢٥ هـ. وقد سماه المفوف وتعني نوع من الثياب المخططة. وقد كتبه صاحبه وهو شاهد عيان على الأحداث، وقد فقد الكتاب ولم يبق منه غير ما نقله المؤرخون ابن أبي طيء الذي ضاعت مؤلفاته وابن العديم في بغية الطلب، ولعل عز الدين بن شداد أخذ منه عن طريق ابن العديم^(٦).

(١) المقري، نفح الطيب، ج ٣، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٩٨، ص ١٨٤؛ البكري، معجم ما استعجم، ط. القاهرة ١٩٤٥، ص ١٢.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٨١، ١٥٤، ٤٣٤.

(٣) شاكر مصطفى، التاريخ والمورخون، ج ٢، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٤٨٠، ٤٨١، ٩٤٠، ج ٥، ص ٢٢٧٢.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٢٩٢٦.

(٦) شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ص ٢٣٦.

- ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م):

هو أبو بعلي حمزة بن أسد التميمي الدمشقي ويتمنى لأسرة عريقة انحدرت في نسبتها إلى قبيلة تميم العربية ولد عام (٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م)، اهتم بدراسة العلوم الدينية والأدب، وأمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء بمدينة دمشق حتى أصبح رئيساً له، ثم رئيساً لمدينة دمشق. وقد أتاح له مركزه أن يكون أكثر قرباً لأحداث الحروب الصليبية. ومن أهم مؤلفاته كتاب ذيل تاريخ دمشق الذي ذيله على كتاب هلال الصابرين الذي يقف بأحداثه حتى عام (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فأستكمله ابن القلانسي حتى وفاته^(١).

- العظيمي (ت ٥٥٨ هـ ١١٦٣ م):

هو أبو عبد الله محمد بن علي محمد العظيمي التنوخي^(٢)، ولد بحلب عام (٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) وقد نشأ في أسرة كبيرة امتدت جذورها إلى قبيلة تنوخ العربية، وكان يقوم بتعليم الصبيان فصارت مهنته، لذا أطلق عليه ابن العديم بالأستاذ^(٤). وقد اقتبس ابن العديم عنه ثلاثة مؤلفات منها كتاب كبير في التاريخ، والثاني المؤصل على الأصل الموصلى وهو التذكرة من سير الإسلام، والثالث تاريخ مختصر. والكتاب الأول والثاني في حكم المفقودين ولم يبق غير كتابه المختصر والإشارات التي أوردها عنه ابن العديم^(٣).

- ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ ١١٧٦ م):

هو أبو القاسم، ثقة الدين علي بن الحسن بن هبه الله الشافعي، ولد عام (٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) لأسرة ذات رياضة علمية، درس الحديث والفقه على المذهب الشافعي حتى صار

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٤٥؛ صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون وأثارهم الخطورة من ق ٣٢ هـ إلى نهاية ق ١٠ هـ ط. القاهرة ١٩٥٦، ص ٢٠ - ٢١، يسري عبد الغني معجم المؤرخين، ط. القاهرة، ب. ت، ص ١٤٠.

Singh (N. K.), Encyclopedia historiography of the Muslim world, vol. 1, India 2004, P. 398.

(٢) اسم يطلق على عدة قبائل، والتنوخ هو الأقامة. انظر: كندرمان، مادة تنوخ، دائرة المعارف الإسلامية، تحقيق الشتاوى وآخرون.

(٤) بروكلمان، تاريخ الأدب، ج ٦، ص ١٣١؛ السيد الباز العربي، مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٢، ص ٩٦.

(٣) مریم محمد، موارد ابن العديم، ص ٣٢٢.

من كبار علمائه^(١).

ومن أشهر مؤلفاته التاريخية تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً، تحدث فيها عن فضائل دمشق وخططها ومعالمها وقد ألفه على نسق تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وإن طول في ترجماته إذ ترجم فيها للأعيان والعلماء والمشاهير من سكن دمشق أو اجتاز بها من الصحابة حتى عصره مرتبأ لهم على حروف المعجم مع تقديم من اسمه أحمد^(٢). وقد قام ابن العديم باقتداء أثر ابن عساكر في تأليفه كتابه بغية الطلب فالشواهد على ذلك كثيرة، صرح بها أثناء نقله عنه^(٣) وقد تعامل ابن العديم مع مادة الكتاب مباشرة إلى جانب سماع بعض أجزاءه من أبني أخي لابن عساكر وهما أبو الفضل أحمد بن محمد، وأبو البركات الحسن بن محمد^(٤).

- **أسامة بن مرشد (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م):**

أبو المظفر مؤيد الدولة بن مرشد بن علي الشيرازي، ولد عام (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) وهو من كبار رجالبني منقذ أصحاب قلعة شيزر، أقام حيناً في دمشق، وأحياناً في القاهرة وحصن كيفا. وكانت له علاقات شخصية مع بعض قادة الصليبيين في أوقات السلم^(٥)، وقد أفرد له ابن العديم ترجمة كافية له واقتبس أجزاء من أربعة كتب هي: الاعتبار، العصا، جزء ذكر فيه جماعة من الشعراء، وكتاب (أزهار الأنهر) ولم يرد ذكره إلا في ابن العديم^(٦).

- **ابن صصري (ت ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م):**

أبو المواهب الحسن بن هبه الله كان محدثاً تلقى تعليمه في العراق وهذان^(٧) اعتمد ابن

(١) ابن الجوزي، المنتظم في أخبار الملوك، ج ١٠، ص ٢٦١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣١١-٣٠٩؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ط. حيدرآباد الدكن ب. ت، ص ١٣٢٤-١٣٢٨، صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون وأثارهم المخطوط، ط. القاهرة ١٩٥٦ ص ١٩٧٩.

(٢) فائق الصواف، ابن عساكر مؤرخاً ندوة في ذكرى مرور تسعمائة سنة على مولده، ط. دمشق ١٩٧٩، ص ٣٤٢، طلال سعود، موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ١، ط. السعودية ٢٠٠٤، ص ٢٠-٤٠.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٩، ص ٤١٩٨.

(٤) نفسه، ج ٣، ص ١٥٠٨، ١٢٤٠، ١٢٤٨.

(٥) فيليب حتى، مقدمة كتاب الاعتبار، ط. بيروت ١٩٨١ م، ص أ-ك، أحد رمضان، الرحلة والرحلة، ص ٢٥١، محمد مؤنس، الجغرافيون والرحلة المسلمين في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٦) مريم محمد، موارد ابن العديم، ص ١٧٥.

(٧) العياد ابن الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٤، ص ٢٨٥.

العديم على معجم شيوخه في تراجم الفقهاء وتخریج بعض الأحادیث عنهم^(١).

- العمام الأصفهانی (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م):

هو عمام الدين أو عبد الله محمد بن محمد الأصفهاني المعروف بالعمام الكاتب وبابن أخي العزيز، انتقل إلى بغداد ثم دمشق وأصبح كاتباً لنور الدين ورئيساً لديوان رسائله، وقد لحق بصلاح الدين وكتب له وصار في مرتبه وزرائه وأرخ لأحداث عصره التي شارك فيها بنفسه^(٢). من أهم مؤلفاته التي اعتمد عليها ابن العديم كتاب خريدة القصر وجريدة العصر، وقد أرخ فيه الشعراء الذين كانوا بعد الهيئة الخامسة إلى سنة ٥٩٢ هـ وشمل شعراء العراق وفارس وخراسان والشام ومصر^(٣). وقد نقل عنه ابن العديم الكثير من أجزاء كتابه، إلى جانب الذيل على الكتاب وهو ذيل الخريدة وسیل الجريدة^(٤).

- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م):

هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، أصله من الروم أسر من بلاده صغيراً، ثم اعتقه مولاه فقام بالمتاجرة ببيع الكتب^(٥) ولقد قدر لابن العديم الاجتماع بياقوت الحموي حيث صحبه فتره من الزمن وقد أشرنا لعلاقته به في الفصل الأول وقد نقل عنه كتابه معجم البلدان^(٦) وبعض الروایات التي تلقاها منه مباشرة والتي لم ترد في كتابه معجم الأدباء^(٧).

- ابن الأثير (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٣٢ م):

عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، ولد عام (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) تنقل بين المدن

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦١٩، ج ٣، ص ١٢٩١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٤٨-١٥٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١، ص ١٣٣-١٤٠، اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٤٩٤-٤٩٢.

(٣) صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون، ص ٣٤.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٩٩١، ج ٣، ص ١١٥٦، ج ٦، ص ٢٩٧٦، ج ٧، ص ٣١٠٠.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٢٧-١٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٨٧، أحد رمضان، الرحلة والرحلة المسلمين، ص ١٧٧-١٧٨؛ زكي محمد حسن، الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٥، ص ١٠٢-١٠٥، محمد مؤنس، الجغرافيون والرحالة، ص ٧٣-٧٤.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ١٦٩-١٢٩، ٣٨٠.

(٧) نفسه، ج ٢، ص ٦٤٠، ج ٩، ص ٤٢٧٠ (هامش المحقق).

الإسلامي الكبير لطلب العلم كالموصل وبغداد ودمشق وحلب، وسمع من شيوخ عصره وكان إماماً في حفظ الحديث وخيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم، ولذا كان أكثر ما اشتهر به دراسة التاريخ ويعتبر كتاب الكامل في التاريخ من أهم المؤلفات في هذا المجال^(١). تقابل ابن العديم مع ابن الأثير وأخذ عنه مباشرة فجاءت مشافهاته معه قائلاً: (حدثني شيخنا عز الدين بن الأثير، سمعت شيخنا، قال لي أبو الحسن بن الأثير)، إلى جانب اعتقاده على النقل من تاريخه^(٢).

- ابن أبي طيء النجار (ت ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م):

يمى بن أبي طيء النجار الغساني الحلبي، ولد بحلب عام (١١٨٠ هـ ٥٧٥ م) لأسرة متقدمة على المذهب الشيعي، فكان والده نقيب الشيعة ونجاراً في نفس الوقت، تعرض لمحن كثيرة من قبل نور الدين محمود دخل على أثرها السجن والنفي عدة مرات. حفظ يمي القرآن الكريم على يد والده، وتعملق في دراسة علوم عصره واحترف التجارة واشتعل بالتدريس والوراقه، صنف العديد من كتب الفقه والفلسفة والتاريخ^(٣).

وقد اعتمد ابن العديم على كتابات ابن أبي طيء لإمداده بالمعلومات عن مزارات حلب ومشاهدها ومدى حالتها المعمارية التي كانت عليها من قبل وكذلك تاريخه لترجم الشيعة، وقد توفرت لديه نسخة من مؤلفه وأشار إليه بقوله: (قرأت بخط المتخب يمي بن أبي طيء)^(٤).

- ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ ١٢٤٥ م):

حب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة البغدادي، ولد ببغداد عام ٥٧٨ هـ وهو عالم موسوعي له مؤلفات عديدة في الأدب والنحو والحديث والأنساب

(١) ابن خلkan، وفيات الأعيان، ج، ص ٣٤٨، السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٢٩٩، حسين أحد، الحروب الصليبية في كتاب المؤرخين العرب المعاصرین لها، ط. القاهرة ١٩٨٣، ص ١٧، يسري عبد الغني، معجم المؤرخين، ص ٣٦-٣٧.

(٢) ابن العديم، بغيه الطلب، ج ٤، ص ١٨٧٨-١٨٧٩، ١٩٦٧.

(٣) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ج ١، ط. بيروت ١٩٧٢، ص ١٦٤، نظير حسان، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ١٩٦٢، ص ٣٠٤.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٤٧٣.

والقراءات والطبع، ارتحل عن بلاده لطلب العلم سبع وعشرين عاماً، وبلغت مشيخته ثلاثة آلاف شيخ وأربعين امرأة^(١)، ومن أهم مؤلفاته كتابه التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار قضانها المعروف بذيل تاريخ بغداد، وهو ذيل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، حيث استكمل ابن النجاش تراجم من كان في بغداد بعد عام ٤٦٣ هـ إلى عصره^(٢). وقد نقل ابن العديم هذا الكتاب مباشرة من ابن النجاش، الذي أجاز له الرواية عنه، وكان قريباً منه ونعته ابن العديم في نقوله العديدة (بصدقينا ورفيقنا)^(٣).

- ابن القسطي (ت ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م):

جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني، وولي قضاء حلب في عهد الظاهر غازي ثم الوزارة في عهد الملك العزيز وأطلق عليه لقب الوزير الأكرم، من مؤلفاته: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، وإنباء الرواية على أنباء النساء، وأخبار مصر^(٤). وكان ابن العديم على صله به كما نقل عنه في كتبه^(٥).

- الشهاب القوصي (ت ٦٥٣ هـ ١٢٥٥ م):

شهاب الدين إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الانصاري الدمشقي الشافعي، امتدحه مترجموه بالظرف وحسن المحاضرة، مشيرين إلى أنه كان بصيراً بالفقه أدبياً، إخبارياً^(٦). ترجم له ابن العديم ووصفه بأنه شيخ فاضل أديب أخذ عنه معجم شيوخه وقد ذكره قائلاً (جمع معجم لشيوخه في مجلدات أربعة واسمه بكتاب تاج المجامع والمعاجم وسراج الأعراب والأعاجم، وشيوخه فيه يقاربون ألف شيخ)^(٧).

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٩ - ١٤٢٨، السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ٤١، الكبتي، فوات الرؤى، ج ٣، ص ٣٧-٣٦.

(٢) ابن النجاش، ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيسر فرج، ط. المند، ١٩٨٢، ص ٧.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٧٦١، ٢٦٩٧، ٤٢٣٥، ٤٠١٠، ج ٩، ص ٤٢٣٥.

(٤) ابن تغري بردى، النجوم، الظاهرة، ج ٦، ص ٣٦١، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٢، ابن العياد الحنبلي شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٣٦.

(٥) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٣٢، ١٠٣٦.

(٦) أبي شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٨٩، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٤٣٨ - ٤٣٩، ابن العياد الحنبلي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٧) العديم، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٣٤، ١٦٣٣.

أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين المندرى، ولد بمصر عام ٥٨١ هـ / ١١٥٨ م، وسمع بمكة ودمشق وحران والرُّها والإسكندرية. ثم درس بالقاهرة، وولي مشيخة اشافعية حتى توفي، وله مؤلفات عديدة يغلب عليها تراجم رجال الحديث وأشهرها كتاب التكملة لوفيات النقلة^(١). وقد استعان ابن العديم بهذا الكتاب إلى جانب معجم شيوخه لاحتوانها على تراجم المحدثين والرواة، في كتابه بغية الطلب وجاءت نقوله عنه مباشرة حيث قال:

(أنبأنا الحافظ أبو محمد عبد العظيم)^(٢)، كما اقترن بالتصريح باسم الكتاب الذي نقل عنه قاتلاً (كتب عنه الحافظ المندرى إنشاء وخرجه عنه في معجم شيوخه)^(٣).

- ثانياً: طرق الإسناد إلى المصدر:

تمكن ابن العديم من استيعاب المؤلفات السابقة، إلا أن ذلك لا يعني أنه اعتمد في كل نطاقها الزمني والمكاني بصورة متساوية بل كان هناك قواعد محددة، اعتمد عليها في تفضيل مصدر على آخر في مدة معينة أو في نوع معين من المترجمين، وقد يستفيد من كتاب ما في مدة معينة ولا يعتمده في مدة أخرى، وهو ينطلق في ذلك كله إلى قواعد هامة وهي:

- الاعتماد على المصادر المعاصرة أو الأقرب زمنياً للحدث وذلك لضمان صحة المعلومات وتأكيد التوثيق. فعندما أرخ لتاريخ حلب قبل الإسلام، اعتمد على عدد من المصادر القديمة التي تناولت الأحداث وكانت قريبة منها. لذا اعتمد على كتاب الكيان لأرسطو، وكتاب يحيى بن جرير التكريتي، وكتاب القانون المسعود للبيروني^(٤).

- وعندما تناول أحداث الحملة الصليبية الأولى، نجده اعتمد كلياً على المؤرخين المعاصرين لها، فجاءت نقوله شبيهة لما جاء به العظيمي وابن القلansi في تاريخهما، وفي

(١) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، ج ٢، ص ٣٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢١٢، المندرى، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، ط. بيروت ١٩٨١، شاكر مصطفى، التاريخ العربى، ج ٣، ص ١٥٦، بروكلمان، تاريخ الأدب العربى ج ٦، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٤، ص ١٥٩١.

(٣) ابن العديم المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٢٨٨، ج ٧، ص ٣٤٤٠.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٣ - ١٥.

تاریخه للدوله الزنکیة تشابهت نقوله مع ابن الأثیر، وفي تاریخه للدوله الناصر صلاح الدين الأیوبي وابنه الظاهر غازی اعتمد على مشافهات شیخه بهاء الدين يوسف بن شداد^(۱).

وقد عنی ابن العدیم أيضاً بالترجم وفقاً لتلك القاعدة، فلم يقتصر في ترجمته على مصدراً واحداً دون سواه بل على من كانوا معاصرین أو قریبی العهد بالمتجم، ولعل ما يدل على ذلك اهتمامه بمعاجم الشیوخ والعلماء الذين صنفوها هم أو تلاميذهم الذين أخذوا عنهم وعاصروهم ونذكر منهم: معجم شیوخ ابن صصری، معجم شیوخ القرصی.

وقد شكلت تلك المعاجم أهمیة كبيرة لاحتواها على الشیوخ الذين اتصل بهم صاحب المعجم، وتلقی العلم عنهم بالسماع أو بالإجازة حيث غدت مصدراً معاصرأً للمتجم، فھی تحتوي على معلومات دقيقة لا تتوافر في غيرها من المصادر، تمتاز عموماً بالدقّة^(۲).

ونجده عندما تحدث عن صفين، فقد اعتمد على المصادر المعاصرة لها والأقدم في تصنیفها، ككتاب صفين لأبی البحتری وهب بن وهب (ت ۲۰۰ هـ / ۸۱۵ م) وكتاب صفين للمدائی على محمد بن عبد الله^(۳).

ومن القواعد التي اعتمدتها لانتقاء مصادره أن تمیز بالشخص التاليفي، أي التي تخصصت في نمط معین في التاليف، سواء كان ذلك في تاریخه للحوادث أو الترجم بشرط أن يكون مؤرخوها معاصرین لها أو قریبین زمنیاً لها. ومن ذلك عندما عمل على ضبط وفيات عدد من المترجمین اعتمد على كتاب (التكملة لوفیات النقلة) لمؤلفة للمنذري^(۴).

وعندما ترجم بعض الشعراء نقل عن مؤلفات متخصصة بهم مثل كتاب يتيمة الدهر في حاسن أهل العصر لصنفه الثعالبی، وكتاب خریدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهانی^(۵).

وتتجلى عناية ابن العدیم في التخصص التاليفي بالعدد الكبير الذي استعان به في تواریخ المدن سواء كانت هذه التواریخ معنیة بالحوادث الكائنة في ذلك البلد أو الترجمة لأهله، فقد

(۱) تم تناول ذلك باستفاضة في الفصل السابق.

(۲) مريم محمد، موارد ابن العدیم، ص ۱۵۰.

(۳) مريم محمد، المرجع السابق، ص ۱۵۶.

(۴) ابن العدیم، بغیة الطلب، ج ۴، ص ۱۰۹۱، ج ۵، ص ۲۲۸۸، ج ۶، ص ۲۹۵۱.

(۵) ابن العدیم، بغیة الطلب، ج ۲، ص ۶۵۲، ۸۹۷، ج ۶، ص ۲۹۷۶.

أخذ عن كل بلد من تواريχه الخاصة به مثل كتاب: تاريخ يسابور للحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ / ١٠١٤م) وكتاب تاريخ حران لحماد بن هبة الله الحراني (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠٢م)^(١) وكتابي تاريخ بغداد وتاريخ دمشق.

أما بخصوص طريقة نقله من المصادر فهي أولاً: الإشارة إلى المصدر الذي استقى منه الخبر سواء كان ذلك عن طريق الرواية الشفوية أو المكتوبة، فيذكر اسم المؤلف وعنوان كتابه عند كل مره في نقوله منه، ومن ذلك:

قرأت بخط شيخنا ناصح الدين أبي محمد الحنفي في كتاب الاستسعاد بمن لقيت من صالح العباد في البلاد...^(٢).

وقوله (قرأت في كتاب الهفوّات تأليف غرس النعمة محمد بن هلال قال...)^(٣).
وتعذر إشارة ابن العديم إلى مصادره إحدى المحاسن المنهجية في تاریخه، لأن هناك الكثير من المؤرخين الذين لا يذكرون مصادرهم ومنهم ابن الأثير والمنذري، حيث لم يكن عدم الإشارة يمثل إشكالية في ذلك^(٤) مما يصعب التأكيد من مصادرهم.

وقد أدى ذلك أيضاً إلى حفظه للعديد من المؤلفات المفقودة والتي لم يبقى منها غير نقوله عنها، وبالتالي أسدى لنا خدمة كبيرة في معرفتنا بها.

واهتم ابن العديم بالإشارة إلى موضع النقل من المصدر، وهو منهج تميز به عن غيره من المؤرخين في زمانه، إذ يساعد هذا المنهج في الوصول إلى المعلومة في مصدرها الأصلي، وهو يشبه التوثيق الآن بذكر الصفحة التي اقتبس منها الباحث نصوصه ومعلوماته فقد قال عند نقله عن تاريخ العظيمي: (وقع إلى بالقاهرة تاريخ لمحمد بن علي العظيمي بخطه فنقلت منه في حوادث سنة أربع وثلاثين وخمسينه...)^(٥). وعندما تحدث عن مدينة الجرجومة قال: (وقد ذكر أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب البلدان فيها فصلاً نذكره هنا بعينه...)^(٦).

(١) مريم محمد، موارد ابن العديم، ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٤٣.

(٣) نفسه، ص ١٢٨٠.

(٤) شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرخون، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٥) ابن العديم، بعيّة الطلب، ج ٦، ص ٢٥١٦.

(٦) نفسه، ج ١، ص ٢٣١.

وقد أشار ابن العديم إلى طريقة في التتحقق من صحة مصادره المكتوبة، فقد وجدت بعض التراجم التي وضحت ذلك، ومنها ترجمة الأشرف بن الأعز حيث علق على ادعاء المترجم السماع من أحد الشيوخ يدعى الكروخي في نسخة مسند الترمذى، حيث قال (هو مزور بغير شك، فإنه ذكر تاريخ التسميع، وتصفحت الأجزاء من النسخة، فرأيت تاريخ كتابة النسخة قد كشطت في مواضع عده وأصلح، وظهر لي في النسخة إنها كتبت بعد تاريخ طبقة السماع التي شاهدتها وعزّاها إنها بخط الكروخي....^(١)).

وفي ترجمة الشاعر سعيد بن حدان، يذكر طريقة تتحققه من نسخه وقعت إليه من شعره حيث قال: (وهذه النسخة قابل عليها والدي رحمه الله من أربع نسخ وصحت بنهاية الممكן وهي بخطه، وقابلت أنا عليها من نسخه خامسة كثيرة الشرح، وقد خرجت ما وجدت من الزيادة بخطي من حواشيه....^(٢)).

وخلالمة القول أن نقول ابن العديم تميزت بالدقة من مصدره بصورة صحيحة فلا نجد اختلافاً في المادة التاريخية مع الأصل الذي نقل عنه.

(١) نفسه، نفس المصدر، ج ٤، ص ١٨٧٩.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٩، ص ٤٢٩١.

الفصل الرابع

منهج ابن العديم في الكتابة التاريخية

- أ - كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب**
- ب- كتاب زيدة الحلب من تاريخ حلب**
- ج - كتاب الأنصاف والتحري في دفع الظلم والتجمي عن أبي العلاء المعري**

تعددت مؤلفات ابن العديم في مجالات مختلفة، ولكن شهرته جاءت كونه مؤرخاً، مع أن ما تركه في مجال الكتابة التاريخية لا يعود سوى ثلاثة مصنفات هم: بغية الطلب في تاريخ حلب، وجريدة الحلب من تاريخ حلب، والإنصاف والتحرى في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري. وسوف نتعرض لتلك المصنفات بدراسة نقدية، تكشف لنا منهج ابن العديم في الكتابة التاريخية.

أولى مصنفاته هو كتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب) حيث يحتل المكانة الأولى من حيث الشهرة والأهمية في مؤلفاته التاريخية وقد جعله ضمن التراجم. ويقع الكتاب في أربعين مجلداً كبيراً، لم يبق منها غير عشر مجلدات. يحتوى المجلد الأول على مقدمة طبوغرافية لبلاد سوريا الشمالية، وما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية عن فضل بلاد الشام وحلب^(١) وقد أورد أخبار فتوح حلب والشام وتحدث عن الإمكانيات الاقتصادية لمنطقة حلب، فذكر معلومات هامة عن المحاصيل الزراعية، وما قامت عليه من صناعات واشتهرت به كل مدينة من مدن الشام الشمالية^(٢).

ولم ينسى أن يتعرض للجوانب الاجتماعية، والتي تجلت في الحديث عن هجرة القبائل العربية التي تميزوا بها وأورد بعض الملامح العمرانية حين تحدث عن حلب ومناطقها^(٣). بعد هذه المقدمة، بدأ ابن العديم بوضع معجم مرتب أبجدياً ترجم فيه بإسهاب لكل من نشأ في الشام أو اجتاز به أو أقام، من الشخصيات السياسية والعلمية والثقافية والدينية والخربية سواء كان ذلك قبل الإسلام أو بعده. وقد بلغ عدد المترجم لهم في الأجزاء التاسعة الباقية من الكتاب حوالي ألفين وثمانين شخص. وقد ترجم ابن العديم أيضاً للنساء في جزء خاص بهم جعله مرتبأً أبجدياً مع جزء خاص لمجهولي النسب منهم، وقد أشار ابن العديم إليه في بعض ترجماته للرجال وهو من الأجزاء المفقودة^(٤).

وقد حرص ابن العديم على مراعاة الدقة العلمية، فلم يورد خبراً إلا ذكر المصدر الذي أخذ عنه، فاعتمد على مصادر موثقة وهامة وهي كثيرة نذكر منها كتب البلدان لابن عساكر

(١) Robinson(F. R), An Ayyubid notable and his world, p. 323.

(٢) Edde (A-M.), Queques villes de syrie du Nard, pp. 260 – 265.

(٣) Morray (D.), Medieval visit to the castle, of Al Rawandn, p. 137.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٩١، ج ٧، ص ٢٥٩٤، ص ١٠، ج ٤٢٢٩.

وابن القلاني وابن الأثير والعظيمي، وكتب الفتوح للبلاذري والواقدي، وكتب المسالك والممالك التي ألفها أفضل الجغرافيين العرب ومنهم ابن حوقل والبلخبي^(١) إلى جانب بعض المصادر التي فقدت ولم يبقى منها غير نقوله عنها في كتبه.

كتب ابن العديم البغية بمنهج المحدثين، فهو يبدأ بذكر السند ثم يورد الخبر، ثم يورد جميع الروايات المتعلقة بالحدث الواحد، وكلما بدل السند أعاد الرواية ولو كان الاختلاف قليلاً^(٢) وقد اختلفت الآراء في هذا المنهج فيرى البعض أنه يقطع سياق الحدث التاريخي ويهم بالخبر^(٣).

ويرى البعض الآخر إحدى الجوانب الإيجابية في كتابة هذا المنهج، وهو إمعاناً في الدقة وحرصاً على مراعاة الأمانة العلمية برد كل خبر إلى صاحبه. ومن ناحية أخرى فإن علينا أن نذكر أن المنهج السليم في دراسة التاريخ يتطلب منا الوقوف على صالح كل رواية حتى يمكننا معرفة نزعات صاحب الرواية وميوله ومذهبة، والتأكد من صحة ما يرويه، كما يمكن عن طريق مقارنة النصوص الاطمئنان إلى صحة مصادرها^(٤) وهكذا فعل ابن العديم في كتابه فقد حرص بقدر ما في وسعة على أن ينسب كل رواية إلى صاحبها، وعندما يفتقد الروايات المسندة فإنه يعتمد على النقل من الكتب المخطوطة. وكان يوثق ذلك النقل توثيقاً دقيقاً في ذكر اسم الكتاب بالكامل، واسم صاحبه بالكامل أيضاً، ولكنه يضيف إلى ذلك وصف الكتاب المخطوطة ومكان وجوده وأحياناً اسم ناسخه واسم من يملك الكتاب^(٥) ونحو ذلك قوله:

(نقلت من خط الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي رحمة الله عليه ظهر كتاب وجدته بأمد في خزانة الكتب بجامع أمد حرسه الله)^(٦).

(١) Cahen (C.), Historie de Alep by Kamal ad Din ibn - al Adim, Oriens, vol. 8, No. 1, Oct. 1955, pp. 189-190.

(٢) Pellat (C.), quelques observations sur l'introduction Géographique de la Bugya Talb de Kamal al Din, Miscellanea oriental, London 1973, p. 43.

(٣) صاحب عبد الحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص ٢٥.

(٤) إبراهيم العدوى، مناهج التاريخ الإسلامي، ص ٧٦.

(٥) شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج ١، ص ٣٧٩.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ص ١٢٤٥.

وكذلك يذكر: (قرأت بخط أسامة بن مرشد بن علي في كتابه الذي علقه للرشيد ابن الرشيد...).^(١)

ولذلك يمكن أن نعتبر أن ابن العديم قد أدى خدمة كبرى للتاريخ، ذلك أن بعض الروايات والأخبار التي ذكرها واستقاها شفاهًا من أفراد ماتوا ولم يسجلوها، في حين أن البعض الآخر أخذه عن كتب فقدت ولم نعثر لها على أثر سواه كانت تلك المؤلفات لمؤرخين معروفين أو مجهولين كل ذلك حفظة في بغية الطلب فأصبح مصدرًا جامعًا لتلك المصادر. ولقد اتضح من دراسة كتاب بغية الطلب أن ابن العديم أتبع منهجاً واضحاً عند ذكر التراجم مراعياً فيه أسس معينة أبرزها، وضع معيار أساسى لمن يترجم له وهو العيش في حلب أو زيارتها^(٢)، ومع هذا فإن تراجمه جاءت شاملة لأشخاص من كافة أنحاء العالم الإسلامي من الأندلس غرباً إلى أقصى الشرق، وذلك لترددتهم على حلب حيث كانت مقصد العلماء والفقهاء والأدباء والتجار وغيرهم على مر العصور. وبذلك تميزت تراجمه بالشمول المكاني لتشمل الأندلسي والبغدادي والقاهري والأسكندرى والنيسابوري والأفريقي.

كما لم يقتصر على نوع معين من المشاهير والأعلام، بل تنوعت تراجمه فشملت كل فئات الناس^(٣)، من الخلفاء والملوك والأمراء والسلطانين والوزراء والسياسيين والقضاة القراء والمحدثين والفقهاء والأدباء واللغويين والنحاة والشعراء والأطباء والصيادلة والزهاد والصوفية والتجار وال فلاسفة، وكل من أشتهر بصفة محمودة أم مذمومة.

وقام ابن العديم بتنظيم تراجمه على حروف المعجم معتمداً على اسم المترجم له أو لاثم اسم أبيه، ونظم أسماء الآباء أيضاً على حروف المعجم في فصول خاصة حيث قال (ذكر من اسم أبيه إسماعيل فيمن اسمه الحسن) و(ذكر من اسمه طاهر في آباء من اسمه الحسن)^(٤) كما

(١) نفسه، ٢، ٥، ص ٢٢٧٨.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٦، ص ٤٥؛

Sauvaget (J.), Extracts du Bugyat Talab " d' ibn al-Adim, in Islamic geography, vol. 230, Frankfurt 1994 p. 169.

(٣) Morray (D.), Egypt and Aleppo in Ibn Al-Adim's,in the Historiography of Islamic Egypt, Leiden 2001,P. 15.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥، ص ٢٣٠٢، ص ١٤٠٨.

وعلم ابن العديم في أحيان كثيرة إلى الاختصار، فقد أدت سعه إطلاعه إلى توافر مادة هائلة من المعلومات احتوتها مئات المصادر التي اعتمدتها في كتابه ساعده على ذلك اتساع المساحة الزمنية التي امتدت من قبل الإسلام وحتى قبيل وفاته. كذلك الشمول المكاني الذي شمل تراجم الأشخاص من كافة أنحاء العالم الإسلامي، فقد كان لا بد له وقد تحصلت لديه مادة ضخمة أن ينتهي منها ما يتفق مع منهجه، لذا جأ إلى الاختصار حتى لا تتضخم مادة كتابه، وحاول جاهداً أن يقدم ترجمة كاملة ومحضرة في الوقت نفسه.

فقد ذكر في ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب، بعد ذكر مجموعة أشعار رثاء له قائلاً: (وقد رثى الحسين رضوان الله عليه بأشعار كثيرة لو بسطت يدي إلى إيراد جمله منها لطال ذكرها، وامتنع حصرها فاقتصرت منها على هذا القليل خوفاً من الإكثار وتجنبًا للتطويل)^(٢). وفي ترجمة رزق بن عبد الوهاب اختصر في ذكر جماعة الرواة عنه قائلاً:

(لم نذكرهم هنا عدو لا عن التطويل)^(٣) أو يقول (وخلقاً غير هؤلاء يطول ذكرهم).

وقد تمكن ابن العديم في الوقت نفسه أن يتخلص من المادة الضخمة التي تحصلت له عن بعض المترجمين بحالته القارئ إلى مصادر أوسع تناولت المترجم بتفصيل أكثر مما ذكره، كنحو قوله في ترجمة الحسين بن محمد (وقد استقصى الحافظ أبو عبد الله بن النجاشي في ترجمته ذكره وتعدد شيوخه فاستغنى بإيراد ما ذكره عنه)^(٤).

وفي حديثه عن فضائل بلاد الشام ذكر قائلاً: (وقد ذكر الحافظ أبو القاسم الدمشقي في تاريخ دمشق من فضله ما كفى، فاقتصرنا من ذلك على القليل واكتفينا بالإشارة إلى وجه الدليل)^(٥) وقد أشار ابن العديم إلى كتابه الأنصف والتحرري أثناء ترجمته لأبي العلاء باعتبارها مختصرة عنه^(٦).

(١) نفسه، نفس المصدر، ج ٦ ص ٢٨٠١، ج ١٠، ص ٤٣٥.

(٢) نفسه، ج ٦، ص ٢٥٦٢.

(٣) نفسه، ج ٨، ص ٣٦٣٢.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٦، ص ٢٧٧٤.

(٥) نفسه، نفس المصدر، ج ١، ص ٣٣٥.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ٨٦٥.

ومع هذا كله فإن سعة الترجم في بغية الطلب تباين الواحدة عن الأخرى، فقد لا تزيد عن بضعة أسطر^(١) وقد تبلغ صفحات عديدة^(٢) وذلك حسب المترجم له وقيمة العلمية أو الأدبية ومكانته السياسية من ناحية، وعدد المصادر التي اعتمد لها ابن العديم ونوعيتها من ناحية أخرى على أن هذا لا يعني أنه لم يتأثر إطلاقاً بعقيدته وأرائه في فهم المترجمين وتطويل ترجمتهم أو تقصيرها، فهذا يجانب الطبيعة البشرية، لكننا نشير إلى محاولاتة الجدية في الموازنة وإلى أنه لم يفعل ذلك عن قصد وقد دفعته بيته وثقافته في كثير من الأحيان إلى ذلك.

أما بالنسبة لعناصر الترجمة، فطبعي أن نجد اختلافاً بين المادة الموجودة في ترجمة عن الأخرى، فنجد اختلافاً بين ترجمة الأديب أو المحدث أو الفقيه، وقد لا نستطيع أن نتبين السمات العامة في الترجمة القصيرة، والتي تأتي بصورة مفصلة واضحة في الترجم الكبير، إلا أنه وعلى الرغم من وجود هذا التباين في سعة الترجم يلاحظ اشتراكها في بعض أو جميع عناصر الترجمة المتعارف عليها لدى مؤلفي الترجم خاصة عند ذكر ترجم العلماء والرواة والأدباء ونحوهم.

يبدأ ابن العديم الترجمة عادة بذكر اسم المترجم له واسم والده وأجداده وهو قلماً يورد أقل من ثلاثة أسماء^(٣)، يذكر كنية المترجم له كنحو قوله (أبو الفتح) وقوله (أبو العباس)، ولكنه قلماً يذكر كنى الآباء بعد ذكر الاسم كاملاً كنحو قوله (أحمد بن يحيى بن زهير، أبو الحسن بن أبي جعفر)^(٤).

ويأتي بعد ذلك اللقب كنحو قوله (يمين الدين، عماد الدين، ضياء الدين) ونحوهما، وقد تكون شهرة المترجم له بغير اسم العلم أو اللقب أو الكنية وهنا نجد ابن العديم يورد اسم شهرته مسبوقاً بقوله (المعروف بأو يعرف..). ويأتي بعد ذلك النسبة، حيث يذكر نسبة المترجم له إلى القبيلة وفروعها إن وجدت نحو قوله (ابن قصي بن كلاب القرشي) أو يقول (القرشي من بني عامر)^(٥) ويعني ابن العديم بذكر البلدة التي يتسبب إليها المترجم له أو التي

(١) نفسه، ج ١٠، ص ٤٣٩٧، ٤٤٠١، ٤٦٣١.

(٢) نفسه، ترجمة الشاعر المتنبي: ج ٢، ص ٦٣٩-٦٨٦، وترجمة خالد بن الوليد: ج ٧، ص ٣١٢٠-٣١٧٣.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٥، ص ٢١٠٠، ص ٢٢٧٦، ج ٦، ص ٢٨٤٢، ص ٢٩٦٩.

(٤) نفسه، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٢٢.

(٥) نفسه، ج ٤، ص ١٥٨٠، ج ٩، ص ٣٨٩٠.

كان أحد أجداده يتسبّب إليها. ويُشَنِّي بالتي ولد فيها ثم نشأ وسكن بها، ثم ينتهي بذكر البلدة التي توفي بها بحسب ما يتوافر له في الترجمة الواحدة، فإذا ما توافر كل ذلك أو بعضه في ترجمة واحدة ذكر ذلك قائلاً:

(التنوخي المعربي الأصل، الدمشقي المولد والمنشاً) أو يقول (التميمي ثم العنبري الخراساني المروزى الخرقى)^(١). ثم يذكر النسبة إلى المذهب كنحو قوله الشافعى أو الحنفى أو الحنفى أو المالكى^(٢). فإذا ما غير المترجم له مذهبه ذكر له نسبة إلى مذهبه القديم ثم مذهبه الجديد.

ويورد أيضاً نسبة إلى العلم أو الحرفة التي اشتهر بها كنحو قوله: الصانع، القارئ، النحوى، الأديب، الشاعر، السمسار، قاضي القضاة، الوزير، التاجر. ولا نغفل هنا، أن عناية ابن العدين بذكر انتسابات المترجم له تكون في حقيقتها مادة غنية وجزءاً منها من الترجمة له حيث يستطيع مؤلف التراجم أن يقدم معلومات عن نسب المترجم له وأصله ومكان مولده ونشأته ووفاته ومذهبها، واشتهره بعلم من العلوم أو فقهه أو وظيفة بعبارة وجيزة ومن غير الحاجة إلى استحداث جمل لآخر هذه الغاية، ومن ثم تأتي المعلومة على غاية من الوضوح.

وتأتي المعلومات المتصلة بنشأة المترجم له ودراسته في الأغلب الأعم بتفصيل دون إيجاز، فيعني بذلك مذهبها والشيخوخ الذين تفقه عليهم والمدرسة التي تفقه فيها، ويذكر بعد ذلك سماع المترجم له للحديث وأجازات العلماء له، ورحلاته في طلب العلم. وقد اعنى بذلك أسماء شيوخ المترجم له بصورة مفصلة، ثم يذكر بصورة مفصلة أيضاً التلاميذ الذين رووا عنه، ثم يذكر ما توافر له من الكتب المشهورة التي ألفها صاحب الترجمة، ويقوم بتخريج الأحاديث إن كان محدثاً وبعض الأشعار إن كان شاعراً^(٣).

أما عن المنزلة العلمية للمترجم له فكانت تتعدد بآراء الثقات الذين نقل عنهم ابن العدين، ويورد عباراتهم، أو وجهة نظره الشخصية في تقييمه للمترجم، وتأتي غالباً بعبارات وجيزة ذات معانٍ دقيقة كنحو قوله (رجلًا صالحًا فقيراً)، (طيباً حاذقاً) أو (فقيراً فاضلاً

(١) نفسه، ج ٦، ص ٢٨١٧، ٢٨٢٣، ٢٩٧٣، ج ١٠، ص ٤٢١٥.

(٢) ابن العدين، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٩٣، ج ٣، ص ١٠٢٩.

(٣) نفسه، ج ٢، ص ٢٣٤، ٢٨٧، ج ٦، ص ٢٧٧٤، ج ٨، ص ٣٦٣٢.

متميزاً) (إماماً عظيم الشأن)^(١).

ويلاحظ أيضاً أن ابن العديم كان نادراً ما يورد وصفاً شكلياً لترجمته أو ما عرف عنهم من صفات كنحو قوله: (حسن الصورة كامل الأوصاف) أو قوله (كان جميلاً الصورة له القبول العام) أو (كان شيخاً بهي الخلقة)^(٢).

ثم اعنى ابن العديم بذكر تواریخ الميلاد جهد طاقته فذكرها دائمًا حينما توافرت له، وذلك نابع من طريقة المحدثين الذين كانوا يعنون بتتبع تواریخ الميلاد ويسألون الشيخ عن مولده قبل السماع منه أو الأخذ عنه^(٣). وكان ابن العديم يورد تاریخ الميلاد حسبما يذكره المترجم له وقد سأله شيخه أبو اليمن الكندي عن مولده فكتبه له^(٤)، فإذا خفي على ابن العديم تحديد ميلاد المترجم له كان يجتهد في تقدير عمره كنحو قوله في ترجمة سالم بن سعادة (وسأله عن مولده فقال يكون لي اليوم أربعين وخمسون أو خمسة وخمسون سنة وكان سؤاله إيه في ربيع الآخر من سنة أربع عشره وستمائة، فيكون مولده تقديرًا بمحض في سنة ستين وستة تسع وخمسين وخمسمائة)^(٥). أما بالنسبة لتاریخ الوفاة فغالباً ما يورده آخر الترجمة ويكون بتحديد تاريخها وسببها ومكانتها قائلاً: (ومرض مرضه بحمى السل، وتوفي بدمشق في سنة سبع وثلاثين وستمائة)^(٦).

وما ذكرناه كان الطابع العام للترجم، ولا سيما ترجم العلماء والفقهاء والمحدثين وأهل الرواية وقد نجد بعض الاختلافات في التنظيم الداخلي للترجمة طبقاً لطبيعة الشخص المترجم له وذلك لأن سمات المترجم له هي التي تحدد نوعية الأخبار والأحداث، فعندما ترجم للخلفاء والملوك والأمراء ذكر ما قاموا به من أعمال في فترات حكمهم، اعتمد فيه على ما نقله عن المؤرخين الذين سبقوه وأعطى رأيه فيه، كترجمته للملك رضوان بن تشن وترجمته لعماد الدين زنكي^(٧)، أو من عاصرهم من الملوك كترجمته للملك الناصر داود بن عيسى

(١) نفسه، ج ٧، ص ٣٤٤٠، ج ١٠، ص ٤٥٧٠.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٧٣٤، ج ٧، ص ٣٤٣١.

(٣) محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، ط. القاهرة ١٩٥٨، ص ٢٠ وما بعدها.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٩، ص ٤٠٠٤.

(٥) نفسه، نفس الجزء، ص ٤١٠٦.

(٦) نفسه، ص ٤١٣٠.

(٧) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٣٦٥٩، ٣٨٤٥.

والملك الصالح إسماعيل بن محمد^(١). أما الشعراء فقد أورد نهادج كثيرة من شعرهم مما وصل إليه عن طريق الرواية الشفوية أو أخذه عن المصادر القديمة وأما الأدباء فقد أورد لهم في بعض الأحيان مقاطع أدبية من مختار نترهم^(٢).

وهناك ظاهرة واضحة في كتاب بغية الطلب، وهو التشابه الكبير بينه وبين كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، بل يعتبر هو النموذج الذي احتذى به ابن العديم أثناء تأليفه كتابه. فقد اطلع ابن العديم على تاريخ دمشق وتأثر به موضوعاً وفكراً ومنهجاً وتأثره حدا به إلى محاولة تطبيق الفكرة على حلب، فجاء كتابة حاكياً له. ويمكن نتلمس جوانب الاتفاق والتشابه بينهما من تصدير ابن العديم مقدمة كتابة عن جغرافية بلاد الشام وحلب وما جاء في الأحاديث الشريفة عن فضلها، مثلما فعل ابن عساكر في كتابة تاريخ دمشق^(٣).

وقد اهتم ابن العديم بترجم رواه الحديث الشريف، وتحديد الأحاديث الصحيحة والضعيفة وإيراد ترجم الصحابة والفقهاء وهو ما ينهض دليلاً على تأثره بالحافظ ابن عساكر الذي بلغ حجم ما نقله من الأحاديث النبوية في بعض التقديرات على ما لا يقل عنأربعين ألف حديث^(٤).

كذلك قيام ابن العديم بتقسيم كتابه إلى أربعين مجلداً لم تستكمل لوفاته، قياساً بكتاب تاريخ دمشق الذي بلغ ثمانين مجلداً. وقد أكثر ابن العديم من النقل عن ابن عساكر عن طريق الروايات المسندة. ولعل ما يؤكّد شدّه تأثره به إيراده لترجم أشخاص خارج الإطار النوعي لترجمه استناداً على إيرادها في تاريخ دمشق رغم عدم اقتناعه بها فيذكر معلقاً على ذلك في إحدى الترجم: (وحقه أن لا يذكر، لأنّه ليس من العلماء، ولا من الأمثال، لكن الحافظ أبا القاسم على بن الحسن ذكره في كتابه فجعل له ذكراً)^(٥). وقياساً على ذلك أورد ابن العديم العديد من الترجم احتذاء بابن عساكر، ولكن ذلك لم يمنعه من أن ينظر لرواياته بعين النقد والفحص، فلم ينقل جزافاً، بل نقل ونقد وتعجب من أن الحافظ لم يتبعه للأخطاء الواردة في

(١) نفسه، ج ٤، ص ١٨٠٨، ج ٧، ص ٣٤٥٣.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ٦٣٩، ج ٣، ص ١١٥٤، ج ٥، ص ٢٢٤١.

(٣) Sauvaget (J.), *Extraits du Bugyat al-talab*, p. 170.

(٤) Sauvaget (J.), *bid.*, p. 170.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٩، ص ٤١٨٧.

رواياته خاصة في حلقات الأسانيد المتالية^(١).

على أننا نتدارك فنقول، أنه ليس معنى أن ابن العديم في تاريخه سار على نهج ابن عساكر في تاريخه لدمشق، أنه لم يأت بجديد وانه كان حاكيا ومقلداً له لا أكثر فأبن عساكر نفسه لم يكن مبتكرأ في نهجه فهناك من سبقه في ذلك النهج مثل الخطيب البغدادي الذي تأثر به وحذا حذوه في كتابه. ولعل من الأصوب أن نذكر أن الطريقة التي اتبعها ابن العديم ومن قبله الحافظان تتفق مع منهج أهل الحديث عموماً^(٢).

ويمكنا أن نلاحظ، تطور فن كتابة التراجم على يد ابن العديم أذ لم تكن كتابة التراجم عنده نقاً لنصوص قديمة وجعل العدد من المعلومات من غير توثيق ولا تحليل أو تعديل بل هي اقتطاف للمعلومات من مواردتها الموثقة ونقداً للنصوص والروايات المنقولة ليميز الخطأ من الصواب، وتحرى التزاهة والحياد والبعد عن الميل والهوى مع التنبيه الى الظروف الفعالة بين المترجم له وعصره من خلال تحليل الظروف التي أتاحت للمترجم له مولداً ونشأة وتعلماً وبيان أثر ذلك في تقويم شخصه وكسب خبراته ودوره في أحداث عصره^(٣).

وكما تأثر ابن العديم بالحافظ ابن عساكر، فقد أثر بكتابه بغية الطلب في الكثير من المؤرخين اللاحقين عليه، ولعل أول المؤثرين به وشابهه في الكثير من ظروف حياته هو المؤرخ الحلبي عز الدين ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م)^(٤). فقد اعتمد على كتاب بغية الطلب أثناء تأليفه لكتابه الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ونقل منه فصولاً كثيرة بحكم وقوعه تحت يده بعد رحلتهما إلى مصر عقب الغزو المغولي لبلدتهم، وأكثر ما اعتمد عليه ابن شداد في بغية الطلب هي المقدمة الجغرافية حيث كان يذكر ذلك قائلاً: (نقلت من كتاب الصاحب كمال الدين ابن العديم) أو (قال كمال الدين) غافلاً عن الإشارة

(١) نفسه. ج ٤، ص ١٧٤٨، ج ٥، ص ٢١٠٣، ٢١٠٤.

(٢) روزنال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٤٧-١٤٨.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، انظر مثلاً ترجمة الوزير المغربي الحسين بن علي ج ٦، ص ٢٥٣٢، وترجمة دببس بن صدقة، ج ٧، ص ٣٤٧٨.

(٤) أبو عبد الله محمد بن علي الحلبي، شغل مناصب إدارية لدى الأيوبيين، ووصف بأنه كان خبيراً بالشئون المالية أنظر عنه: الذهبي، العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج ٥، ط الكويت، ص ٣٤٩.

إليه في مواضع شتى^(١). كذلك تأثر ابن فضل العمري (١٣٤٩هـ / ١٢٤٩م) في كتابه (مسالك الأ بصار في مالك الأمصار) واعتمد عليه في الكثير من ترجماته، وتعتبر منقولاته منه في غاية الأهمية لاعتباره على الأجزاء المفقودة من كتاب بغية الطلب مما حفظها لنا مثلما فعل ابن العديم في مؤلفات سابقيه^(٢).

وقد اختصر بغية الطلب من قبل نور الدين على بن سعيد الغماري المالكي (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) وكان صاحب كتاب كمال الدين بن العديم ولكن الكتاب فقد، ثم اختصره طاهر بن الحسن المعروف بابن حبيب الحلبي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) وسمي المختصر (حضره النديم في تاريخ ابن العديم)^(٣) وقد حظي بغية بسلسلة من الذيل لم يحظ بها تاريخ آخر، كذيل العلاء بن الخطيب (ت ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) بعنوان (الدر المستحب في تكميلة تاريخ حلب) لخص فيه مقدمة ابن العديم، وقسمها إلى خمسة فصول، كان الفصل الأول في أسماء حلب وبناؤها وجاء الفصل الثاني في موقعها والثالث في فضائلها والرابع فتح العرب لحلب، ثم وصف مياها وأثارها التاريخية^(٤).

(ب) أما كتاب (زيادة الحلب من تاريخ حلب)، فقد اخترقه ابن العديم من كتابة بغية الطلب، وقد بين ابن العديم دافعه لتأليف الكتاب في مقدمته، دون أن يحدد اسم المهدى إليه فقال: (وبعد، فإن بعض من يتعين على امثال أمره ويجب الانقياد إلى مولاته، التمس منى تعليق ما وقع إلى من ذكر أمراء حلب وولاتها وملوكها، فسارعت إلى تحصيل غرضه)^(٥). ثم يوضح المؤلف بعد ذلك سر تسمية الكتاب فيقول (ورسمته بزيادة الحلب من تاريخ حلب، لأنه متزع من تاريخي الكبير)^(٦).

وقد بدأ بتاريخ حلب من قبل الإسلام ثم حركة الفتوح الأولى أيام الراشدين، ثم

(١) سند أحمد سند، عز الدين بن شداد مؤرخاً، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٤، ص ١٧٧.

(٢) ابن فضل العمري، مسالك الأمصار في مالك الأمصار، ج ٦، تحقيق محمد عبد القادر وأخرون، ط. الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠١م، ص ٢٠٠١، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤.

(٣) شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٤) روزنثال، علم التاريخ، ص ٢٣٤.

(٥) ابن العديم، زيادة الحلب، ج ١، ص ٥.

(٦) نفسه، ص ٦.

تاریخها أيام بنی العباس، ثم الدول المتعاقبة عليها حتى عام (٦٤١هـ / ١٢٤٣م) في شکل موجز غالباً^(١) ويبدو انه كان ينوي إكمال الكتاب إلى ما بعد ذلك، فهو ينصح عن هذه النية بقوله: (على ما نذكره في سنة اثنين وأربعين وستمائة)^(٢) ، ولكن يبدو أن مشاغله ومهامه السياسية قد أخذته بعيداً عن إكماله.

ومن خلال عرضنا لأحداث الكتاب في الفصل الثاني من الدراسة تبين: أن الكتاب يعطي فكرة عامة وشاملة عن التاريخ السياسي لشمال بلاد الشام في حقبة المتعاقبة بأسلوب المزrix الذي يتوكى إيصال المعلومات.

ولم يوازن ابن العديم في تاریخه للأحداث، من حيث كم المعلومات التي قدمها ونوعيتها، فقد تضختت أحداث الفترة الزمنية التي عاصرها في الكتاب، حيث بلغت حوالي ٤٥ عاماً شملت حوالي سدس حجم الكتاب، بينما هي زمانياً تمثل جزءاً من ثلاثة عشر جزء من الفترة الزمنية التي عالجها الكتاب^(٣).

وقد أعتمد ابن العديم على المنهج الحولي في تاریخه للكتاب، فقد جعله مرتبأً على السنين، لذلك رجدناه في أحيان كثيرة يقطع الحدث ليكمله في سنة آخر. وهي العادة التي أتبعها معظم مؤلفي الكتب التاريخية المرتبة على السنين، فإذا أراد القارئ أن يطلع على حادثة معينة استمرت لعدد من السنين فأن عليه أن يقرأ جميع حوادث هذه السنين ويمر بأخبار وحوادث لا علاقة لها بموضوعه^(٤).

ومع ذلك فهو مثل غيره من كتاب الحوليات، كان يتجاوز مثل هذه الحالة في أحيان، فيذكر الأحداث المهمة متسلسلة لأكثر من سنة ومن ذلك: تاریخه للأحداث عام (٣٥٢هـ / ٩٦٣م) عن استيلاء الحاكم البيزنطي نقفور على مدينة طرسوس حيث قال (واستولى بعد موت سيف الدولة الحمداني في سنة سبع وخمسين على كفرطاب، وشizer، وحماه، وعرقه،

(١)Lewis (B.), Histoire D'Alep por Kamal al-Din (588-660/1192-1262) in, Bulletin of the School of oriental and African Studies university of London, vol. 15, No. 2, 1953, P. 413.

(٢)ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٢، ص ١٦٧.

(٣)جمال فوزي، التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام، ص ١٢٥.

(٤)روزنال، علم التاريخ، ص ١٠٢؛ سيد عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون، ص ٨٣.

وجبلة، ومعرة النعمان، ومعرة مصرین، وثیزین ثم فتح إنطاكية في سنة ثمان وخمسين على ما
نذكره بعد إن شاء الله^(١).

ولذلك نجد تكرار بعض العبارات الدالة على خروجه عن نطاق التسلسل الزمني مثل
(كما ذكرناه، وقد ذكرنا انه جرى ذلك حتى كان من أمر ذكرنا)^(٢).

وقد سبق الإشارة إلى أن الزبدة مستخلص من البغية، التي ذكر فيها مصادره بصورة
وافية، وهذا فقد اغفل ذكر كثير منها في الزبدة^(٣).

ونظراً لكون ابن العديم شامي المولد والنشأة، فقد انعكس ذلك على تاريخه إذ أن جل
اهتماماته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببلاد الشام لاسيما شهابها، ولا نجد له يعني بأحداث العراق
ومصر إلا على نحو يسير أو من خلال الأحداث التي ارتبطت بتلك المناطق وتركت آثارها
على بلاد الشام عامة وبلدته حلب خاصة. ومطالعة أحداث السنوات التي أوردها في تاريخه
تكشف لنا عن هذا النهج بصورة جلية.

ومثال ذلك: ذكره كافه تفاصيل الحملة الصليبية الأولى وسقوط إنطاكية ومعرة النعمان
في حين جاء بإشارة مقتضبة عن سقوط مدينة القدس^(٤) ومدن الساحل الشامي كأرسوف
وقيسارية وحيفا وعكا^(٥).

وقد انفرد ابن العديم بروايات لم ترد في غيره من المصادر المعاصرة فنجد أنه أشار إلى
تفاصيل تعذيب وقتل رئيس حلب برکات بن فارس المعروف بالفouعي. على يد الملك
رضوان بن تتش، كذلك إشارته إلى محاولة اغتيال أحد التجار المناهضين للباطنية بأمر من
الملك رضوان بن تتش إمـ ١١١١ـ١١١٢ هـ^(٦) وإشارة وزير الملك الظاهر غازي

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ٢٨، ٢٤٤.

(٣) Sourdel(D.), Zubdat al halab min tarih Halb, in Arabica, vol. 3, set. 1955 , p. 365.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

(٥) عن أهمية مدن الساحل الشامي أنظر: ابن جبير، الرحلة، ص ٢٧٦ ، هايد، تاريخ التجارة في الشرق
الأدنى، ج ١، ترجمة محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٨٦.

(٦) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٩، ١٦٣.

للقبض على الملك العادل عام (١٩٤ هـ / ١٩٥٠ م)^(١) وأخبار عن المهام السياسية التي قام بها المزلف للصلح والتوفيق بين ملوك وأمراء البيت الأيوبي^(٢).

ومن ناحية أخرى فقد أشار إلى أمور تتعلق بالصليبيين أنفسهم من ذلك الإجراءات التي قام بها الملك بلدوين الثاني (١١٣١ هـ / ١٢٥٥ م)^(٣) في إنطاكية أثر هزيمة أميرها في معركة البلاط عام (١١٩١ هـ / ١٢٦٥ م)^(٤) وإشارته إلى الخلاف بين إمارتي إنطاكية والرُّها للاستيلاء على حلب عام (١١٢٧ هـ / ١٢٦٥ م) وكذلك تم رد زوجه أمير إنطاكية على والدها بلدوين الثاني للاستيلاء على حكم^(٥) إنطاكية.

ورغم أن كتاب الزبدة ما هو إلا تاريخاً سياسياً من الدرجة الأولى إلا أنه لا يخلو من الالتفات إلى الجوانب الحضارية العمرانية والبيئية في حلب وسوريا الشمالية كذلك أبدى ابن العديم اهتماماً واسعاً بالحياة الثقافية والمدارس وجهود نور الدين محمود في بنائها وتجديدها واستقدام شيوخها بشيء من التفصيل على غير عادته في ذكر تلك الروايات في كتابة^(٦).

ولأن الجزء الأخير من كتاب شمل معاصرته للأحداث واعتماده على نفسه في التاريخ نجده يذكر مشاركته الاجتماعية ووكلاته في عقود زواج عن أمراء حلب وعن ارقام الصداق وعن الاحتفالات وما يحدث فيها فيذكر مثلاً: (وولد للسلطان الملك الظاهر ولده الملك عبد العزيز من ابنه عمه الخاتون في الخميس الخامس ذي الحجة من سنة عشر وسبعين، فضربت البشائر وزينت مدينة حلب...).^(٧)

ومن ناحية أخرى عنى ابن العديم بذكر أخبار الجهاد فقد عني بذكر العلاقات الإسلامية البيزنطية على مدى التاريخ وأولاًها اهتماماً واضحاً، ولعل من أبرزها ذكره لتفاصيل الحروب التي خاضها الحمدانيون ضد البيزنطيين^(٨).

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٣١.

(٢) نفسه، نفس الجزء، ص ٢٠٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٥٤.

(٣) بلدوين الثاني ملك مملكة بيت المقدس عنه أنظر: صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني ط. القاهرة ٢٠٠٨.

(٤) Brand (C. H.), The crusades of Islamic, P. 109.

(٥) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩١-٢٢٠، ص ٢٤٧.

(٦) نفسه، ج ٢، ص ٢٩٣-٢٩٥.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ١٦٥.

(٨) ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٥.

كما اهتم اهتماماً كبيراً بذكر المعارك التي خاضها القادة المسلمين ضد الصليبيين على مدى عصور التاريخ الإسلامي وعني بظهور المغول وحركاتهم وأخبارهم واستيلائهم على أجزاء من العالم الإسلامي. ويظهر تقدير ابن العديم لمثل هذه الأحداث في تحمسه الشديد لأولئك الذين جاهدوا في سبيل الله وتفصيله في أفواههم في هذا المجال بالرغم من ذكره الظلم الذي مارسوه، بل ودافع عنهم نحو قوله عن عماد الدين زنكي: (كان جباراً عظيماً ذو هيبة وسطوه، عمرت البلاد في أيامه بعد خرابها وأمنت بعد خوفها، وكان لا يُفقي على مفسد، ولكن فلا حين حلب يذكرون عنه ضد ذلك) ^(١).

ولم يذكر هنا السبب الذي ضائق به عماد الدين فلاحي حلب، ولكنه أورده في ترجمه له في البغية، ودافع عنه فيه حيث قال: (وسمعت من جماعة من فلاحي حلب أنه كان عليهم منه جور وظلم في أيام ولايته، وأكثر ما كان يذكر عنه من الظلم ما يلزم به الناس من جمع الرجال للقتال والحصار وإن كان ذلك في جهاد الكفار فقد كان يجب عليهم ذلك، وله إلزامهم به) ^(٢).

وهو في تفسيره هذا لا يخرج عن كونه فقيهاً عالياً بأمور الشرع ومن واجبه فرض الجهاد على كل مسلم في تلك الظروف، كما أنه أوضح كيف كان الريف ظهيراً استراتيجياً يعتمد فيه على رجاله كعناصر للصفوف الخلفية للجيش أثناء الحروب وقد تحسس ابن العديم للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وطول في ذكر حراويه للصلبيين، وفصل فيها على غير عادته ^(٣)، ثم نلمس تحسسه من الألفاظ التي يطلقها على أعداء الإسلام نحو قوله: (لعنة الله، لعن الله، أو يصف أحدهم باللعنة) ^(٤).

وقد عني أيضاً بذكر الحركات المذهبية ذات الصبغة السياسية كالقرامطة والدرزية والإسماعيلية، وتتبع الأطوار التي مرت بها دعواهم وتحركاتهم، مستغلة الظروف السياسية، وأهم ما ذكره هو الصراع المذهبي بين الإسماعيلية والسنّة وذلك باغتيال معارضيهم من القيادات السنّية ومن ذلك: اغتيال جناح الدولة حسين حاكم حصن عام (٤٩٦ هـ / ١١٠٣ م).

(١) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٢) نفسه، بغية الطلب، ج ٢، ص ٣٨٥٢.

(٣) نفسه، زينة الحلب، ج ٣، ص ٩١-١٢٣.

(٤) نفسه، ح ٢، ص ١٩٦، ١٣٢، ٢٠٦.

ومحاولتهم قتل صلاح الدين الأيوبي أكثر من مره^(١) ومنطقى أن تلك المحاولة قد أدت إلى إشاعة الفوضى في بلاد الشام ودعت ظاهره التشرذم السياسي في وقت كان الخطر الصليبي الداهم يستولى على المنطقة فقد أدى كثرة عمليات الاغتيال إلى بعث الرعب في نفوس المعاصرين، وأظهرت عجز القيادات السياسية المحلية الشامية عن فرض الأمان والاستقرار، وقد علق ابن العديم على ازدياد أثر تلك الظاهرة قائلاً: (وتبعهم خلق كبير على مذهبهم وصار كل من أراد أن يحمى نفسه من القتل أو ضيم التجأ إليهم)^(٢).

وقد وجه ابن العديم اهتماماً بزوايا يغض النظر عنها المؤرخون المعاصرون للأحداث مثل الكوارث الطبيعية التي كانت تحدث وتترك تأثيراتها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية حينذاك، ومن ذلك الزلزال، فقد حرص على تتبع حدوثها ابتداءً من زلزال عام (٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) حتى زلزال عام (٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م). وأهم ما يلاحظ في إيراده لتلك الظاهرة هي الدقة الزمنية في تحديد وقت الزلزال، واهتمامه بذكر أسماء المواقع التي حدث بها، كذلك تقديم تفاصيل قيمة عن الظروف التي واكبت انهيار مدينة شيزر^(٣). كذلك أثر زلزال عام (٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م) على الحالة الاقتصادية للدولة التورية، لاسيما الأسواق التجارية التي عرفت بازدهارها وقد الحق بها الدمار والجهود التي بذلت من لإعادة إعمارها^(٤). هكذا ظهرت حرفة ابن العديم كمؤرخ في كتاب الزبدة، حيث استطاع أن يستخلصه من بين ترجمته ومصادره ليأتي بتاريخ سياسي للأحداث المتعاقبة تتميز بتركيز الفكرة.

ولما كان ابن العديم يعتبر امتداداً للكتابة التاريخية التي عاصرها فمن الممكن عقد مقارنه بينه وبين مؤرخ آخر هو ابن القلانسي (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)، الواقع أن نظره متأنية ومقارنه لها ألفه كل منها سواء ابن القلانسي وكتابه ذيل تاريخ دمشق أو زيده الحلب تكشف لنا عن اتفاق في جانب واحد فقط، واختلاف في جوانب عده. إذ يتفق المؤرخان من حيث أن

(١) ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٢، ص ١٤٦، ١٥١.

(٢) ابن العديم، المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٣) ابن العديم، نفسه، ص ٣٠٦-٣٠٧؛ بغية الطلب، ج ١، ص ١٤٥.

(٤) ابن العديم، زيدة الحلب، ج ٢، ص ٣٢٠، ٣٢١؛ محمد مؤنس، الزلزال في بلاد الشام، ط. القاهرة ١٩٩٦، ص ٢٢.

كلا منها ألف تاریخاً علیاً عن مدينة معينة من مدن الشام، فمثلاً ألف ابن القلانسي عن دمشق ألف ابن العديم عن حلب.

أما عوامل ومظاهر الاختلاف بينهما فهي متعددة، إذ إن ابن القلانسي يمتاز في كتابته التاريخية بالتفاصيل وعدم الاتجاه نحو الإيجاز خاصة في الصراع بين الخلفتين الفاطمية والعباسية، وأحداث الحروب الصليبية زمن الحملتين الأولى والثانية، وهي أحداث عاصرها وكان شاهد عيان لها، كذلك احتوى كتابه السالف الذكر على عدد من الوثائق الهامة تدعى لها الماء التاريخية التي أوردها في كتابه^(١). بينما نجد كتاب ابن العديم به الكثير من الغموض والإيجاز أحياناً كثيرة في أخبار الصليبيات بعيداً عن حلب وشمال سوريا، ولعل ذلك يرجع لدقه منهجيه ابن العديم حيث اقتصر كتابه على أخبار حلب، وقد يكون السبب في الإيجاز هو اختصار أحداث الكتاب من بغيه الطلب إلى جانب تناوله تاريخ حلب من قديم الزمان حتى عصره، أما ابن القلانسي فقد عالج تاريخ دمشق في سنوات محددة.

كذلك فإن ابن القلانسي يعطى اهتماماً للترجم ووفيات التي يوردها في نهاية العام الذي يؤرخ فيه كتابه^(٢). أما ابن العديم فإنه يوجز ذلك إلى أقصى درجة وتقتصر ترجمة لوفيات الأعلام على إيراد أسماءهم فقط، وأحياناً سبب الوفاة، ولم يتنظم في عرضه لها، وذلك لإيراده لها مفصله في كتابه بغية الطلب.

ومن جهة أخرى، فإن ابن العديم عندما ألف تاریخه كان كتاباً مستقلاً قائماً بذاته، على الرغم من اختصاره من البغية، أما ابن القلانسي فإن كتابه ذيل تاريخ دمشق، جعله ذيلاً لكتاب ابن هلال الصابع الذي توفي (٤٤٧هـ - ١٠٥٦م)^(٣)، وواصل عرض الأحداث التاريخية فيه حتى عام (١١٦٠هـ / ١٥٥٥م)، أي عام وفاته، فكتابه امتداد وتكملة مؤلف تاریخي آخر. أضف إلى ما سبق أننا لا نعرف إن ابن القلانسي قد ألف كتاباً في مجال التاريخ باستثناء ذيل تاريخ دمشق، أما ابن العديم فإن باعه كان أكبر في التأليف التاريخي، وأخيراً فقد أرخ كل منها لفترة عاصرها.

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٢٢.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٣١، ٤٢٤، ٤٣٢.

(٣) هو أبو الحسن هلال ابن المحسن الحراني الكاتب انظر عنه: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم، ج ٨، ص ١٧٦.

ومن خلال عرض مناهج ابن العديم في مؤلفاته التاريخية واختلاف منهجه كل كتاب عن الآخر، إلا أن هناك سمات منهجه مشتركة فيها جميعاً وهي امتلاك ابن العديم لشخصيه علميه خاصة به كمؤرخ دفعته إلى التعليق على الروايات التي كان يوردها سواء بالتصويب والتصحيح أو المقابلة والترجيع.

ولكن يظهر أثر ذلك بوضوح أكثر من خلال طبيعة الماده التي كان يعلق بها على نصوصه المنقوله دون أن يسندها إلى أي مصدر، بل كان يسندها إلى نفسه بلفظ (قلت) ليميزها عن النص المنقول. ومن مطالعه هذه الإضافات نلاحظ سعتها وعمقها وإضافتها لمعلومات جديدة إلى النصوص المنقوله وهى بالطبع ناجمة عن حصيلة ابن العديم الثقافية. وقد تناولت هذه الإضافات معظم الموضوعات التي أرخ لها، ونذكر على سبيل المثال: في ذكره للقبائل العربية التي استقرت بحلب نacula عن البلاذري أضاف عليه قائلاً (قلت: التتوخيون كلهم ينسبون إلى فهم بن تيم اللات، وكان له أولاد جذيمة.....^(١)).

وفي ترجمة الحسن بن طاهر نقل ابن العديم نصاً من كتاب سيرة الإخشيد محمد بن طفج^(٢) لابن زوالق، ذكر فيه قيام الخليفة العباسي المتقي^(٣) بمناداة الحسن باسم كنيته فأضاف قائلاً: (قلت: وهذا من المتقي زيادة عظيمة في الحرمة، فإن الخليفة كان لا يكى أحداً حتى أنه بلغني أنه قال في هذه النوبة للإخشيد كيف أنت يا أبا بكر فأستعظم الإخشيد ذلك.^(٤)....).

وبعد نقل ابن العديم نصاً للعظيمى تضمن خبر هزيمة الملك رضوان بن تتش من قبل الصليبيين عام (٤٨٩-١١٠٤-١١٠٥ م) بمحصن ارتاح علق على النص بقوله: (قلت: بلغنى انه قتل من المسلمين مقدار ثلاثة آلاف ما بين فارس وراجل وهرب من بأرتاح من

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٥٦٣.

(٢) هو أبو بكر عمد بن طفع الملقب بالإخشيد، وتعنى ملك الملوك وهو لقب فارسي تلقب به الأمراء، تولى ولاية الشام دمشق من قبل العباسين ثم والياً على مصر، انظر ابن الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٢، ٣٣٧.

(٣) هو إبراهيم بن جعفر المقتندر تولى الحكم بعد وفاة الخليفة الراضي بالله واستنجد بالحمدانيين ضد تسلط الأتراك انظر عنه: أبو الفدا، المختصر، ص ٢٤١.

(٤) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤١.

ال المسلمين، وقصد الفرنج حلب).^(١)

وفي ترجمة أحمد بن طولون علق على قيامه بالاهتمام بقبر معاوية بن أبي سفيان قائلاً: (قلت: وإنما فعل ابن طولون هذا معاندة لبني العباس، وأبي أحمد الموفق)^(٢) حين لعن على المنابر حكمه وامتنع عن حمل الخراج).^(٣)

ولم تكن دائمةً، تعليقات ابن العديم للنصوص تسبقها كلمة (قلت) بل كان أحياناً يفهم من سياق بعض النصوص إضافاته، دون أن يشير إلى ذلك، وعادة تكون وجهة نظره تجاه ما يؤرخه.

ففي تأريخه لأحداث عام (٥١٣ هـ / ١١١٩ م) عقب انتصار إيلغازي ابن أرتق على أمير إنطاكية وقتله بمعركة ساحة الدم، لام ابن العديم على إيلغازي عدم استيلائه على إنطاكية مما جعل بلد़يين الثاني يستولى عليها حيث قال:

(ولو سبقه إيلغازي إلى إنطاكية لما امتنعت عليه).^(٤) وهو في تعليقه لهذا قد فاق عصره، فقد حملت عبارته الموجزة ثقة في القدرة العسكرية لأيلغازي في التصدي للصلبيين، في حين جاء تعليق ابن القلansi على عدم قيام إيلغازي باستعادة إنطاكية لرجوع كثير من القوات التركمانية التي كانت شديدة الفرح بما كسبته من غنائم كثيرة وإلى عدم حضور ظهير الدين طغتكين حاكم دمشق إلى المعركة شخصياً مما أفقد إيلغازي مشوره قائد خبير لقتال الصليبيين^(٥). والذي يعتقد ابن القلansi أنه سينصحه بأخذ مدينة إنطاكية، وهو رأي يوحى بزيادة قيمة طغتكين لإظهاره بمظهر أقوى من القائد المسلم إيلغازي.

ورغم لوم كلا المؤرخين بطريقته لإيلغازي، إلا أن ذلك لا يمنع القول، بأن إيلغازي لم يكن يخطط للاستيلاء على أملاك الصليبيين آنذاك، بل كان يستهدف في أغلب العذن تقرير مصير حلب وبقائها في أيدي المسلمين، بعد أن أمست قاب قوسين أو أدنى من الوقوع في

(١) نفسه، ج ٨، ص ٣٦٤.

(٢) أحد ابن الموفق طلحة آخر الخليفة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل، كان يقوم بأمور الدولة فكان شريك أخيه في الحكم، أنظر عنه: ابن خلكان، ونیات الأعيان، ج ٤، ص ١٩٠.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٨٢٩.

(٤) ابن العديم، زينة الحلب، ج ٢، ص ١٩١.

(٥) ابن القلansi، ذيل دمشق، ص ٢٠١.

أيدي الصليبيين، لذا لم يغير الانتصار كثيراً في مراكز الصليبيين في شمال الشام بقدر ما أسفه عن حماية حلب من أطاعهم وبقائها في أيدي المسلمين^(١). كما أن الإمبراطورية البيزنطية لم تكن لتقبل بامتداد السيادة الإسلامية لأي قوة محلية إلى حاضرة نهر العاصي المزدهرة إنطاكيَّة التي كانت من قبل من أملاك تلك الإمبراطورية^(٢).

ومن ذلك أيضاً، ذكره لحصار عكا عام (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) ونجاح حيلة المسلمين بالتنكر في زي الصليبيين لمدى العون والمؤن للمحاصررين بالمدينة، وقيامهم بتكرار المحاولة مره أخرى ولكنها باهت بالفشل، وانكشف أمرهم للصليبيين. وقد أبدى ابن العديم رأيه في تلك الحيلة فقال: (وَتَمَتْ هَذِهِ الْحِيلَةُ، وَكَانَتْ مِنَ الْفَرَصِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعَاوَدْ فَرْكَنُ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا، وَطَمَعُوا فِي أُخْرَى مُثْلِهَا)^(٣). ولم يذكر كيف عرف الصليبيون بأمر تلك المحاولة.

وفي ترجمته لآق سنقر بن عبد الله، قام بالربط بين الإجراءات الأمنية التي اتخذها لتأمين طرق المواصلات وأثرها على ازدهار النشاط التجاري بحلب^(٤). كما أرجع ازدهار معرة النعمان إلى عبور القوافل التجارية فيها^(٥). وذلك يوضح معرفة ابن العديم لأهمية موقع بلادته فوق حلب على ملتقى الطرق التجارية القادمة من الصين والهند إلى الشגור. كان له أثر كبير على قيام حركة تجارية ضخمة^(٦).

وتعيز أسلوب الكتابة التاريخية لابن العديم بالسلاسة والبساطة، إذ لم يكن من المفضلين للأساليب الجزلة التي تتكلف السجع بصورة كبيرة، فقد جاً إليه في نطاق محدود، إما عندما يتعلق بتفاصيل السلطانين والوزراء مثل الظاهر غازي الذي وصفه بأنه (غره العلماء وسيد الملوك)^(٧) أو بأحد المقربين منه كترجمته للشيخ محمد بن أحمد فقال:

(١) محمد مرسى الشيخ، *الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرُّها* (١٠٩٧/١١٤٤)، ط. الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ٢٧٧.

(٢) محمد مؤنس عوض، *العلاقات بين الشرق والغرب*، ص ١٥٩.

(٣) ابن العديم، *زيدة الحلب*، ج ٣، ص ١١٨.

(٤) ابن العديم، *بغية الطلب*، ج ٤، ص ١٩٥٤.

(٥) نفسه، *زيدة الحلب*، ج ٢، ص ١٢٧.

(٦) حسن عبد الوهاب، *دراسات في التاريخ الاقتصادي للحروب الصليبية*، ط. القاهرة ٢٠٠٢، ص ٤٥.

(٧) ابن العديم، *زيدة الحلب*، ج ٣، ص ١٢٥.

(من أعيان التجار الآخيار والنبلاء الكبار الجوالين في الأفاق)^(١). أو عندما يتفاعل مع الأحداث التي يؤرخها خاصة المرتبطة بالحروب ضد الصليبيين فقال: (فوصلهم البشير ما بدل غمهم سروراً وهم حبوراً)^(٢). ويلاحظ أن استخدامه لأسلوب السجع كان في بعضه سطور دون تكلف، إيمانا منه بأن الكتابة التاريخية هي وسيلة لسرد الحقائق، وليس لها موضعًا لموهبة أدبية.

وقد تميز ابن العديم في كتاباته بصياغة الأسلوب الحواري، وهذه الخاصية أهمية لأن إيراد الحوار يوضح أمامنا الحدث ويتيح لنا فرصة أكبر لفهم الحدث وتقييمه، خاصة عندما يكون هو أحد أطراف الحوار ضمن الحديث نفسه ومن ذلك حواره مع زوجته لوصف جنازة أحد الشيوخ وكذلك حواره مع والده أحمد بن هبة الله^(٣) كذلك استخدام الأسلوب عندما يكون أحد أطراف الحوار من الشخصيات الهامة كالوزراء والأمراء ومن صاحبهم. ولعل في حواره مع الملك المظفر محمود حاكم حماة أثناء سفارته للصلح بينه وبين الملك المجاهد شيركوه حاكم حمص عام (١٢٣٥هـ / ١٢٣٧م)^(٤) ما يكشف عن ملكته في توظيف الأسلوب الحواري ضمن كتاباته التاريخية.

وقد تميز ابن العديم في أسلوبه بتفسيره للألفاظ غير العربية لتوضيح معناها كنحو قوله في تفسير كلمة شاهنشاه حيث قال: (قلت: ومعنى شاهنشاه ملك الملوك) وقوله في تفسير كلمة خواجا بزرك: قال: (وخواجا بالفارسية الوزير، وبزرك العظيم)^(٥) كذلك نقل ابن العديم اللهجات والعبارات السائدة في مجتمعه كما كانت في الأزمنة القديمة كنحو قوله ناقلا حوار باللغة العربية (سمع يهودياً يقول لأخر بلغتهم والك حفيظه اطعذه وأتآخر واياك يكون خلفه آخر يطعذك بمطعاذه ينخب بيتك للدواغيث)^(٦).

وقد علق سامي الدهان محقق كتاب زبده الحلب على ذلك التعبير: فقال: لا نجد غرابة

(١) نفسه، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٤٣١.

(٢) نفسه، زبده الحلب، ج ٢، ص ١٩٢.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ١٠١٩، ج ٣ ص ١٢١١.

(٤) ابن العديم، زبده الحلب، ج ٣، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٥) نفسه، بغية الطلب، ج ٣، ص ١٣٩٢، ج ٥، ص ٢٤٧٨.

(٦) نفسه، زبده الحلب، ج ١، ص ٢٠٤.

في هذا التركيب وإنما نجدها في أمانة ابن العديم فقد صور اللفظ اليهودي لعصره تصويراً بارعاً وما نزان نسمع من يهود حلب اللفظ نفسه فهم يقولون والك بدلاً من ويلك والحفيفة يقولونها عند الغضب وهي قريبة من المعنى الفصيح في الحفاظ من الحرب والذب عن النفس، واطعوه: اضربه وفي اللغة ادفعه يخعب يقولها الثغ بدلاً من يخرب ولم تعرف على معنى الدواغيث وربما كانت بالباء ودعت بمعنى حنق^(١).

أما بخصوص إيراد الأشعار، فقد حفلت مؤلفاته بالكثير منها وتفاوتت فيما بينها كما وكيفاً ففي البغية جاءت ضافية حيث تميزت ترجمة لكبار الشعراء بإيراد الكل الكبير من أشعارهم خاصة ترجمة المتنبي وأمرؤ القيس وأبي العتاھي وراجع بن إسماعيل وغيرهم^(٢). وتظهر موهبته الأدبية من تقسيمه للشعراء ومدى جودة قصائدهم فيذكر مثلاً: (شاعر مجید، حسن النظم) وأخر (متوسط الشعر) ويذكر أيضاً (هذه القصيدة من محاسن قصائده، لا بل من محاسن شعر أهل عصره)^(٣) كذلك تظهر موهبته في معرفته بأحوال الشعر المنحول منه والأصيل حيث علق على ما نسب من شعر لسيف الدولة الحمداني قائلاً (وينسب إلى سيف الدولة أشعار كثيرة لا يصح له منها غير بيتين)^(٤) ويحسب لابن العديم روايته للشعر العامي، فقد نقل عن أبيه بعض الأشعار التي أطلقها بعض العامة على أثر تسليم عماد الدين زنكي بن مودود (حاكم سنجار) حلب إلى الناصر صلاح الدين، وقد أشار سامي الدهان بأن ما أورده من شعر يشبه عامية الحلبيين في وقته ويقارب من زجلهم^(٥) وبالتالي يؤصل ابن العديم تاريخاً للهجة الحلبية العامية.

وتبعاً لذلك استشهد لابن العديم بالعديد من الآيات القرآنية وبعض الأحاديث والأقوال عن السلف في مؤلفاته وهو ما يكشف عن ثقافته الدينية، وقد أكثر من استخدامها لتفضيل بعض المدن عن غيرها. وقد نالت حلب النصيب الأكبر من ذلك، فأشار أنها المقصودة في قوله تعالى (وَأَمَّا الجَدَارُ فَكَانَ لِغَلَامِينَ يَتِيمِينَ فِي الْمَدِينَةِ) وذكر بصدق قصة كفالة

(١) سامي الدهان، هامش زينة الحلب، ج ١، ص ٢٠٤.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٣٩، ج ٤، ص ١٩٩١، ج ٨، ص ٣٥٣٩.

(٣) نفسه، ج ٦، ص ٢٦٩٤، ج ١٠، ص ٤٣٣٢، ج ٣، ص ١١٥٤.

(٤) جمال فوزي، التاريخ والمورخون، ص ١٥٣.

(٥) سامي الدهان، هامش زينة الحلب، ج ٣، ص ٣٥٠.

السيدة مريم العذراء أن النهر الذي أُلقيت فيه الأقلام هو نهر قويق نهر حلب إلى جانب ذكره لأيات قرآنية في فضل مدينة أنطاكية^(١) ويلاحظ على تلك الروايات أنه كان يفسرها لجعل مدینته في مرتبها أعلى، ويكتفى أنه أورد الآيات القرآنية في فضل حلب وأعاد استخدامها في ذكر فضل أنطاكية^(٢).

وكذلك لم تخرج اقتباسات ابن العديم من الأحاديث الشريفة عن توظيفها فيما يخدم أغراضه الكتابية كالأحاديث التي تبين فضائل إحدى المدن عن الأخرى والتي ذكر أكثرها عن بلدته حلب، الأمر الذي يوضح تعصبه لبلدته وفضيلتها على سائر البلدان حيث عقب ابن العديم على استقرار بعض الدمشقيين في حلب قائلاً:

(ولا يرغب الإنسان عن وطنه إلا بما هو أفضل منه)^(٣) ويدرك أيضاً (إما يرغب غير هؤلاء الملوك العظام أرباب المالك الواسعة الذين تركوا سائر بلادهم، واختاروا المقام بحلب قراراً، فأكثر من أن يحصوا. . . .)^(٤).

والالتزام ابن العديم فيما يورده في منهجه التاريخي إلا يخرج عن الأخلاقيات العامة وحدود الشرع، وهي إحدى السمات الهامة التي كان حريصاً أن استدعت الضرورة المنهجية في عرض ما لا يليق، أن يفسر السبب من اضطراره أن يذكره والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي ترجمته لإسحاق بن إبراهيم نقل رواية من كتاب الخمارين لأبي الفرج الأصفهاني، علق عليها بعد إيرادها قائلاً: (إنها أوردت هذه الحكايات مع ما فيها من التظاهر بالفسق والمعصية لأنها يستفاد منها دخول إسحق حلب. . . وأنا استغفر الله من إيراد هذا ومثله)^(٥). وفي تعليقه على إحدى القصائد قائلاً: (وقد أضررت عن ذكرها، تحوبا عن إيرادها لما فيه من الهجو الفاحش والقذف الشنيع)^(٦).

أما عن الموضوعية في كتابات ابن العديم الكتابة التاريخية فعلى الرغم من قربه من

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ١، ص ٩٩، ٤٠، ٣٥٠.

(٢) نفسه، نفس المصدر، ص ٣٨١.

(٣) نفسه، ص ٤٥٠.

(٤) نفسه، ص ٤٥١.

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٣، ١٤٢٢.

(٦) نفسه، ج ٥، ص ٢٣٣٥.

الاحداث ومعايشته لأبطال التاريخ. إلا أن المعاصرة من ناحية أخرى حجاب لا يجعله يدرك كافه الزوايا، وكأنه يريد أن يقول فيما معناه كل لبيب بالإشارة لهم، وقد انطبق ذلك بتصوره جليه أثناء تأريخه لمن عاصره من الملوك خاصة ملوك البيت الأيوبي، بحكم منصبه ومكانته فقد كان يشغل منصب قاضي القضاة وسفير الدولة لذا كانت علاقاته متشعبه مع ملوك الأسرة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي حينذاك، ولم تتوقف عند حكام البيت الأيوبي فقط في حلب والدليل على ذلك فلم يعلق على تنازل الملك الكامل عن بيت المقدس على اثر صلح يافا فقد قابل هذا التصرف بالصمت^(١). في حين وجده المؤرخين المعاصرین واللاحقین للحدث علقواعليه:فابن الأثير يذكر واصفا حاله المسلمين بعد سماعهم الخبر (بالوهن والتالم ما لا يمكن وصفه)^(٢). والمقرizi يصف مدى الأسى الذي حل بالمسلمين لسماعهم الخبر (فاستد البكاء وعظم الصراخ والعويل، واشتد الإنكار على الملك الكامل..)^(٣) وفي دمشق ذكر أبو الفدا بأنه اخذ العزاء في فقدان المدينة المقدسة، وألقى المؤرخ سبط بن الجوزي خطبه عصماء هاجم فيها الملك الكامل الأيوبي والاتفاق مع الإمبراطور الألماني هجومنا عنيفا^(٤).

كل هؤلاء المؤرخين عبروا عن الحدث، أما ابن العديم بحكم منصبه وعلاقته بالملك الكامل محمد، فقد كان سفيرا إليه من قبل حكام حلب في العديد من المهام الدبلوماسية، الأمر الذي يستقيم معه توسيع علاقته به، ومن ثم يجد معه حرجا في التعليق عما فعله، ولو كانت توافرت ترجمة الملك الكامل ضمن البغية لتمكننا من معرفة تقييم ابن العديم له ولكن يرجح أن تكون ضمن الأجزاء المفقودة من كتابه كأغلب ترجمات البيت الأيوبي.

وكذلك يلاحظ في بعض الأحيان، اختلاف رواية ابن العديم للحدث الواحد في كلا الكتابين، رغم اعتماده على المصدر ذاته، ومن الأمثلة على ذلك روايته عن أبيه أحمد بن هبة الله، في ترجمته للملك الصالح إسماعيل ابن نور الدين محمود، ذكر دور والدة الملك الصالح عصمت الدين خاتون^(٥) في تدبير شئون الحكم وتأثيرها عليه، وقد ذكر في تأريخه لفترة حكم

(١) نفسه، زبده الحلب، ج ٣، ص ٢٠٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٤٨١.

(٣) المقرizi، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ٢٢٣.

(٤) أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ص ١٢٤.

(٥) عصمت الدين خاتون بنت معين الدولة أثر، كانت في عصمة الملك العادل نور الدين محمود، فلما توفي

الصالح إسماعيل في كتابه زبدة الحلب، نفس الرواية عن والده، ولكن لم يشر إلى دور عصمت خاتون مطلقاً^(١).

وهذا الأمر يدعو للتساؤل، لماذا اسقط ابن العديم دور عصمت خاتون في كتابه زبدة الحلب؟ وهل كان لها دوراً مؤثراً من الناحية السياسية؟ فعمد إلى إخفائه حتى لا تقارن بالملكة ضيفة خاتون التي تولت مقاليد الحكم وكانت صاحبة السيطرة على ابنها الملك العزيز محمد بن الظاهر ثم حفيدها الناصر يوسف. ولا نغفل هنا أن ابن العديم كان قريباً منها بحكم منصبه، كما أنها عهدت إليه بمهام متعددة في سفاراته، ومن ثم يتحمل تعمد ابن العديم عن قصد واضح عدم ذكرها.

هكذا تأثرت موضوعية ابن العديم أحياناً في تاريخه السياسي بحكم مهمته وتصنيفه كمؤرخ في السلطة. ولكن على الجانب الآخر التزم فيه الموضوعية في تاريخه لتراجمه، فلم يتعصب لفئة أياً كانت، لذلك ترجم لأئمة المذاهب الأخرى كالشافعية والحنبلية وكذلك المالكية دون تحيز لمذهبة الحنفي^(٢).

لذلك قام بالثناء عليهم وعلى مصنفاتهم التي أطلع عليها، وأبدى رأيه فيها، وينطبق ذلك على تراجم الشيعة الذين أثني عليهم، ففي ترجمته للحسن بن إبراهيم الشيعي ذكر قائلاً: (وكان لي صديقاً صادقاً، ورفيقاً موافقاً . . . وعلقت عنه فوائد وأناشيد وكان شيعي المذهب، لا يقدح في أصحاب رسول الله)^(٣)، كذلك ترجم لأصحاب العقائد الأخرى، فنجد أنه أرخ للنصارى واليهود دون تعصب تجاه أحدهم فيذكر في ترجمة أبو الفرج الطيب الأنطاكى قائلاً: (النصراني القس، كان طبيعاً حاذقاً، وله مصنفات حسان منها...)^(٤). وما أكثر التراجم التي تدل على عدم تعصبه تجاه أصحاب المذاهب المختلفة أو العقيدة.

وكما يلاحظ أيضاً، احتواء مؤلفاته على جانب من العجائب والغرائب هي نتاج عصره الذي احتوى على الأساطير والخرافات والمعتقدات الشعبية لذلك لم يعقب.

وتولى صلاح الدين الشام تزوج بها أنظر: أبو شامة، الروضتين، ج ٣، ص ٢٤٣.

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٣، ص ٤٠.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ١١٤١، ١٢٩٣، ٩، ج ٩، ص ٤٢٠٢.

(٣) نفسه، ج ٥، ص ٢٢٤٦، وانظر أيضاً ج ٦، ص ٩٤٦، ج ٧، ص ٣٣٧٧.

(٤) نفسه، ج ١٠، ص ٤٥٧٠، وأنظر: ج ٣، ص ١٥٤٨، ج ٤، ص ١٥٥٧.

على تلك الروايات وكان مسلماً بها^(١)، وقد امتلا المجلد الأول من بغية الطلب بذكر أحاديثه عن المزارات والمعتقدات الخاصة بالطلاسم والتعاويذ الخاصة ببعض الأمكنة، للشفاء مثلاً من بعض الأمراض، وقد ساق لنا تجربته الشخصية تجاه تلك الأماكن^(٢). كذلك ذكر تأثير العقائد والصوفية الذين اعتقاد في كراماتهم أحيا أو أمواتاً^(٣).

(ج) أما كتاب (الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري). فمن هذا العنوان يتضح لنا الغرض من تأليفه فعل الرغم من أن الفترة الزمنية الممتدة بين وفاة المعري (٤٩٤ هـ / ١٠٥٧ م) وميلاد ابن العديم (٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) كانت حوالي مائة وتسعاً وثلاثين عاماً إلا أن الأخير كان أكثر القدماء إعجاباً بالمعري وأشدّهم دفاعاً عن عقيدته لذلك خصص كتاباً مستقلّاً للدفاع عنه فقد هاله ما لحق به من ظلم فادح ما شاع عنه من افتراء باطل شوه صورته بغير الحق وأرقه التفكير فيما تفرضه أمانة الحق على مؤرخ مثله من تصحيح الزيف الشائع، حتى ندب نفسه للدفاع عنه.

وقد تفرغ ابن العديم لاستيعاب مصنفات أبي العلاء واستقراء كل الروايات عنه، وسعى إلى لقاء كل الباقيين من أسرته وأهل بيته واستقصى روايات الذين لقوه وصحبوه، وتلذموا عليه أو قرؤوا عليه وكتبوا له بأخذها ياسناد متصل من ثقات عصره إلى عصر أبي العلاء. ثم عكف طويلاً على فحص ما استقصى وجميع أخبار وأقوال ومرويات ينقدها سنداً أو متناً يقابل بعضها ببعض مستخلصاً منها كتابه الإنصاف والتحري^(٤).

أما عن محتوى الكتاب، فيبدأ بمقدمه صور فيها ابن العديم أبي العلاء أجمل تصوير عرض إلى فكرته، وإلى خصوصاته وإلى مذهب التحاسد في عصره وتظهر عاطفته القوية، وطريقه تفكيره، في الدفاع عنه، وقد التزم السجع الخفيف فجاء بأسلوب لا تنفر منه الأذان، يغمره شعوره وعاطفته تجاه أبي العلاء وانفعاله وغضبه من أساءوا إليه وقد وصف مؤلفاته

(١) نفسه، زينة الحلب، ج ١، ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ص ٤٧٢ - ٤٧٨.

Edde(A. M.), *Quelques villes de Syrie*, P. 264-266.

(٣) ابن العديم، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٦١، ج ٥، ص ٢٢٨٤، ج ٩، ص ٤٠٦٢.

(٤) مرسل فالح، التجربة العلانية قراءة في عزلة أبي العلاء المعري، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، مع ٢٦، العدد الثاني، ١٩٩٨، ص ٢١.

أبى العلاء فقال: (فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان مودعه فنونا من الفوائد الحسان محتويه على أنواع الأداب، لا يجد الطامع فيها سقطه).^(١)

ثم يصف معارضيه وما قاموا به من افتراءات قائلًا (فقصده جماعه لم يعوا وعيه، وحسدوه، إذا لم ينالوا سعيه، فتتبعوا ما كتبه على وجه الانتقاد، ووجدوها خالية من الزيف والفساد، فسلكوا فيها معه مسلك الكذب ورموه بالإلحاد....).^(٢)

هكذا وضح ابن العديم مسلكه الذي سلكه في الدفاع عن أبى العلاء المعرى والعاطفة القوية التي كتب بها تتضمن بين سطور المقدمة، فقد قرأ ما كتبه يامعan وأشاد به واظهر ما قام به المتحاملين على أبى العلاء بعملين كي يشوهو صورته فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملاحدة، وهذا تحريف وتزييف لكتاباته. ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، وهذا يعد من جانب ابن العديم تأويلاً متعرضاً للكتابة العلائية، الذي يحمل فيه كلام المعرى على غير المعنى المقصود، وهى مشكله قديمه تعود إلى زمن أبى العلاء ومعاصريه وهذا نجد أن أبا العلاء قد قام بتأليف كتابين للرد على خصومه.^(٣)

وقد أشار ابن العديم في مقدمته إلى الكتابين قائلًا:

(وقد وضع أبو العلاء كتاباً وسمه بـ زجر النابع، وأبطل فيه طعن المذرى عليه والقادح، ثم اتبع ذلك بكتاب وسمه "نجر الزجر" بين فيه مواضع طعنوا بها عليه بيان الفجر...).^(٤) وبظاهر النص السابق جذور الخلاف وأصل التكفير، الذي يعود إلى عصر أبى العلاء، فيبيننا نجده يدافع عن نفسه في كتابين متاليين، يرد فيها على التأويلات المحرفة التي كان يمارسها بعض معاصريه. كما نجد أن هؤلاء المكفرین يتتجاهلون هذا الدفاع ويتهمونه بالزندقة والإلحاد. إن ابن العديم بكتابه هذا، ينأى عن هذا التيار المكفر ثلث مرات المرة الأولى تظهر من عنوان الكتاب، والثانية تظهر من إشاراته إلى أصحاب هذا التيار بضمير الغائب، والمرة الثالثة تظهر من تفسيره لانتشار هذا التيار الذي جاء في وقت أبى العلاء

(١) ابن العديم، الإنفاق والتحرى، ص ٤٨٤.

(٢) نفسه، نفس الصفحه.

(٣) مرسل فالح، التجربة العلائية، ص ٢٢.

(٤) ابن العديم، الإنفاق والتحرى، ص ٤٨٥. (كلمة الزجر تعنى النهى والانتهار، والنجر تعنى نحت الشجرة وفي اللغة نجر الرجل أي اجمع يده وضربه. انظر ابن سيده، المحكم والمحيط، ج ٧، ص ٢٨٩، ٣٨٧).

بدواعي الحسد والجهل والعداوة، وجاء عند اللاحقين نتيجة للتقليد والمحاكاة^(١). لذا قام ابن العديم بالدفاع قائلاً (فابتدرت دونه مناضلاً، وانتصبت عنه مجادلاً)^(٢) يغمره شعور بالحماسة في رد الاعتبار لهذا الفيلسوف الذي ظلم وعانى الكثير.

ويعد هذا الموقف المتعاطف مع أبي العلاء، يبدأ ابن العديم في تقديم كتابه، فبدأ بعد المقدمة بالحديث عن نسب أبي العلاء وتاريخ عائلته، ثم تحدث عن مولده ونشأته وأسباب إصابته بالعمى. ثم عقد فصلاً عن اشتغاله بالعلم وشيخه الذي أخذ عنهم، ثم فصل عن تلاميذ أبي العلاء، فذكر طائفة من أنمة العلماء والأدباء والمحاذين.

وقد وصل عددهم إلى ما يقرب من مائة اسم، ثم علق بعد ذلك قائلاً (فهو لاء كلهم أنمة وقضاة وعلماء إثبات، وأدباء رواه وحافظ ثقات... . أخذوا العلم واستفادوا منه لم يذكر أحد منهم بطعن، ولم ينسب حديثه إلى ضعف ولا وهن)^(٣). وقد أراد ابن العديم بتعليقه هذا أن يؤكد نظره في الدفاع عن أبي العلاء وليووضح أن افتراءات خصومه واهية لا أساس لها.

ثم عقد فصلاً يضم الأحاديث النبوية المسندة عن أبي العلاء، وفصلاً عن كتاب أبي العلاء الذين يكتبون له ما ينشته من التشر والنظم والتصنيف. ثم فصلاً عن مؤلفاته التي أحصاها ابن العديم ويبلغت سبعة وستين مصنفاً، إلى جانب عشرين كتاباً لا يعلم عنها شيء فهي عداد المفقودين. وبعد ذلك يسجل قصة سفر أبي العلاء إلى بغداد وعودته منها، ثم انقطاعه في منزله عن الناس وتسميه نفسه رهن المحبسين للزومه منزله وكف بصره. ثم يتحدث عن ذكائه وفطنته وسرعة حفظه ومكانته لدى الملوك والخلفاء، واضطلاعه بالعلم والأدب، ومعرفته باللغة. ثم عقد فصلاً ذكر فيه كرم أبي العلاء على قله ماله، وأخر فصول الكتاب ذكر فيه قناعة نفسه وشرفها.

وبهذا الفصل يتنهى ما وجد من كتاب الإنصاف والتحري، باقي أجزاء الكتاب مفقودة التي كانت تضم أهم النواحي الخاصة ب الدفاع ابن العديم ضد خصوم أبي العلاء، والذي من أجله ألف كتابه. ولكن يشاء القدر أن تحفظ لنا تلك الأجزاء عندما دونها مؤلفها في كتاب

(١) مرسل فالح، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) ابن العديم، المصدر السابق، ص ٤٨٦.

(٣) ابن العديم، الإنصاف والتحري، ص ٥١٩.

آخر، وأعني بذلك ترجمة أبي العلاء المعرى في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب. ولا يوجد اختلاف كبير بين الترجمة والكتاب سوى كونها مختصرة عنه، فالمنهج والمحتوى واحد في كليهما، لذا كان ابن العديم يقوم بإحالة القارئ إلى كتابه ليستزيد من معلوماته. أما عن الجزء الخاص ب الدفاع ابن العديم عن أبي العلاء، فقد عمد إلى إيراد كل ما كتب عنه سواء كان ذلك آراء منصفة أو إرهادات معارضة مستخدماً منهج النقد فيما يروي عنهم، استناداً على أعمال العقل والمنطق، ويرغم ذلك لا يخلو من أثر كبير للعاطفة وشعور بالحماسة في رد الاعتبار له. وهو الأمر الذي جعله لا يقبل أن تتساوى مكانته الأدبية بمكانة عالم آخر أو حتى يتتفوق عليه، ويتصح ذلك في تعليقه على إحدى رواياته التي قارن فيها بين أبي العلاء وعالم لغوي آخر وهو ابن سيده قائلاً:

(فإن ابن سيده وإن كان قد أمل المحكم في اللغة، فأبو العلاء قد أمل من خاطره نثراً كتاب الإيك والغضون وغير ذلك مما يتضمن اللغة وغيرها من الألفاظ البليغة، ونظمها كتاب مثل استغفر واستغفرى، وكتاب "لزوم ما لا يلزم" يزيد على كتاب المحكم في المقدار أضعافاً مضاعفة...). هكذا كان تعليق ابن العديم الذي لا يخلو من عاطفة قوية معتدلة تجاه أبي العلاء.

وفي رواية أخرى عن قيام أبي العلاء المعرى بـ **الشطرنج**، أوردتها ابن العديم في كل من ترجمته وكتابه، كان تعليقه عليها مختلف في كل منها في كتاب الإنصال والتوري على قائلًا:

(وهذا إن صاح عن أبي العلاء، فقد كان ذلك في حال حداثته فإن أبا العلاء رحمه الله كان بعيداً من اللعب أو الهزل). (٢).

وقد علق في ترجمته: (قلت: وهذا الذي حكاها لم أسمعه في كتاب غير تمه اليتمة ولم ينقل أحد من المعرفين وغيرهم عن أبي العلاء اشتغالاً بشطرنج أو نرد، أو دخولاً في فن من فنون الهزل، ولم تزل أوقاته منذ نشأ إلا الاشتغال بالعلم، حيث أن منصب أبيه وأخيه لا يقتضي تمكينه من شيء في ذلك) (٣). هناك فرق واضح بين التعليقين، فال الأول يرجح ويظن قيامه

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٨٧٩.

(٢) نفسه، الإنصال والتوري، ص ٥٥٨.

(٣) نفسه، بغية الطلب، ج ٢، ص ٨٩٨.

بذلك، بينما الثاني ينفي ويستكروه ويسوق أدلة منطقية لشكك في صحة الرواية ومن الروايات الخاصة بتفنيد الاتهامات عن أبي العلاء والتي وجدت في البغية، رواية نقلها بن العديم عن ابن سنان الخفاجي الحلبي مفادها تشبيه إحدى كتب أبي العلاء بالقرآن الكريم، وقد نفى ذلك وقال:

(هذا كتاب إذا تأمله العاقل المنصف علم أنه بعيد عن المعارضة وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز . . .) ^(١) حيث أخذ يشرع محتوى الكتاب والغرض منه، ثم ذكر أمثلة لكتب أخرى ألفها أبي العلاء للرد على خصومه.

وقياساً على ذلك نقد ابن العديم كل الروايات التي نقلها عن تاريخ غرس النعمة لابن الصابيء، باستخدام العقل والمنطق، ولكن ذلك لم يمنع من شعوره بالاستياء منه وذلك يتضح في تعليقاته ومن ذلك تعليقه على رواية أوردها قال فيها:

(ولم يعز غرس النعمة شيئاً من هذه الأشعار المكذوبة إلى كتاب يعتمد عليه ولا نسب روایتها إلى ناقد أسندها إليه، بل اقتصر في ذكرها كما ذكر على البلاغ ولم يتأمل أن مثلها مما يختلف عليه زوراً ويسألاً) ^(٢).

ومن الأمور الجديرة بالذكر، عقد مقارنة بين ابن العديم وترجمته لأبي العلاء، ومؤرخ آخر معاصر له ترجم لنفس الشخصية وهو ياقوت الحموي. فقد أفرد ترجمة شملت أكثر من مئة صفحة، عرض فيها إلى بيته ونسبة وشعره ونشره ومعتقداته وأراء خصومة، كما عرض إلى كتبه ورسائله. ومن يعود للفصل الأخير ويقارنه بما كتبه ابن العديم في الفصل الخاص بممؤلفات أبي العلاء يلاحظ أن النص واحد وإن اختلف بعض الشيء فمن منهم اعتمد على الآخر. أو لا يجدر أن نشير أن ياقوت الحموي لم يذكر كتاب الإنصاف والتحري ضمن مؤلفات ابن العديم، وذلك يعني أنه ألف بعد وفاته، وبالتالي لم يطلع عليه، وهذا يعني احتفال اطلاع ابن العديم على ترجمة ياقوت.

وعلى أية حال، فإن ياقوت جمع في ترجمته لأبي العلاء كل ما قيل له أو عليه، وكان رأيه فيه مختلف عن رأي ابن العديم والأدلة على ذلك كثيرة. فعندما قام ياقوت بسرد كتب أبي

(١) نفسه، ج ٢، ص ٨٨٠-٨٨١.

(٢) ابن العديم، الإنصاف والتحري، ص ٨٩٠.

العلا. كان يصفها بـأراء خصومه أو لا يعلق عليها، في حين أن ابن العديم لم يترك فرصة دون أن يبرئه مما أتهم به، ولا يتزد في الرد على خصومه فعندما أورد ياقوت ذكر كتاب (الفصول والغايات) أعطى وصفاً دقيقاً لمحات الكتاب وحجمه ومتى ألفه أبي العلاء^(١).

أما ابن العديم فمع إثباته لبعض هذا الوصف أضاف إلى ذلك قوله (وهو الكتاب الذي افترى عليه بسيبه، وقيل إنه عارض به السور القرآنية)^(٢).

كان ابن العديم من المعنين بالنقد كل العناية حتى أصبح يحتل مكاناً بارزاً في مؤلفاته، خاصة كتابه بغية الطلب، حيث اتبعه في كل أجزاءه ولعل اهتمامه بالنقد يعود إلى تكوينه الفكري المتصل بدراسة الحديث النبوي وروايته التي تؤكد ضرورة تبيان أحوال الرواية ودرجة الوثيق بهم بتمييز الصادقين منهم عن الكاذبين. فساقه بعد ذلك على جمع كتبه سواء كانت في تراجم المحدثين أم في غيرهم، ولم يقتصر على نوع واحد من أنواع النقد، فقد عني بنقد المترجمين وتبيان أحواهم، وعني بنقد الروايات التي وجد مجالاً للنقد فيها.

كان ابن العديم عادة يقوم بنقد المترجمين عن طريق إصدار حكم في المترجم لتوضيع حاله، ويكون ذلك في الأغلب بإيراد آراء الثقات من المعاصرين فيه وانطباعاتهم الشخصية عنه، فإذا كان المترجم من غير أهل عصره، فيكتفي برأائهم أو يرد عليها أو يرجع رأياً منها. أما الذين عاصرهم فيكون رأيه الشخصي هو الأساس في هذا النقد نظراً لاتصاله بهم ومعرفته بأحوالهم. وعلى الرغم من أن الغاية الأساسية من نشوء هذا النقد هو معرفة أحوال رجال الحديث إلا أنه عني بتطبيقه على كثير من ترجم لهم في كتبه فمن ذلك:

نقده لتصريحات الملك رضوان بن نتش حيث قال (كان رضوان يحب الماء، ولا تسمع نفسه بإخراجه حتى كان أمراء وكتابه يبذلونه بأبي حبه وهو الذي أفسد أحواله وأضعف أمره)^(٣). وفي ترجمته لدبيس بن صدفة نقد تصرفه إزاء اتفاقه مع الصليبيين لحصار حلب وهو نقد صريح شديد اللهجة رد فيه على رأي يمدح دبيس حيث قال: (ولعمري لقد عاد دبيس شرف أبيه ومكارمه المحققة بهذه الفعلة الدينية التي فعلها...)^(٤).

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج ٣، ص ٤٢٥.

(٢) ابن العديم، الإنصاف والتحري، ص ٥٢٧.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٨، ص ٤٤٥٦.

(٤) نفسه، ج ٧، ص ٣٤٧٨.

ورغم نقده للمترجمين، إلا أنه نقه لهم كان موضوعياً، غير غافلاً عنها تميزوا به من عيوب ومتذمّرات، لذلك كان يذكر جميع الآراء، إذ يصف خلف به ملابس الأشهي قائلًا: (كان كريماً شجاعاً جباراً ظالماً، بقطع الطريق وبخيف السبيل...) ^(١). ولم يكن ابن العديم يتقبل آراء النقاد السابقين كمسلهات لا يمكن ردّها.

أو الطعن فيها بالرغم من احترامه للثقات منهم، ويبدو أنه عد بباب الاجتهاد في النقد ما زال مفتوحاً، لذلك عني به كل هذه العناية. ولعل أكثر ما يدل على ذلك دفاعه عن أبي العلاء المعربي ومحاولاته تفنيد آراء السابقين فيه باعتبارها آراء مظلمة وبمحففة له.

أما نقده للروايات، فقد نقد ابن العديم الكثير من الروايات التي نقلها عن المؤلفين السابقين بعد نقدتها أو نقد مؤلفيها، ولم يكن مستعداً دائمًا لتصديق كل ما يقال عن شخص ما أو حادثة معينة. ولذلك وجدناه قلماً ترك مؤلفاً نقل عنه من غير أن ينقده وبخطئه في أكثر من رواية، بصرف النظر عن منزلة ذلك المؤلف من العلم فتحصلت في كتابه بغية الطلب ثروة نقدية غاية في الضخامة يلمسها كل من يطالع الكتاب أو يتضنه وقد عمل إلى نقد السندي والمتن.

ففي نقد السندي نجد ذلك واضحاً في حديثه عن كثير من الأحاديث النبوية وفي بعض سلسلة الأسانيد لبعض الروايات. ويكون هذا النقد عادة بتضييق السندي أو واحد من روایه أو أكثر أو تقويمه استناداً على مقاييس المحدثين. فيحكم بعد ذلك على قوة الحديث وضعفه باستعمال العبارات الدالة عليه كان يقول مثلاً (منقطع) أو (متروك) أو متفق عليه ومن ذلك ترجمته لإسحق بن نجيع الملطي وهو أحد رواه الحديث. فقد نقد ابن العديم سلسلة الرواية الذين أخذوا عنه قائلًا: (قلت

والعجب أن هذا الحديث وهو من حفظ على أمتي أربعين حديثاً مع ضعفه وكونه من حديث إسحق وهو معروف بالكذب في وضع الحديث خرجه جماعة من أئمة الحديث عنه، وجعلوا هذا الحديث من رواية إسحق حجتهم، مع أنه لا يصح الاحتجاج به لأنه متروك بالاتفاق) ^(٢).

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٧، ص ٣٥٤.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ١٥٢٧، ١٥٢٨.

وقد طبق ابن العديم هذه الطريقة على بعض الروايات التاريخية بعد دراسة أسانيدها وطبق ذلك على الكثير من روايات ابن عساكر^(١).

ومع ذلك فإن ابن العديم لا يكتفي بنقد السندي في معظم الأخبار التي يوردها ويضيقها استناداً إلى ضعف في سندتها، بل يحاول جاهداً وإيراد ما يقوى هذا الضعف من الأدلة التاريخية التي تتوفر له، ومن ذلك تعقيبه على رواية أبي بكر الخطيب البغدادي في ترجمة أسد بن عبد الرحمن^(٢):

أما في نقد المتن وهو الذي يقوم على نقد متن الرواية بكل ما يستطيع الناقد إيراده من الأدلة التي تثبته، وقدعني به ابن العديم فنقد مثاث الروايات استناداً على أعمال العقل والمنطق، ومن ذلك تفنيده لرواية العظيم نقلأً عن شيخه أبو اليمن الكندي في ترجمه خلف بن ملاعع^(٣).

ومثال آخر جاء في ترجمة الشاعر المتّبّي، وبعد نقل ابن العديم لحكاية رواها عن طريق ياقوت الحموي علق عليها بقوله:

(قلت: وهذه الحكاية لا يقبلها القلب ولا تكاد تثبت، فإن أبو علي الفارسي كان يعرف المتّبّي قيل أن يصير بشيراز حين كانا بحلب. وقد حكى أبو الفتح عثمان بن جنى عن أبي علي الفارسي في كتاب الفسر ما يشهد بخلاف ما تضمنته الحكاية)^(٤).

ومثال آخر: نقده لرواية أبي الحسن علي ابن مرشد بن منقذ في ترجمته لآق سنقر بن عبد الله وبعد ذكره لروايته كاملة أخذ يفند الأخطاء واحداً يلو الآخر حيث قال: (هكذا نقلت من خط بن منقذ وفيه أوهام من جملتها أنه قال: فكسره تاج الدولة بأرض نبل وليس كذلك بل بأرض سبعين أو كارس من نقرهبنيأسد. ومن جملة أوهامه أنه قال وجلس في قلعة حلب وضرب رقبة آق سنقر فيها وليس الأمر كذلك بل ضرب رقبته عقب الكسرة بسبعين أو كارس،)^(٥).

(١) نفسه، نفس المصدر، ص ١٠٥١، ١٤٠٤١، ١٤٠٥.

(٢) نفسه، ج ٤، ص ١٨٦١.

(٣) نفسه، ج ٧، ص ٣٢٥٦.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٢، ص ٦٦٧.

(٥) نفسه، ج ٤، ص ١٩٥٩.

وفي ترجمة أحمد بن يوسف نقد رواية الدبيسي قائلاً: (كذا قال ابن الدبيسي منسوب إلى بلدة بال المغرب تسمى باديس وهذا وهم فاحش وباديس اسم رجل يتسبب إلى جماعة من المثلثة)^(١)

ويلاحظ من خلال التعليقات النقدية لابن العديم، أنه نقد تاريخي مشابه بمنهج النقد المؤرخي العصر الحالي، فهو ينقل النص كما هو ويدقه متناهية دون التصرف بهادة النص، ثم يرصد الأخطاء أي المعلومة غير الصحيحة في حال وجودها، ويعلق عليها ويفند فيها ثم يصوّبها عن طريق المقابلة بين الروايات وترجمة الأصوب منها.

وقد انتهج ابن العديم منهج الشك أو غلبه الظن في حال عدم وجود معلومات داخل المؤلفات السابقة، لذا وجدنا استخدامه للألفاظ الدالة على ذلك كنحو قوله (والذي يغلب ظني)، (بل غلبه الظن تشهد بخلاف ذلك) أو (عندني في ذلك شك)^(٢).

وقد تميز نقد ابن العديم عاماً بالاعتدال سواء في نقد مترجميه أو نقد مصادره ولكنه أحياناً قليلة يخرج عن ذلك في حدود ضيقه نتيجة لتفاعله مع الأحداث التي يكتبها. ومن ذلك ترجمة الحافظ أبي عبد الله الحاكم علق على رواية له يتهم فيها الإمام أبي حنيفة النعمان برواية حديث خطأ حيث قال: (هذا القول فيه تحامل من أبي علي الحافظ ومن الحاكم أبي عبد الله على أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه حيث نسب الخطأ في ذلك إليه ولم ينسبه إلى من هو دونه، فلم اختصر أبي حنيفة بالخطأ دون هؤلاء...) وقد قام ابن العديم بتوضيح ذلك الخطأ بقوله: (فبيان ذلك الخطأ إنما وقع من محمد بن إبراهيم أو وقع من كاتب النسخة التي لأبي علي الحافظ فنسبه بذلك إلى أبي حنيفة رضي الله عنه وفي هذا تحامل وظلم وعدوان)^(٣). فكذلك وجدنا انفعال وتأثر ابن العديم في تعقيبه على رواية لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابئ التي وصفت تفسيراً لمنام غلام بأن أبي العلاء المعري يعذب بالأفعى، فعلق ابن العديم على ذلك قائلاً: (خفى على غرس النعمة تأويل المنام وهو أن الأفعين هو الذي كان يذاكره بالحاد المعري وكفره، وأن ما رأه الغلام ما عاناه منها في

(١) نفسه، ج ٣، ص ١٤٦٢.

(٢) ابن العديم، بعنة الطلب، ج ٨، ص ٣٦٧١، ٣٨٢١، ٤٣٤١، ٤٥٥٦..

(٣) نفسه، ج ٦، ص ٢٧١٠، ٢٧١١.

اليقظة قال الله سبحانه وتعالى: (أيعب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) وأما صيامه واستغاثته فبإلي الله تعالى عليهما...^(١).

وخلاصة القول:

إن ابن العديم اطلع على مؤلفات المؤرخين السابقين واستعمل عقله في نقد الكثير من الروايات حتى وإن لم تتوافر لديه الأدلة الكافية، لكن حسه التاريخي جعله لا يبلها وإن روتها أو نقلها الثقات.

(١) نفسه، ج ٢، ص ٩٠٩.

الفاتمة

على الرغم مما احتله ابن العديم من المنزلة المرموقة في الفكر الإسلامي عموماً والتاريخي خصوصاً فإن ما كتب عنه لا يتعذر صفحات قليلة ليس فيها غير تردید لها هو شانع عنه في المصادر القديمة التي تناولت ترجمته، فكانت دراستنا لسيرته أول دراسة علمية قامت على أساس من الإحاطة التامة بكل ما كتب عنه واستقراء كامل لما خلف من مؤلفات تاريخية.

وقد استطعت في هذا البحث أن أوضح البيئة الخلبية التي نشأ فيها ابن العديم بكل ما كان فيها من نهضة علمية واسعة وما اعتبرها من صراعات سياسية حادة أثرت عليه.

كما حاولت أن أقدم صورة لبيئته العائلية المتدينة المعنية بالعلم التي ربيه على حب العلم والعلماء منذ نعومة أظافره مما هيأه لمستقبل علمي مرسوم ساعده فيه والده الذي شجعه على ذلك، وتناول البحث صلات ابن العديم الشخصية بعلماء وفقهاء عصره وأثرها في تكوينه الفكري المتمثل بميله وارتباطه الشديد بالحديث والمحدثين والذي أكثر من ذكر تراجمهم.

وقد أوضحت الدراسة المكانة الاجتماعية التي حظي بها في بلاده، وفي الكثير من بلدان العالم الإسلامي حينذاك، كذلك المكانة العلمية لابن العديم استناداً على عرض مؤلفاته سواء أكان مطبوعاً أم مخطوطاً وقدمت وصفاً مختصرأً لنوعية الكتاب و مجاله وأهميته بعبارة وجيبة.

ثم تناولت محتوى مؤلفاته من كافة النواحي الحضارية والتي أظهرت لي بعض الجوانب الهامة عن ابن العديم خاصة في تاريخه للنواحي السياسية إذ تأثر بحكم موقعه كمؤرخ في سلطه في تناوله لبعض الأحداث إما بصورة غير حيادي، أو بالصمت المطبق، إلى جانب إنفراده بالعديد من الروايات التي لم ترد في غيره من المصادر التاريخية.

ومن الناحية الاقتصادية تيز ابن العديم بمقدمة الطبواغرفية لكتابه بغية الطلب، فقد جاءت شاملة لكافة المعلومات عن بلاد الشام الشمالية من حيث تاريخ سكانها أو الإمكانيات الاقتصادية وأهم المحاصيل الزراعية والصناعات التي قامت عليها واشتهرت به كل مدينة من مدن الشام وفي الناحية الاجتماعية ذكر بعض عادات المجتمع الخلبي وعادات البيت الأيوبي خاصة في احتفالاتهم، ومن الناحية الثقافية أكثر ابن العديم من ترجمه للأدباء والعلماء والشعراء.

أما الناحية العقدية فيعتبر ابن العديم فيها سجلاً لدراسة الحركات المذهبية ذات الصبغة السياسية، فمن ذلك تبعه لتحركات فرق الباطنية في بلاد الشام، وما قامت به من اغتيالات،

كذلك ذكر أثر الصوفية ورجال الدين على الحكام و مختلف فنات الناس من القيام بزياراتهم أحياً أو أموات للتكبر بهم، وقد أشار إليهم ابن العديم في العديد من تراجمه.

وقد أشارت الدراسة إلى الكم المصدري الموسوعي الذي اعتمدته ابن العديم في مؤلفاته التاريخية والذي تميز بالتنوع الكبير ومن ذلك استعانته بالوثائق وإيرادها داخل المتن لتوثيق أحداتها، كذلك تركيزه على الروايات الشفوية والتي أستمدتها من أفراد أسرته وشيوخه ومعارفه وكل شخص له علاقة مباشرة بالأحداث التي يكتبها وهو الأمر الذي يوضح اهتمامه الدءوب بتتبع الأخبار والأحداث ليكون على علم كافي بها إلى جانب اعتماده على الآثار والمسكوكات واستقراء المكتوب عليها لتدوينه داخل الحدث التاريخي، ولكن أهم مصادره الذي شغل الحيز الأكبر من اهتمامه من مساحه مؤلفاته هو استعانته بالمصادر السابقة عنه، فقد تميز كتابه بغيه الطلب بإيراده للكثير منها، وقد حدد ابن العديم المعايير التي اعتمادها لتلك المصادر ومنها:

- الاعتماد على المصادر المعاصرة أو الأقرب زمنياً للحدث لضمان صحة المعلومات.
- التخصيص التأليفي أي التي تخصصت في نمط معين سواء كان ذلك في تاريخه للحوادث أو التراث.
- أما عن طريقه نقله من المصدر فكانت دائماً تسير وفق قاعدة معينة وهي الإشارة إلى المصدر الذي استقى منه الخبر سواء كان ذلك عن طريق الرواية الشفوي أو المكتوب كذلك الإشارة إلى موضع النقل من المصدر بتفصيل دقيق، وقد أدى لنا ابن العديم بذلك الفكر المنظم خدمة جليلة لأنه حفظ العديد من نصوص تلك المصادر التي فقدت ولم يعد لها أثراً ولا مؤلفيها غير نقوله التي امتلاها كتابه بغيه الطلب.
- وقد تميزت نقول ابن العديم بالدقة الشديدة فيما ينقله من معلومات من مصدرها الأصلي، وهو ما يشبهه التوثيق الآن بذكر الصفحة التي أقتبس منها الباحث نصوصه ومعلوماته.

وقد أوضحت الدراسة المنهج الذي اتباه ابن العديم في مؤلفاته التاريخية، بدأ من كونه مؤرخاً إقليمياً، جاءت كل مؤلفاته عن بلدته حلب ومدن بلاد الشام. ورغم ذلك فقد نوع في منهجه، فنجد أنه أتبع المنهج الحولي حيث انتقى من الأخبار والأحداث ما رأه مهماً جديراً

بالتلدوين فذكره في تاريخه، وقد حاولت أن أوضح المعايير التي على أساسها قيم الأحداث.
أما في تنظيم الترجم وعرضها فقد استطاعت الوقوف على منهج دقيق له في تنظيم
الترجم وعرضها وأشارت إليه:

إنخاذ اسم الشهرة أساساً في الترتيب المعجمي سواء كان ذلك في اللقب أو النسب و
عناته الفائقة بضبط تواريف الوفيات، وقيامه بعمل إحالات بين الترجم. فقد أحدث ابن
العديم تطوراً في فن كتابته إذ لم تكن كتابته نقلأً لنصوص قديمة فقط بل كان تحليل
وتعديل للمعلومات من مواردتها الموئنة بتحري الزاهة والحياد بها

أما في كتابه السير في كتاب دفع الظلم والتجري فنجد أثر كبير للعاطفة تجاه أبي العلاء
المعري لم نعهد في كتاباته الأخرى ورغم ذلك فقد وفق إلى حد كبير في أن يكون منصفاً.
وقد عمدت إلى مقارنة مؤلفاته بمؤلفات ذويه السابقين عليه المتفقين معه في المنهج
لتوضيح مدى تأثيره بهم وتفوقه عليهم وذلك لتحديد منهجه.

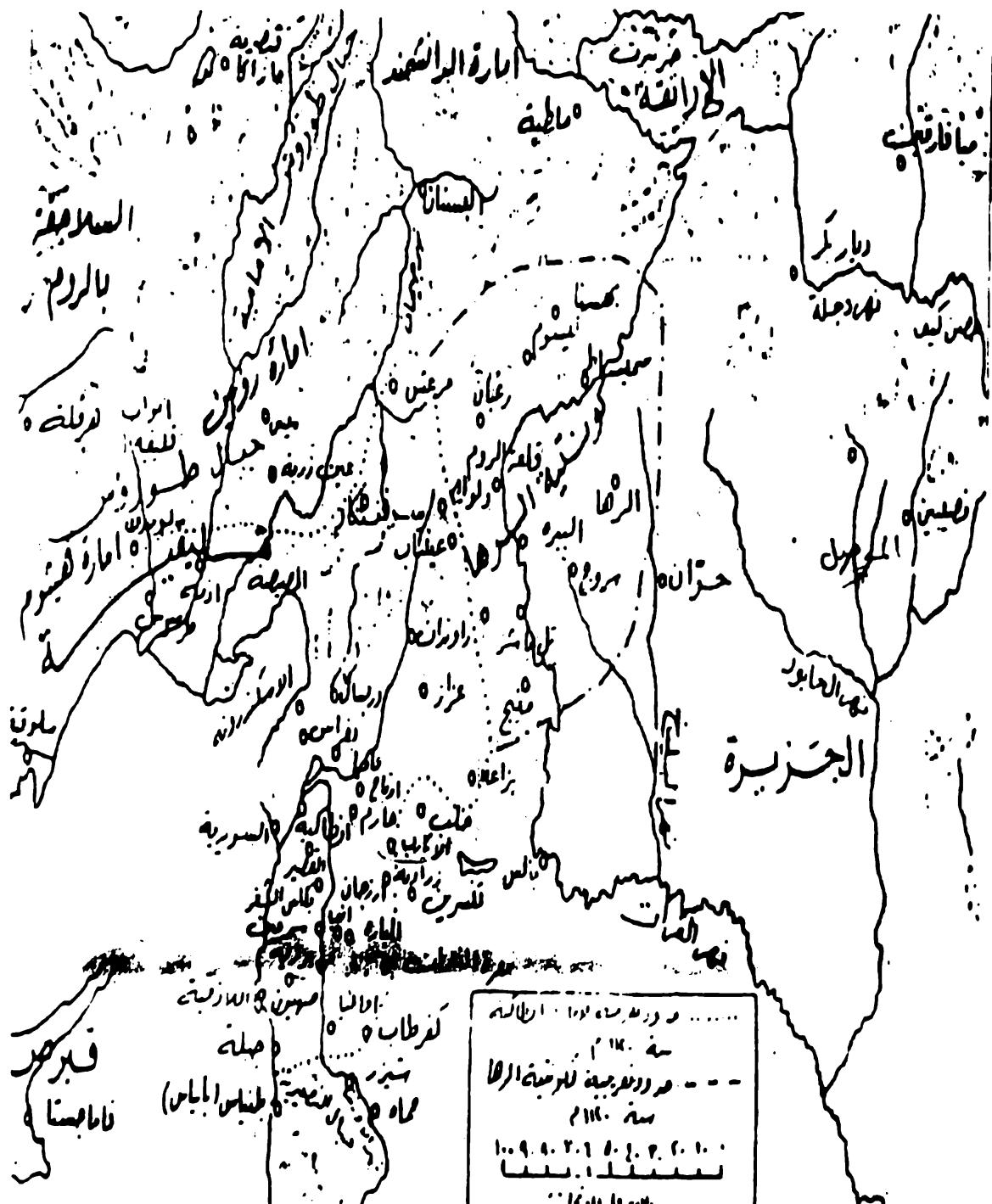
وقد استطاعت تبيان عنية ابن العديم بنقد الروايات والرد على المؤلفين السابقين منها
احتلوا من منزلة بين كبار الثقات، وأن نقده قد انصب على نقد الحدث ونقد الأشخاص ونقد
المصدر نفسه كل ذلك قام به بتحليل الروايات تحليلأً علمياً، وأخيراً فقد وفق ابن العديم في
تأريخه أن يكون منصفاً حيادياً إلى أكبر مدى.

الملاتحة

قائمة بحكام حلب الأيوبيين

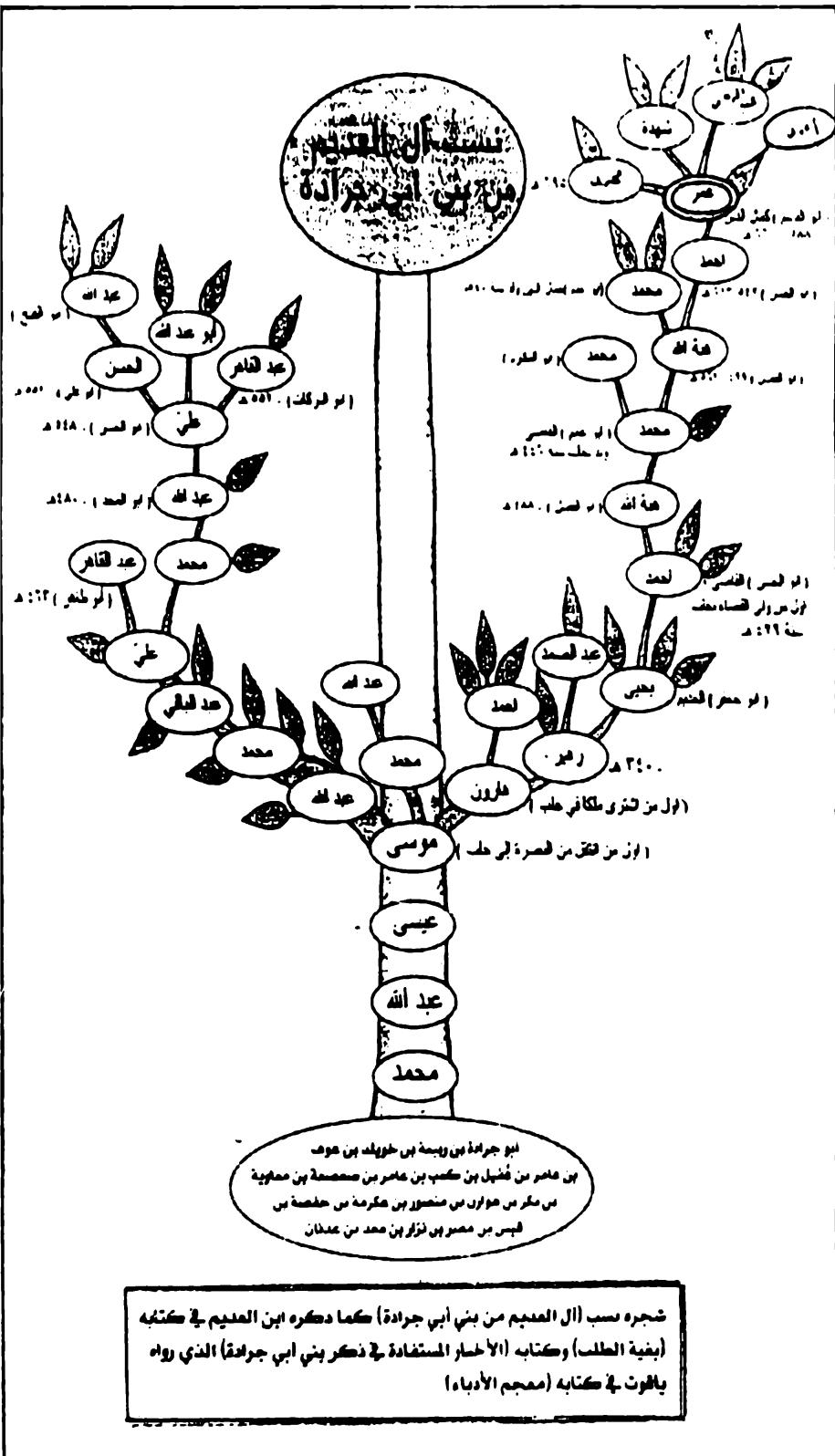
- ١ - الملك العادل أبو بكر أحمد بن أيوب [٥٧٩ - ١١٨٣ / ٥٨٢ - ١١٨٦ م].
- ٢ - الظاهر غازي بن صلاح الدين [٥٨٢ - ١١٨٦ / ٦١٣ - ١٢١٦ م].
- ٣ - العزيز محمد بن الظاهر غازي [٦١٣ - ١٢١٦ / ٦٣٤ - ١٢٣٦ م].
- ٤ - الناصر يوسف الثاني بن العزيز محمد [٦٣٥ - ١٢٣٦ / ٦٥٨ - ١٢٦٠ م].

خريطة لبلاد الشام



نقل من كتاب رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العربي، الجزء الثاني،

ص ١٧٦.



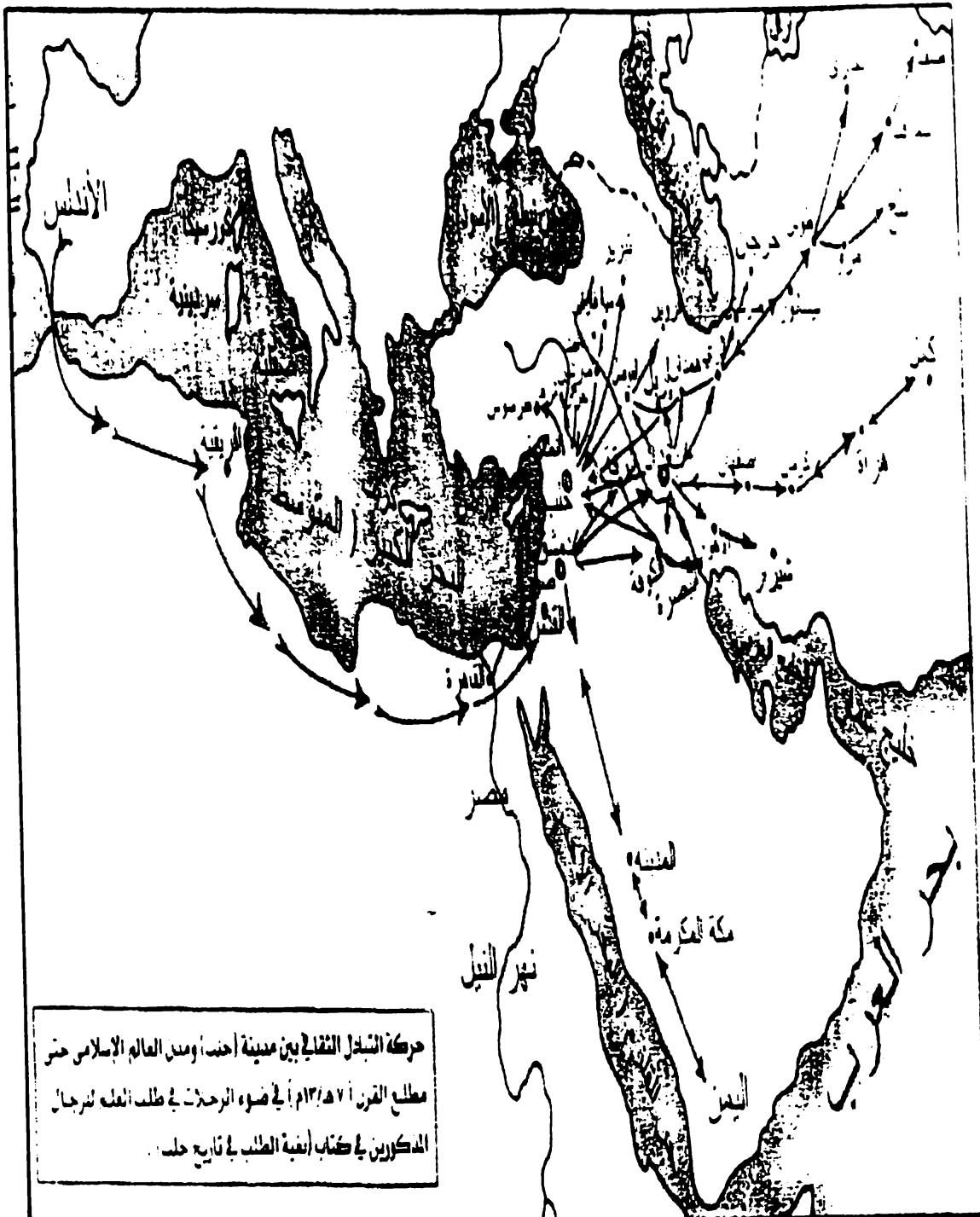
نقاً من كتاب مريم محمد، موارد ابن العديم التاريخية

وَصَرْفُهُ مِنْ الْمُشَارِقِ وَالْمُمْبَحِقِ، وَهُوَ الْمُعْلَمُ الْعَالِيُّ بِلِطْبِ بَلْ
رَبِّ الْمَلَائِكَةِ الْمُتَّسِيرِ، وَهُوَ الْمُعْلَمُ الْمُغْلَظُ بِلِطْبِ بَلْ
الْمُأْفَلِيِّ بِلِطْبِ الْمُلَاقِطِ وَالْمُوْنِمِ الْمُبَتَهِيِّ بِلِطْبِ بَلْ
رَبِّ الْمَقْرِنِ لِجَهَنَّمَ كَبِيرٌ وَلِهُ دُنْسٌ وَلَا يَخْرُجُ هَذَا اِنْا
رَبُّ الْمُسْلِمِ الْمُدْرِيِّ بِالْمَهْرَبِ اِعْدَادِ الْجَنِّ غَيْرُ الْعَرَبِ الْمُدْرِثِ
مَا لِلْمَالِ مِنْهُ اِلَّا مَوْرِسٌ بِهِ لِلْمُؤْمِنِ فِيمَا الْمُبْشَرُ
مُشْرِفٌ عَلَيْهِ سَهْلٌ اِسْبَرٌ وَلِمَا وَكَانَ يَدْعُكُمْ حَتَّى
كَبِيرٌ وَكَانَ مُخْفِيًّا مُخْلَفًا اَوْ تَأْكِيرٌ وَكَانَ يَزْنُ اَهْبَابَ
رَكَانٍ اَهْلَلَ عَلَيْهِ مُسْبِدَ
الْبَحْرِ بِلِهِ بَعْدَ النَّفَارِ فَلِمَنْ بَلَانِ التَّسْبِيِّ بِوَاعِلٍ
الْمَالِشِيِّ الْمُخْوِيِّ الْمُفَرِّجِ، مَا زَعَلَ اِنْحُنَّ لِلْتَّاجِ وَإِنْ كَرِزَ الشَّفَاجِ مَا زَبَنَ نَسْنَسَ
وَإِنْ لَمْ شَرِّكَنَ لِلْمُلْمِنِ وَلِلْمُنْزَنِ عَلَيْهِ شَنْشِنَ مُعَافَانَ
وَإِنْ كَرِزَ عَامِدٌ وَلِعَلِيِّ عَمَدَ الْمُقْرَفَةِ تَلَاحِنَ، بِعِمَالَادَرَ
رَجَبَاعَةَ وَدَنِيَعَةَ كَلَاتَ كَلَاتَ عَدَدَ جَلِيلٍ وَصَدَلَالَامَاءَ
الْمُمْدَعِ الْمُكَلَّهِ وَمَعْلِيَهُ عَلَيْهِ بَحْرِيَّ الْمُنْجَزِ فَلِلْمُرْبِّي الْمُجَعَّدِ
مُنْجَنِيَنَ حَسْنَهُ بِالْمَالِ الْمُسْكِنِ كَالْمُدْرِيِّ وَالْمُعْوَنِيِّ الْمُفَاضِلِ وَالْمُنْسِمِ
عَلَيْهِ الْمُسْنِيِّ الْمُنْجَنِيِّ وَالْمُسْرِنِيِّ فَلِلْمَادِيِّ عَلَيْهِ بَهْرَالِمَتْ

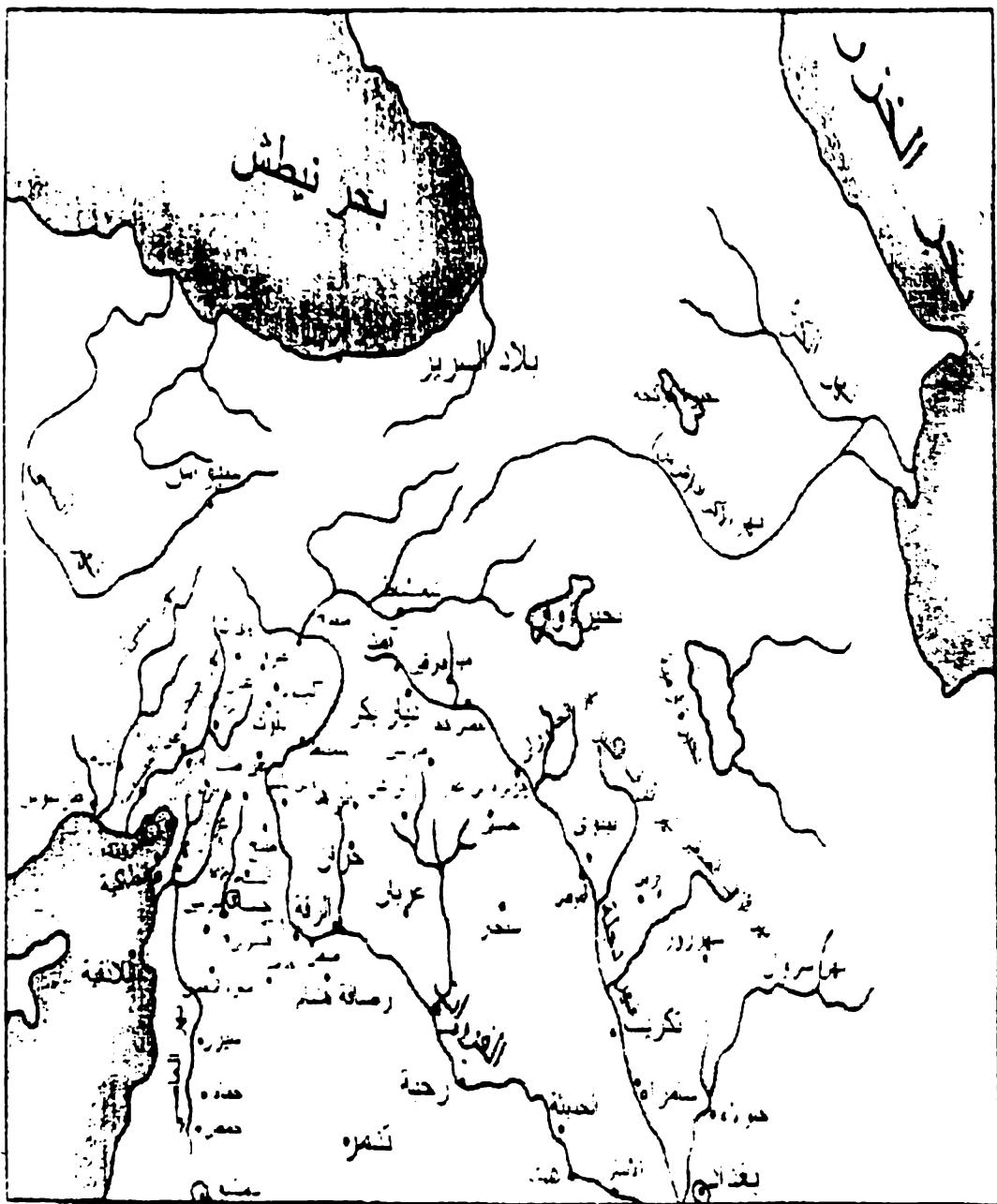
الْمُسْبِمِ بَهْرَالِمَيِّ وَالْمُجَمِّدِ
اَنَّا اَمَا يَشْرُكُ الْكَدِنَ وَلَا اَمْرَأٌ اَوْ سَنْدُو الْمَلَارِ قَالَ اَمْرَأٌ اَوْ كَدِنَ
اَخْدَرٌ عَلَى تَأْسِيَتِهِ خَالِ الْمَقْرِنِ لِعَدْرَمَاجِ اِبْرَاهِيمَ الْمُشَنِّ
سَعْيَ كَمْدَرِجِ بَالْمُسْنِيِّ وَعَمَدَلَهُ سَيَاهَةَ وَاحْدَهُ مُعْذَنِيَنَدِيِّ
وَمَدِهِ حَسْرَالْمَطَرِيِّ وَامْنَنِيَنَدِيِّ عَدْرَمَاجِ اِبْرَاهِيمَ الْمُرَنِّ
امْنَنِيَنَدِيِّ بَسَالْمَسَقَلِيِّ وَما نَنِيَنَدِيِّ كَبِيَنَلَهُ الْمَطَرِيِّ وَامْنَسِرَ
الْمَدَرِيِّ وَمَنْزِيَنَدِيِّ كَهْنَلَهُ الْمَدِيِّ وَعَادِمَهُ كَهْنَلَهُ الْمَرَادِيِّ
وَوَنِيَنَدِلَهُ الْمَرَادِيِّ وَصَلَاعَهُ اِبْرَاهِيمَ الْمَهَانِيِّ وَاسْنِمَ الْمَهَانِيِّ
اَوْ بَطَلَهُ كَهْنَلَهُ الْمَهَانِيِّ تَكِيَنَهُ كَهْنَلَهُ وَكَانَهُ مَهَانِيَكِنَهُ
وَكَانَهُ مَهَانِيَلَهُ الْمَهَانِيِّ وَكَانَهُ مَهَانِيَلَهُ
فِي عَلِيِّيَنَهُ كَهْنَلَهُ كَهْنَلَهُ الْمَهَانِيِّ وَكَهْنَلَهُ الْمَهَانِيِّ فَاتَهُ
اَهْرَالِاَهْرَاسِ كَهْنَمِ وَكَاهِرَهُ فَالْمَهَانِيِّ الْمَهَانِيِّ عَلَيْهِ الْمَهَانِيِّ
الْمَهَانِيِّ مَهَانِيِّ الْمَهَانِيِّ لِعَدِيدَهُ كَهْنَلَهُ اِبْرَاهِيمَ الْمَهَانِيِّ الْمَهَانِيِّ
حَنْتَهُ مَهَنَنَهُ جَانَلَهُ الْمَهَانِيِّ وَصَرْفَهُ مَهَانِيِّ سَهَرَلَهُ بَعْلَهُ
وَإِنْ كَهْنَلَهُ عَيْنَهُ اِنْ حَسَرَلَهُ وَالْمَهَانِيِّ مَهَنَنَهُ بَلَهُ الْمَهَانِيِّ
وَمَهَنَنَهُ الْمَهَانِيِّ وَعَسِنَهُ تَوَسَالَهُ وَقَاسِمَهُ الْمَهَانِيِّ وَإِنْ مَشَنَزَ
الْمَهَانِيِّ وَمَنْزِيَنَهُ كَهْنَلَهُ الْمَهَانِيِّ وَلَهُ مَهَانِيِّ الْمَهَانِيِّ

الورقة الأولى من مخطوطه فيض الله
بخط ابن العديم

نقلًا من زبدة الصلب من تاريخ حلب



نقلًا من مریم محمد، موارد ابن العديم التاریخیة



موقع المتن المنكورة في محلدة الأولى من كتاب (بعثة النبي)

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ١ - ابن أبي أصيبيعه (موفق الدين أبي العباس ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ١٩٨٦.
- ٢ - ابن الأثير الجزري (عز الدين محمد ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف، عدة أجزاء، ط. بيروت ٢٠٠٣.
- ٣ - ابن أبيك الدوادارى (أبو بكر عبد الله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الدار المطلوب في أخبار ملوك بنى أيوب، تحقيق سعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٧٢.
- ٤ - ابن أبيك الصفدي (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) الوافي بالوفيات، تحقيق رمزي بعلبكي، ج ١، ٢٢، ط. بيروت ١٩٨٣.
- ٥ - ابن تغري بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٩ م) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافي، ج ٨، تحقيق محمد محمد أمين، ط. القاهرة ١٩٩٩.
- ٦ - النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة، ج ٧، تحقيق محمد حسين ط. بيروت ١٩٩٢.
- ٧ - ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) الرحلة، ط. بيروت، بـ.
- ٨ - ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن علي بن مظفر / ١٢٠١ م) المستظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط. بيروت ١٩٩٢.
- ٩ - ابن حوقل (أبو القاسم علي بن حوقل ت ٩٧٧ هـ / ٥٣٦٧ م) صورة الأرض، تحقيق دى جويه، ط. ليدن ١٩٣٨.
- ١٠ - ابن خلدون (عبد الله بن خلدون ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٥، ط. لبنان.
- ١١ - ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، عدة أجزاء، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٦٩-١٩٧٧.
- ١٢ - ابن سيدة (أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأندلسى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) المحكم

- والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوى، ج ٨، ط. بيروت ٢٠٠٠
- ١٣ - ابن شداد (القاضي بهاء الدين ت: ٦٢٣ هـ / ١٢٣٤ م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٦٤.
- ١٤ - ابن شداد (عز الدين أبو عبد الله ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) الأغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، عدة أجزاء، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٥٦.
- ١٥ - ابن العبرى (أبو الفرج الملطى بن هارون ت ٦٨٥ هـ / ١٢٥٦ م) تاريخ مختصر الدول، ط. بيروت ١٩٥٨.
- ١٦ - ابن العجمي (موفق الدين بن ذر الحلبي ت ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م) كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج ١، تحقيق شوقى شعث - فالح اليكور، ط ١، سوريا ١٩٩٦.
- ١٧ - ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٨٨.
- ١٨ - التذكرة، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ط. ألمانيا ١٩٩٢.
- ١٩ - الدارى في ذكر الذارى، تحقيق علاء عبد الوهاب، ط. . القاهرة ١٩٨٤
- ٢٠ - دفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعرى، منشور ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء المعرى، تحقيق مصطفى السقا وأخرون، ط. القاهرة ١٩٩٤.
- ٢١ - زيدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، ط. دمشق ١٩٥١، الجزء الثاني ط. دمشق ١٩٥٤، والجزء الثالث ط. دمشق ١٩٦٨ م.
- ٢٢ - الوصلة إلى الحبيب في ذكر الطيبات والطيب، تحقيق سلمى محجوب ودرية الخطيب، معهد التراث العلمي، جامعة حلب، ط. حلب ١٩٨٨ م.
- ٢٣ - ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحمى ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٥، ط. القاهرة ١٣٥١ هـ.
- ٢٤ - ابن العميد (جرجس بن العميد ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) أخبار الأيوبيين، ط. القاهرة، ب. ت.
- ٢٥ - ابن فضل الله العمري (شهاب الدين احمد بن يحيى ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) مسالك

- ٢٦ - ابن القلansi (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ذيل تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، ط. بغداد ١٩٦٢.
- ٢٧ - ابن قططليبيغا (أبي العدل زين الدين قاسم ت ٨٧٩ هـ) تاج الترجم في طبقات الحنفية، عدة أجزاء، ط. بغداد ١٩٦٢.
- ٢٨ - ابن كثير (الحافظ عباد الدين إسماعيل ت ٧٤٤ هـ / ١٣٧٣ م) البداية والنهاية، عدة أجزاء، ط. القاهرة، ب. ت.
- ٢٩ - ابن النجاري (محب الدين أبو عبد الله ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيسر فرج، ط. الهند ١٩٨٢ م.
- ٣٠ - ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) الفهرست، تحقيق محمد عوني، وإيهان السعيد، جزاءن، ط. القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٣١ - ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، ج ٣، تحقيق حسين محمد ربيع، ط. القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٣٢ - ابن الوردي (أبو حفص زين الدين ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) تتمة المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ط. بغداد ١٩٦٩ م.
- ٣٣ - أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٧ م) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ٢، ٤، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط. بيروت ١٩٩٧ م.
- ٣٤ - الذيل على الروضتين، تحقيق السيد عزت العطار، ط. القاهرة ١٩٤٧ م
- ٣٥ - أبو الفداء (إسماعيل بن علي ت ٧٣٢ هـ / ١٢٣٢ م) المختصر في أخبار البشر، ج ٣، تحقيق محمد زينهم، ط. القاهرة، ب. ت.
- ٣٦ - أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت ١٩٨١ م.
- ٣٧ - البكري (عبد الله عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) معجم ما استعجم، ط. القاهرة ١٩٤٥ م.

٣٨ - بيرس الدوادارى (ركن الدين ت ١٣٢٥ هـ / ٧٢٥ م) مختار الاخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحريه حتى سنة ٧٠٢ هـ، تحقيق عبد الحميد صالح، ط. القاهرة ١٩٩٣ م.

٣٩ - التميمي (تقي الدين بن عبد القادر ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م). الطبقات السننية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ج ١، ط. القاهرة ١٩٨٣، ج ٤، ط. السعودية ١٩٨٩.

٤٠ - التهانوى (محمد بن علي الفاروقى ت ١١٥١ هـ / ١٧٤٥ م) كشاف مصطلحات الفنون، ج ١ تحقيق لطفي عبد البديع، ترجمه من الفارسية عبد النعيم محمد حسن، ط. القاهرة ١٩٦٣ م.

٤١ - الجوينى (عطاط ملك ت ١٢٧٠ هـ / ١٢٦٨ م) تاريخ جهانكشائى، ج ١، تحقيق محمد التونجى، ط. القاهرة ١٩٨٥ م.

٤٢ - حاجى خليفة (مصطفى كاتب جلبي ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ج ٢، ط. اسطنبول ١٩٤٣ م.

٤٣ - الحبلى (أحمد بن إبراهيم ت ١٤٧٦ هـ / ٨٧٦ م) شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب، تحقيق مدحى الشرقاوى، ط. القاهرة ١٩٩٦ م.

٤٤ - الحمادى (أبي عبد الله محمد بن مالك ت ٥ هـ) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تحقيق محمد بن على، ط. صنعاء ١٩٩٤.

٤٥ - الذهبي (الحافظ الذهبي ت ١٣٤٨ هـ / ٧٤٨ م) الإعلام بوفيات الأعلام، تحقيق رياض عبد الحميد، ط. بيروت ١٩٩١ م.

٤٦ - دول الإسلام، ج ٢، تحقيق حسن إسماعيل، ط. بيروت ١٩٩٩.

٤٧ - تذكرة الحفاظ، ج ٤، ط. حيدر آباد الدكن، ب. ت.

٤٨ - العبر في خبر من غير، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج ٥، ط. الكويت، ب. ت.

٤٩ - الزبيدى المرتضى (محب الدين أبو الفيض محمد ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) ترويع القلوب في ذكر الملوك بنى أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. بيروت ١٩٨٣.

٥٠ - السبكي (تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) طبقات الشافعية

- الكتابى، تحقيق محمد عبد الفتاح الحلو وعمود الطناحي، ط. القاهرة، عدة أجزاء، ١٩٩٢ م.
- ٥١ - السيوطي (عبد الرحمن أبي بكر ت ١٥٠٥ هـ ١٩١١ م) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ٢، تحقيق خليل المنصور، ط. دمشق ١٩٧٤ م.
- ٥٢ - الشهريزورى (ابن الصلاح ابو عمرو عثمان ت ١٢٤٥ هـ ٦٤٣ م) علوم الحديث، تحقيق نور الدين عنتر، ط. بيروت، ب. ت.
- ٥٣ - الصقاعى (فضل الله بن أبي الفخر النصرانى ت ٧٢٦ هـ ١٣٢٥ م) تالي وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سويف، ط. دمشق ١٩٧٤ م.
- ٥٤ - الطهراني (محمد محسن آغا بزرگ) طبقات أعلام الشيعة، ط. بيروت ١٩٧٢ م.
- ٥٥ - العظيمى (محمد بن علي ت ٥٥٦ هـ ١١٦١ م) تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعorer، ط. دمشق ١٩٨٤ م.
- ٥٦ - العليمى (مجير الدين الحنبلي ت ٩٢٨ هـ ١٥٢٢ م) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط. الأردن ١٩٧٣ م.
- ٥٧ - العياد الكاتب الأصفهانى (محمد بن محمد ت ٥٩٧ هـ ١٢٠١ م). خريدة القصر وجريدة العصر، ج ١، ط. القاهرة، ب. ت.
- ٥٨ - العينى (بدر الدين محمود ت ٨٥٥ هـ ١٤٥١ م) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ١، عصر سلاطين المماليك، تحقيق محمد محمد أمين، ط. دار الكتب المصرية، ١٩٨٧ م.
- ٥٩ - القرشى (أبو الوفاء القرشى ت ٧٧٥ هـ) الجوادر المضيئة في طبقات الحنفية، ج ١، ط. الهند، ب. ت.
- ٦٠ - القرمانى (أبو العباس أحمد بن يوسف ت ١٠١٩ هـ / ١٦١١ م) أخبار الدول وأثار الأول، تحقيق أحمد حطيط وفهمى سعد، ج ٢، ط. بيروت ١٩٩٢ م.
- ٦١ - القلقشندى (أبو العباس أحمد ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) صبح الأعشى في صناعة الإنسا، ج ١، ج ٤، ج ٧، ط. القاهرة ١٩٦٣ م.
- ٦٢ - الكتبى (محمد بن شاكر بن أحدث ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) فوات الوفيات والذيل عليها، المجلد الثالث، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٤ م.

- ٦٣ - اللكتورى الهندى (أبى الحسنات محمد عبد الحى ١٣٠٤ هـ) الفوائد البهية في
ترجم الحنفية، تعليق محمد بدر الدين أبو فراس، ج ١، ط. القاهرة ١٣٢٤ هـ.
- ٦٤ - المقرى (شهاب الدين احمد بن محمد ت ١٤٠٤ هـ / ١٦٣١ م) نفع الطيب من
غضن الأندرس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، المجلد الثانى، ط. بيروت ١٩٦٨ م.
- ٦٥ - المقرizi (تقى الدين أحمد ت ١٤٤٥ هـ / ١٨٤٥ م) السلوك لمعرفة دول الملوك،
تحقيق عبد القادر عطا، ج ١ ط. بيروت، ب. ت.
- ٦٦ - الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، ج ٤، تحقيق أحمد على، ط. بيروت
١٩٩٨ م.
- ٦٧ - المنذري (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) التكميلة
لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، ج ٢، ط. بيروت ١٩٨١.
- ٦٨ - ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، ط. القاهرة ١٩٩٣.
- ٦٩ - النسوى (شهاب الدين محمد بن احمد ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) سيرة جلال الدين
منكريتى، تحقيق حافظ أحمد حدي، ط. القاهرة ١٩٥٣ م.
- ٧٠ - النعيمى (عبد القادر بن محمد ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) الدارس في تاريخ المدارس،
ج ٢، تحقيق جعفر الحسنى، ط. القاهرة ١٩٨٨ م.
- ٧١ - النويرى (شهاب الدين النويرى ت ١٣٣٢ هـ / ٧٣٣ م) نهاية الأرب في فنون
الأدب، ج ٢٨، تحقيق محمد أمين - محمد حلمي، ط. القاهرة ١٩٩٢ م، ج ٢٧، تحقيق سعيد
عبد الفتاح عاشور، ط. القاهرة ١٩٨٥.
- ٧٢ - الهمذانى (رشيد الدين فضل الله ت ١٣١٨ هـ / ٧٦٨ م) جامع التواریخ، م ٢،
ج ١، تحقيق محمد صادق وآخرون، ط. القاهرة ١٩٦٠ م.
- ٧٣ - اليافعى (أبو محمد عبد الله بن على ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) مرآة الجنان وعبرة
البيقظان، ج ٤، ط. بيروت ١٩٩٣ م.
- ٧٤ - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) معجم البلدان،
عدة أجزاء، ط. بيروت ١٩٧٧ م.
- ٧٥ - معجم الأدباء، ط. القاهرة، ب. ت.

٧٦ - اليونيني البعلبكي (قطب الدين موسى ت ١٢٣٦هـ / ١٩٢٦م) ذيل مرآة الزمان في
تاريخ الأعيان، ج ١، ط. حيد أبواد الدكن ١٩٥٤م.

ثانياً: قائمة المراجع العربية:

- ١ - إبراهيم العدوى (د.)، مناجح التاريخ الإسلامي، مقالة حوليات دار علوم، العدد الثالث ١٩٧٠.
- ٢ - إبراهيم فرغلى (د.)، الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال ق ٧٣ هـ ط. القاهرة ٢٠٠٠.
- ٣ - أحمد بدوى (د.)، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة، ب. ت
- ٤ - أحمد رمضان (د.)، الإيمازات والتوقعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من ق ٤٥ هـ إلى ١١٠ هـ / ١٦١٠ م، ط. القاهرة ١٩٨٥.
- ٥ - الرحلة والرحلة المسلمين، ط. جدة، ب. ت.
- ٦ - المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٧٧ م.
- ٧ - أسامة سيد على (د.)، الظهير الشامي ودوره في الصراع الإسلامي الصليبي في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٩٦ م.
- ٨ - السيد الباز العربي (د.)، المغول، ط. بيروت ١٩٨٦ م.
- ٩ - المهايلك، ط. بيروت ب. ت.
- ١٠ - مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٢ م.
- ١١ - السيد عبد العزيز سالم (د.)، التاريخ والمؤرخون العرب، ط. الإسكندرية ١٩٨٧ م.
- ١٢ - برتولد شيولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعه سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٨٢ م.
- ١٣ - برنارد لويس، الحشاشون، فرق ثورية في تاريخ الإسلام، ترجمة محمد العزب موسى، ط. بيروت ١٩٨٦ م.
- ١٤ - جان سوفاجيه، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار حلوجي. ط. القاهرة ١٩٨٠ م.
- ١٥ - جورجي زيدان (د.)، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢، ط. بيروت ١٩٦٧ م.

- ١٦ - جمال فوزي(د.)، التاريخ والمورخون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية (٢٠٠١ م/٥٥٢١ م)، ط. القاهرة ١٩٤٩ م.
- ١٧ - حافظ أحمد حمدي (د.)، الدولة الخوارزمية والمغول، ط. القاهرة ١٩٤٩ م.
- ١٨ - حامد غنيم زيان (د.)، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٣ م.
- ١٩ - حسن عبد الوهاب(د.)، دراسات في التاريخ الاقتصادي للحروب الصليبية، ط. القاهرة ٢٠٠٢ م.
- ٢٠ - حسن عثمان (د.)، منهج البحث التاريخي، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.
- ٢١ - حسين أحمد (د.)، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين المعاصرین لها، ط. القاهرة ١٩٨٣ م.
- ٢٢ - حسين مؤنس (د.)، التاريخ والمورخون، ط. القاهرة ١٩٨٤ م.
- ٢٣ - خاشع المعاضيد(د.)، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ط. بيروت ١٩٨٦.
- ٢٤ - خير الدين الزركلي، قاموس تراجم الأعلام، ج ٣، ٥ ج، ط. بيروت ١٩٩٨ م.
- ٢٥ - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ط. بيروت، ١٩٨١ م.
- ٢٦ - راغب الطباطبائي، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، مج ٢، ج ٤، ط. حلب ١٩٢٣ م.
- ٢٧ - زكي محمد حسن (د.)، دراسات في مناهج البحث، ج ١، ط. القاهرة ١٩٥٠ م.
- ٢٨ - الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٥ م.
- ٢٩ - سعيد عبد الفتاح عاشور (د.)، الحركة الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦ م.
- ٣٠ - العصر المماليكي في مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٩٤ م.
- ٣١ - سند احمد سند (د.)، عز الدين ابن شداد مؤرخاً، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٤.
- ٣٢ - سهيل زكار (د.)، الدولة العربية في المشرق الإسلامي، ط. دمشق، ب. ت
- ٣٣ - الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مؤرخو القرن السابع المجري،

ج ١٦، ط. دمشق ١٩٩٥.

- ٣٤ - سيدة إسماعيل كاشف (د.)، مصادر التاريخ الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٧٦ م.
- ٣٥ - شاكر مصطفى (د.)، التاريخ العربي والمورخون، ج ١، ج ٢، ط. بيروت ١٩٨٣ م.
- ٣٦ - شعبان عبد العظيم (د.)، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠١ م.
- ٣٧ - صائب عبد الحميد (د.)، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ط. بيروت ١٩٨٥ م.
- ٣٨ - صلاح الدين المنجد (د.)، المؤرخون الدمشقيون وأثارهم المخطوطية من ق ٣٢ هـ إلى نهاية ق ١٠ هـ ط. القاهرة ١٩٥٦ م.
- ٣٩ - صفاء محمد عثمان، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني، ط. القاهرة ٢٠٠٨ م.
- ٤٠ - طلال سعود (د.)، موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ١، ط. السعودية ٢٠٠٤ م.
- ٤١ - عادل هلال (د.)، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٩٧ م.
- ٤٢ - عباس العزاوى، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركان، ط. القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٤٣ - عبد الرحمن بدوى، مذاهب الإسلاميين، ج ٢، ب. ت ٢٠٠٦.
- ٤٤ - عبد العزيز الدورى (د.)، بحث في نشأة علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ط. بيروت ١٩٦٠ م.
- ٤٥ - عبد العليم خضر (د.)، المسلمين وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، ب. م، ١٩٩٥ م.
- ٤٦ - عبد المنعم ماجد (د.)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٣ م.
- ٤٧ - عثمان عبد الحميد العشري (د.)، الإسماعيليون في بلاد الشام عصر الحروب

الصلبيّة، ط. القاهرة ١٩٧٥ م.

- ٤٨ - على إبراهيم (د.)، استخدام المصادر وطرق البحث في لتاريخ، ط. القاهرة ١٩٨٠ م.
- ٤٩ - على حيدر النجاري (د.)، ابن العديم، مقالة بمجمع اللغة العربية، مجلد ٤٩، ج ٢٢ ط. دمشق ١٩٧٤ م.
- ٥٠ - عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ط. بيروت، ب. ت.
- ٥١ - أعلام النساء، ج ٢، ط. بيروت ١٩٥٩ م.
- ٥٢ - الغزى، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ١، ج ٣، ط. حلب ١٣٤٥ هـ.
- ٥٣ - فاتق الصواف (د.)، ابن عساكر مؤرخاً - ندوة في ذكرى مرور تسعين سنة على مولده، ط. دمشق ١٩٧٩ م.
- ٥٤ - فاطمة محجوب (د.)، الموسوعة الإسلامية، ج ١، ط. القاهرة ١٩٩٠ م.
- ٥٥ - فتحي النبراوى (د.)، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ط. القاهرة ١٩٩٦ م.
- ٥٦ - فرانزروزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد، ط. بغداد ١٩٦٣ م.
- ٥٧ - الفهرس التمهيدي، معهد المخطوطات المchorة، ط. القاهرة ١٩٤٨.
- فؤاد سزكين (د.)، تاريخ التراث العربي، مجلد الأول، ج ٣، ط. بيروت ١٩٧٠ م.
- ٥٨ - فؤاد صالح السيد (د.)، معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، ط. بيروت ١٩٩٠.
- ٥٩ - فؤاد عبد العاطي الصياد (د.)، المغول في التاريخ، ط. القاهرة ١٩٧٥.
- ٦٠ - قاسم عبله قاسم (د.)، الرؤية الحضارية للتاريخ عند العرب والمسلمين، ط. القاهرة ١٩٨١ م.
- ٦١ - في تطور الفكر التاريخي، ط. القاهرة ٢٠٠٤ م.
- ٦٢ - تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.
- ٦٣ - كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ق ٣ (٦-٤)، ترجمة محمود فهمي وأخرون، ط. القاهرة ١٩٩٣ م.

- ٦٤ - كامل حيدر (د.)، *منهج البحث الأثري والتاريخي*، ط. بيروت ١٩٩٥ م.
- ٦٥ - كراتشوفسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي*، ق ١، ط. بيروت، ب. ت.
- ٦٦ - كندرمان، مادة تنوع، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٢، تحقيق الشتاوى وأخرون، ط. بيروت، ب. ت.
- ٦٧ - مادة ابن العديم، دائرة معارف البستانى، ج ١، ط. بيروت، ب. ت.
- ٦٨ - محمد أبو زهو، *الحديث والمحدثون*، ط. القاهرة ١٩٥٨ م.
- ٦٩ - محمد أحمد ترحينى (د.)، *المؤرخون والتاريخ عند العرب*، ط. بيروت، ب. ت.
- ٧٠ - محمد أمين (د.)، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر عصر سلاطين المماليك*، ط. القاهرة ١٩٨١ م.
- ٧١ - محمد حمزة إسماعيل (د.)، *النقوش الأثرية مصدرًا للتاريخ الإسلامي والحضارة*، مج ١، ط. القاهرة ٢٠٠٢ م.
- ٧٢ - محمد سليم الجندي، *تاريخ معرب النعيمان*، ج ١، تحقيق عمر رضا كحاله، ط. دمشق ١٩٩٤.
- ٧٣ - محمد محمد مرسي الشيخ (د.)، *الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها*، ١١٤٤، ط. الإسكندرية ١٩٩٧.
- ٧٤ - محمد مؤنس عوض (د.)، *الجغرافيون والرحلة المسلمين في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية*، ط. القاهرة ١٩٩٥ م.
- ٧٥ - علاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.
- ٧٦ - الزلزال في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦ م.
- ٧٧ - _____، *الحركة الصوفية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية*، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ٢٠٠٣ م.
- ٧٨ - مرسى فالح العجمي، التجربة العلانية قراءة في عزلة أبي العلاء المعري، *حواليات كلية الآداب جامعة عين شمس*، العدد الثاني، القاهرة ١٩٩٨ م.
- ٧٩ - محمد كرد على، *خطط الشام*، ج ٤، ط. دمشق ١٩٢٦ م.
- ٨٠ - محمد محمد الحويرى (د.)، *الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني*

- عشر والثالث عشر من الميلاد، ط. القاهرة ١٩٧٩.
- ٨١ - مريم محمد خير الدرع (د.)، موارد ابن العديم التاريخية ومنهجه في كتاب بعية الطلب في تاريخ حلب، ط. دمشق ٢٠٠٥ م.
- ٨٢ - مصطفى الشكعة (د.)، مناهج التأليف عند العرب، ط. بيروت ١٩٨٢ م.
- ٨٣ - مصطفى عبد الكرييم (د.)، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط. القاهرة ١٩٩٦ م.
- ٨٤ - نظير حسان (د.)، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي، ط. القاهرة ١٩٦٢ م.
- ٨٥ - هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٩ م.
- ٨٦ - هايد، تاريخ التجارة في الشرق في الأدنى، ج ١، ترجمة محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٥ م.
- ٨٧ - هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، ط. القاهرة ١٩٨٨ م.
- ٨٨ - يسري عبد الغنى، معجم المؤرخين، ط. القاهرة، ب. ت.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1- Brand (C. H.), the Crusades of Islamic Perspectives, London 1999.
- 2- Cahen (C.), Histoire d' Alep by Kamal ad-Din Ibn-Adim, in Oriens, Vol. 8, No. 1, 1955.
- 3- Camaron (M.), Saladin, the Politics of the Holyware, University Cambridge, 2000.
- 4- Carl (F.), History of Egypt, Islamic Egypt, Vol. 1, University Cambridge, 1998.
- 5- Robinson (C. F.), An Ayyubid Notable and His World, Journal of the American Oriental Society, Vol. 116, No. 2, Apr. 1996.
- 6- Edde' (A. M.), La Representation de L'enfant Dans Le Traite, in o. L. A. Paris 1993.
- 7- -----, Quequesvilles de syrie du nord, in Actas dell xll congreso, Madird 1986.
- 8- Fletcher (D.), interpreting the Slef, Auto biography in the Arabic Literary Tradition, London 2001.
- 9- Lewis (B.), Art Ibn al Adim, Encyclopedia of Islamic, vol. 3, Leiden 1986.
- 10- -----, Histoire D' Alep par Kamal ad-Din ib al-Adim(588-660/1192-1262) ,in Bulletin of the School of Oriental and African Studies ,London ,vol. 15 ,No. 2 ,1953.
- 11- -----, Three Biographies form Kamal AD-Din, Melanges fuad kiprulu, Istanbul 1953.
- 12- Morray (D.), medieval visit to the castle of Rawandan

in Anatolian Studies, Vol. 43, Ankara 1993.

13- -----, Egypt an Aleppo in Ibn Al -Adim's, in the Historiography of Islamic Egypt, Leidn 2001.

14- Meri (J.), Medieval Islamic Civilization an Encyclopedia, Vol. 1, Jordan 2005.

15- Migual (J), La Aventura del Calamo: Historia, Formas, y artistas de la caligrafia arabe, London 2007.

16- Morgan (D. O), the Mongols in Syria, 1260-1300, in crusade and settlement, by pter W. Edbury, Cardiff 1985.

17- Pellat (c.), quelques observation sur l'interoduction geographiqne de Bugyat al talb, Miscellanea Orientalia, London 1973.

18- Sauvaget (J.), Extraits du Bughyat Talab " d' ibn al- Adim, in Islamic geography, vol. 230, Frankfurt 1994 p. 169.

19- Singh (N. K.), Encyclopedia Historiography of the Muslim world, Vol. India 2004.

20- Sourdel (D.), Zubdat al- halab min tarih Halab, in Arabica, Vol. 2, No. 3, Set. 1955.

21- Stephen (R.), the Ayybids of Damascus (1193-1260), America 1977.

22- Saundars (J. I.), the History of the Mangol, London 1971.

23- Thorou (p.), The Battle of Ain Jalut, in crusade and settlemened by Beter W. Edbury, Cardiff 1985.

La Côte

ابن العديم مؤرخاً

ابن العديم (٦٩٠-٥٨٨ هـ / ١٢٦٢ م) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلي، من أشهر مؤرخي القرن السادس الهجري وأدبائه المميزين، جمع شتى أنواع المعرفة، وكان مؤرخاً فذاً فقيهاً ومحدثاً وشاعراً وسفيراً كان معاصر لحقيقة هامة في تاريخ العصور الوسطى خاصةً عصر العرب الصلية بما شهد له من صراعات سياسية وحربية سواء كانت بين الحكام المسلمين فيما بينهم أو بين الغزاة الصليبيين لمغاربة، فقد كان شاهد عيان انفرد برصد أحداث لم ترد في مصادر غيره الأمر الذي جعل مؤلفاته ذات مكانة هامة في التاريخ لتلك الفترة لا محالة على معلومات قيمة صار هو مصدرها الأوحد.

وهذا الكتاب يتناول ابن العديم من حيث النشأة والتكون العلمي والمناصب التي تقلدها، ومحفوظ مؤلفاته التاريخية من كافة التواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقدية، والمصادر التي اعتمد عليها ومنهجيته في التأليف.

